أخبار النساء

للإمام العلامة

ابن قيم الجوزية

٦٩١م - ٧٥١ هـ



تحقيق

عبد المجيد طعمه الحلبي

دار المعرفة

بيروت - لبنان


أخبار النساء

أخبار النساء

للإمام العلامة
ابن قيم الجوزية
٦٩١ - ٧٥١ هـ

تحقيق وتعليق
عبد المجيد طعمة حلبي

دار المعرفة
بيروت . لبنان

الطبعة الثانية : ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

مستديرة المطار، شارع البرجاوي، ص ب ٧٨٧٦، هاتف ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢، فاكس ٦٠٣٣٨٤، برقياً معرفكار بيروت - لبنان

Airport Square, P.O.Box: 7876, Tel: 834332, 834301, Fax: 603384, Beirut - Lebanon



مقدمة المحقق

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ••• وبعد.

فموضوع النساء عنوان هام، تدور حوله أبحاث كثيرة، ومقالات مفتنة، تُنشر وتذاع، ولعله من المؤسف أن يعتاد الناس قراءة أو سماع هذه الموضوعات مدبجة بأفكار أجنبية، أو تنطق به ألسنة أجنبية، وإن كانت تتعرب في النطق، حتى أصبح كثير من القراء يستبعد أن تُدرس هذه الموضوعات بأفكار مؤمنة، ولسنا ننكر على أي مفكر، البحث في هذه الموضوعات أو الدراسة فيه، لأن ذلك حق فرضه اللّه، وهو مكلّف بالحفاظ عليه، وشرع الدفاع عنه.

وعلى ذلك فلا بد للرجال العلم بأخبار النساء، ومعرفة طبائعهن التي جبلهم اللّه عليها، والإلمام بكافة أمورهن، ليحدد طريقة تعامله معهن.

ولذا فإنه محور هذا الكتاب يدرو حول الطبيعة الخَلْقية والخُلُقية للنساء مُدعماً بدلائل ووقائع مؤيدة من الباحثين، ومناقشات المؤلفين، بالإضافة الى قصص وطرائف تحت إطار هذا الموضوع.

والله الهادي إلى سواء السبيل

وكتبه

عبد المجيد طعمه حلبي



عملي في الكتاب

١ ـ وضعت ترجمة لحياة المؤلف ابن قيم الجوزية.

٢ ـ خرجت الآيات القرآنية الكريمة.

٣ ـ شرحت بعض الألفاظ مما يصعب فهمه على القارىء.

٤ ـ وثقت الأماكن والبلدان على معجم البلدان وذكرت الجزء ورقم الصفحة للرجوع إليها عند الحاجة.

٥ ـ ضبطت الألفاظ الهامة بالشكل.

٦ ـ ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب.

٧ ـ قمت بترقيم الأخبار والروايات ترقيماً تسليلاً.

٨ ـ قمت بترقيم الأبواب أيضاً.

٩ ـ وضعت في أعلى الصفحات ترويسات تتضمن رقم الباب وعنوانه ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة.

وآخر دعوانا أنه الحمد للّه رب العالمين

عبد المجيد طعمه حلبي



ترجمة ابن قيم الجوزية

هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، الزرعي، الدمشقي، أبو عبدالله، شمس الدين، المعروف بابن قيم الجوزية[1]، الفقيه الحنبلي، الأصولي، المحدّث، المفسّر، النحوي، الأديب، الواعظ الخطيب، المصلح، المجتهد، المنصَف.

ولد بدمشق عام (٦٩١هـ ـ ١٢٩٢م) وبها توفي عام (٧٥١هـ ـ ١٣٥٠م) قال الشوكاني عنه (برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، واشتهر في الآفاق، وتبحّر في معرفة مذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية). تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكان لا يخرج عن أقواله، وينتصّر له، وهذّب كتبه، وترجم عليه، وسُجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت ابن تيمية، وسُجن مرات أخرى، وتفقّه في المذهب، وتعمّق في التفسير، وأصول الدين، وأتقن علوم الحديث، وأصول الفقه، والعربية، والنحو، وكلام أهل التصوف.

كان واسع المعرفة، جريء الجنان، شجاعاً في الحق، لا يحابي فيه أحداً، وامتحن وأوذي لذلك، وكان كثير الصلاة والتلاوة، جمّ التواضع، حسن الخلق، جمع كتباً كثيرة، وصنّف مصنفات عظيمة، كتبها بخطه الحسن، وطبع كثير منها، وله شِعر، وتتلمذ عليه خلق لا يحصون.

---

(١) ذيل طبقات الحنابله ٢/ ٤٤٧، الدرر الكامنه ٤/ ٢١، البدر الطالع، ٢/ ١٤٣، طبقات المفسرين ٢/ ٩٠، بغية الوعاة ١/ ٦٢. البداية والنهاية ١٤/ ٣٣٤، جلاء العينين ص ٣٠، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٩ شذرات الذهب ٦/ ١١٦٨ الفتح المبين ٢١/ ١٦١، الأعلام ٦/ ٢٨٠.

من كتبه:

١ ـ «أعلام الموقعين» أربع مجلدات في أصول الفقه، ومقاصد الشريعة.

٢ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

٣ ـ إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان.

٤ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد في الحديث والسيرة.

٥ ـ مختصر سنن أبي داود.

٦ ـ شفاء الغليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

٧ ـ الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية.

٨ ـ التبيان في أقسام القرآن ومفتاح دار السعادة.

٩ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

١٠ ـ الكافية الشافية منظومة في العقائد.



هذا كتاب ذكرت فيه أخبار النساء فأقول ومن اللّه تعالى القبول

الباب الأول

باب ما جاء في أوصاف النساء

١ ـ قال معاوية[1] لصعصعة: أيُّ النساءِ أحبُّ إليكَ؟ قال: المواتية لك فيما تهوى.

قال: فأيُّهن أبغض إليكَ؟ أبعدهن لما ترضى. قال معاوية: هذا النقد العاجل. فقال صعصعة: بالميزان العادل.

٢ ـ وقال معاوية: ما رأيت نهماً في النساء إلا عُرف ذلك في وجهها.

٣ ـ شكت امرأة إلى زوجها قلَّةَ إتيانه إليها، فقال لها: أنا وأنت على قضاء عمر.

قالت: قضى عمر أنّ الرجل إذا أتى امرأته في كل طهر فقد أدّى حقها.

٤ ـ وقع بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع، فقالت له: أبعدك اللّه! كلما وقع بيننا شر جئتني بشفيع لا أطيق ردَّه.

٥ ـ جاء رجل إلى علي، رضي اللّه عنه، فقال له: إن ليَ امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني. فقال: اقتلها وعليَّ إثمُها.

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان ولي الشام لعمر وعثمان عشرين سنة وتملكها بعد علي عشرين سنة وكان من دهاة العرب وحلمائها يضرب به المثل وهو أحد كتبة الوحي توفي في مدينة دمشق في رجب سنة ٦٠ هـ وعمره ٧٨ سنة.

انظر: شذرات الذهب: ١/ ٦٥.

٦ ـ غزا ابن هبيرة الغساني الحارث بن عمر فلم يصبه في منزله، فأخرج ما وجد له، واستاق امرأته فأصابها في الطريق، وكانت من الجمال في نهاية، فأعجبت به، فقالت له: انج فواللّه لكأني به يتبعك كأنه بعير أَكَل مِراراً. فبلغ الخبر الحارث فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله، وأخذ ما كان معه، وأخذ امرأته. فقال لها: هل أصابك؟ فقالت: نعم، واللّه ما اشتملت النساء على مثله قط. فلطمها ثم أمر بها فَوُثِقت بين فَرَسَين ثم أَحْضَرَهما حتى تقطعت. ثم أنشد:

كلُّ أُنثى وإن بدا لكَ منها ... آيةُ الودِّ حبُّها خَيْتَعُور [1]

إنَّ من غرَّةُ النساءُ بودٌ ... بعدَ هذا لجَاهلٌ مغرورُ

٧ ـ قال بعض الحكماء: لم تُنه قط امرأة عن شيء إلا فعلته للغنوي:

إن النساءَ متى يُنْهَيْنَ عن خُلُق ... فإنه واقع لا بدَّ مفعولُ

ولغيره:

لا تأمنِ الأُنثى حَبَتْك بودها ... إن النساءَ وِدادهُن مُقسَّم

اليوم عندك دِلُّها وحديثُها ... وغداً لغيرك كفُّها والمِعْصَم

٨ ـ سُئل أعرابي عن النساء، وكان ذا همٍّ بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئاً جَوَّدت؛ التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها؛ العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الولود، التي كل أمرها محمود.

٩ ـ طلق رجل امرأته، فقالت له: أَبَعْدَ صُحبة خمسين سنة قال؟ ما لك عندنا ذنب غيره.

١٠ ـ قال عبد الملك بن مروان [٢]. «من أراد ان يتّخذ جاريـ تعة،

(١) خيتعور: هو كل شيء يتغير ويضمحل ولا يدوم على حال كالسراب والمقصود به في البيت هو الغدر.

(٢) هو عبد الملك بن مروان: الخليفة أبو الوليد ولايته المجمع عليها بعد ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأشهر. وعده أبو زياد في الفقه في طبقة ابن المسيب وقال نافع: لقد رأيت أهل المدينة وما بها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك توفي سنة ٨٦ هـ.

فليتخذها بربرية وفي أرادها للولد فليتخذها فارسية؛ ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية».

١١ ـ قال الأصمعي[1]: بنات العم أصبر، والغرائب أنجب. وما ضرب رؤوس الأبطال كابن عجمية.

١٢ ـ ذُكر أن معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق، وكان المجلس مفتح الجوانب لدخول النسيم، فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه، إذ نظر إلى رجل يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلاً حافياً، وكان ذلك اليوم شديد الحر، فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه: لم يخلق اللَّه ممن أحتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم. ثم قال: يا غلام سر إليه واكشف عن حاله وقصته فواللَّه لئن كان فقيراً لأُغنِيَنَّه، ولئن كان شاكياً لأنصفنَّه، ولئن كان مظلوماً لأنصرنه، ولئن كان غنياً لأفقرنه. فخرج إليه الرسول متلقياً، فسلم عليه فرد عليه السلام. ثم قال له: ممن الرجل؟ قال: سيدي أنا رجل أعرابي من بني عذرة: أقبلتُ إلى أمير المؤمنين مشتكياً إليه بظلامة نزلت بي من بعض عُمَّاله. فقال له الرسول: أصبحت يا أعرابي ثم سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم أنشأ يقول:

معاويَ، ياذا العلمِ والحلمِ والفضلِ، ويا ذا الندى والجودِ والنابلِ الجَزْلِ
أَتيتكَ لمّا ضاقَ في الأرض مَذهبي، فيا غيثُ لا تقطعْ رجائي من العدِلِ
وجُد لي بإنصاف من الجائر الذي شوانيَ شيَّاً كان أَيْسَرُه قَتْلي
سَبَانِيَ سُعدى وانبَرَى لُخصُومتي، وجارَ ولم يعدلْ، وأَغْضَبني أهلي
قصدتُ، لأرجو نفعه فأثابني بسجن، وأنواعِ العذاب مع الكَبْل
وهَمَّ بقتلي، غير أن مَنِيَّتي تأبّت، ولم أستكمل الرزقَ من أجلي

= انظر: شذرات الذهب: ١/ ٩٧.

(١) هو العلامة أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي البصري الأصمعي اللغوي، كانت الخلفاء تجالسه وتحب منادمته وعاش ٨٨ سنة وله عدة مصنفات، سمع من ابن عون والكبار توفي سنة ٢١٦ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢/ ٣٦ ـ ٣٧.

أغثنـي، جـزاكَ اللّـهُ عَنّـيَ جَنّـةَ، فقد طار من وَجْدٍ بسُعدى لها عقلي

فلما فرغ من شعره قال له معاوية: يا أعرابي إني أراك تشتكي عاملاً من عمالنا ولم تُسمِّه لنا! قال: أصلحَ اللَّه أمير المؤمنين، هو واللَّه ابن عمك مروان بن الحكم عامل المدينة. قال معاوية: وما قصتك معه يا أعرابي. قال: أصلح اللَّه الأمير، كانت لي بنت عم خطبتها إلى أبيها فزوجني منها. وكنت كلفاً[١] بها لِمَا كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة. فبقيت معها يا أمير المؤمنين، في أصلح حال وأنعم بال، مسروراً زماناً، قرير العين. وكانت لي صرمة[٢] من إبل وشويهات، فكنت أعولها ونفسي بها. فدارت عليها أقضية اللَّه وحوادث الدهر، فوقع فيها داء فذهبت بقدرة اللَّه. فبقيت لا أمْلُك شيئاً، وصرت مَهيناً مُفَكَّراً، قد ذهب عقلي، وساءت حالي، وصرت ثقلاً على وجه الأرض. فلما بلغ ذلك أباها حال بيني وبينها، وأنكرني، وجحدني، وطردني، ودفعها عني. فلم أقدر لنفسي بحيلة ولا نُصْرة. فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكياً بعمي، فبعث إليه، فلما وقف بين يديه، قال له مروان: يا أيها الرجل لِمَ حلت بين ابن أخيك وزوجته؟ قال: أصلح اللَّه الأمير، ليس له عندي زوجة ولا زَوَّجْتُه من ابنتي قط. قلت أنا: أصلح اللَّه الأمير، أنا راضٍ بالجارية، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأتت الجارية مسرعة، فلما وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والإستحسان، فصار لي ـ يا أمير المؤمنين ـ خصماً وانتهرني، وأمر بي إلى السجن. فبقيت كأني خررت من السماء في مكان سحيق، ثم قال لأبيها بعدي: هل لك أن تزوجها مني، وأنقدك ألف دينار، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم تنتفع بها، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها: إن أنت فعلت ذلك زوجتها منك. فلما كان من الغد بعث إليَّ، فلما أُدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان، فقال لي: يا أعرابي طلِّقْ سُعدى. قلت: لا أفعل. فأمر بضربي ثم ردني إلى السجن، فلما كان في اليوم الثاني قال: علي بالأعرابي. فلما وقفت بين يديه، قال: طلق سعدى. فقلت: لا أفعل. فسَّلط

(١) كلفاً: الكَلِف: هو الرجل العاشق المولع.
(٢) صرمة: أي قطعة.

عليَّ ـ يا أمير المؤمنين ـ خُدَّامَه فضربوني ضرباً لا يقدر أحد على وصفه، ثم أمر بي إلى السجن؛ فلما كان في اليوم الثالث قال: عليَّ بالأعرابي، فلما وقفت بين يديه قال: عليَّ بالسيف والنِّطع وأحضر السياف، ثم قال: يا أعرابي، وجلالة ربي، وكرامة والدي، لئن لم تطلق سعدى لأفرقن بين جسدك وموضع لسانك. فخشيت على نفسي القتل فطلقتها طلقة واحدة على طلاق السنة، ثم أمر بي إلى السجن فحبسني فيه حتى تمت عدتها ثم تزوجها، فبنى بها، ثم أطلقني. فأتيتك مستغيثاً قد رجوت عدلك وإنصافك، فارحمني يا أمير المؤمنين. فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني الأرقُ، وأذابني القلق، وبقيت في حبها بلا عقل، ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض. ثم أنشأ يقول:

في القلب منّي نارٌ	والنارُ فيه الدمارُ
والجسمُ مني سقيمٌ	فيه الطبيب يَحَارُ
والعينُ تَهْطِل دمعاً	فَدمْعُها مِدْرارُ
حَمَلْتُ منه عظيماً	فما عليه اصطبارُ
فليسَ ليلَي ليلٌ	ولا نَهاريْ نهارُ
فارحم كئيباً حزيناً	فؤادُه مستطار
ارْدُدْ عليَّ سُعادي	يُثيبكَ الجبارُ

ثم خرَّ مغشياً عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال: وكان في ذلك الوقت معاوية متكئاً، فلما نظر إليه قد خر بين يديه قام ثم جلس، وقال: إنا للّه وإنا إليه راجعون. إعتدى والله مروان ابن الحكم ضراراً في حدود الدين، وإحساراً[1] في حُرَم المسلمين: ثم قال: والله يا أعرابي لقد أتيتني بحديث ما سمعت بمثله. ثم قال: يا غلام عليّ بدواة وقرطاس. فكتب إلى مروان: "أما بعد، فإنه بلغني عنك أنك اعتديت على رعيتك في بعض حدود الدينِ، وانتهكت حرمةً لرجل من المسلمين. وإنما ينبغي لمن كان والياً على كوْرة أو إقليم أن يَغُضَّ بصرَه وشهواتِه، ويزجر نفسه عن لذاته. وإنما الوالي كالراعي لغنمه، فإذا رفق بها بقيت

(١) إحساراً: أي انكشافاً.

معه، وإذا كان لها ذنباً فمن يحوطها بعده. ثم كتب بهذه الأبيات:

وُلِّيتَ، ويحكَ أمراً لست تُحكِمه ... فاستغفرِ اللّه مِن فِعْلِ امرىءٍ زاني
قـد كُنـتَ عنـديَ ذا عقـلٍ وذا أدبٍ ... مـع القَـرَاطِيـسِ تمثـالاً وفـرقـانِ
حتـى أتـانـا الفتـى العُـذرِيُّ مُنْتَحِباً ... يشكـو إلينـا بيـثَّ ثـمَّ أحـزانِ
أُعطـي الإلـهَ يمينـاً لا أكَفِّـرهـا ... حقـاً، وأبـرأ مـن دينـي وديـانـي
إن أنـت خـالفتنـي فيمـا كتبـت بـه ... لأجعلنـك لحمـاً بيـن عقبـانـي
طلِّـقْ سعـادَ، وعَجِّلْهـا مجَّهـزةً ... مع الكُمَيْتِ، ومع نصر بن ذبيان
فما سمعتُ، كما بُلِّغْتُ في بشر، ... ولا كفعلـك حقـاً، فعـل إنسـانِ
فـاختـر لنفسـك إمـا أن تَجُـود بهـا ... أو أن تـلاقـي المنـايـا بيـن أكفـان

ثم ختم الكتاب. وقال: عليَّ بنصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد. فلما وقفا بين يديه قال: اخرجا بهذا الكتاب إلى مروان ابن الحكم ولا تضعاه إلا بيده. قال فخرجا بالكتاب حتى وردا به عليه، فسلما ثم ناولاه الكتاب. فجعل مروان يقرأه ويردده، ثم قام ودخل على سُعدى وهو باكٍ، فلما نظرت إليه قالت له: سيدي ما الذي يبكيك؟ قال: كتاب أمير المؤمنين، ورد عليَّ أن يتركني معك حولين ثم يقتلني، فكان ذلك أحب إليَّ. فطلقها وجهزها ثم كتب إلى معاوية بهذه الأبيات:

لا تَعْجَلَـنَّ أميـرَ المـؤمنيـنَ فقـدْ ... أُوفـي بنـذركَ فـي رفـقٍ وإحسـانِ
ومـا ركبـتُ حـرامـاً حيـنَ أعجبنـي ... فكيفَ أُدعى بإسم الخائنِ الزاني
أَعْـذِر، فـإنـك لـو أبصـرتهـا لجـرت ... منـك الأمـاقـي علـى أمثـالِ إنسـانِ
فسـوفَ يـأتيـك شمـس لا يعـادِلُهـا ... عنـدَ الخليفـةِ إنـسٌ لا ولا جـانِ
لـولا الخليفـةُ، مـا طلقتُهـا أبـداً ... حتـى أُضَمَّـنَ فـي لحـدٍ وأكفـانِ
علـى سُعـادٍ سـلامٌ مـن فتـىً قَلِـقٍ ... حتـى خلفـت بـأوصـابٍ وأحـزانِ

ثم دفعه إليهما، ودفع الجارية على الصِّفة التي حدث له. فلما وردا على معاوية فك كتابه وقرأ أبياته ثم قال: واللّه لقد أحسن في هذه الأبيات، ولقد أساء

إلى نفسه. ثم أمر بالجارية فأدخلت إليه، فإذا بجارية رعبوبة[١] لا تبقي لناظرها عقلاً من حسنها وكمالها. فعجب معاوية من حسنها ثم تحول إلى جلسائه وقال: واللّه إن هذه الجارية لكاملة الخَلْق فلئن كَمُلت لها النعمة مع حسن الصفة، لقد كملت النعمة لمالكها. فاستنطقها، فإذا هي أفصح نساء العرب. ثم قال: عليَّ بالأعرابي. فلما وقف بين يديه، قال له معاوية: هل لك عنها من سلو، وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار[٢] مع كل جارية منهن ألف درهم، على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز والديباج والحرير والكتان، وأجري عليك وعليهن ما يجري على المسلمين، وأجعل لك ولهن حظاً من الصلاة والنفقات؟ فلما أتم معاوية كلامه غُشي على الأعرابي وشهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات منها. فلما أفاق قال له معاوية: ما بالك يا أعرابي؟ قال: شر بال، وأسوأ حال، أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان. ثم أنشأ يقول:

لا تجعلَنِّي ـ هَدَاكَ اللّهُ ـ من ملكٍ ... كالمستجيرِ من الرمضاء بالنار

أُرْدُدْ سعادَ عَلَى حَرّانَ[٣] مكتئبٍ ... يُمسي ويُصبح في هَمٍّ وتَذكارِ

قد شَفَّهُ قَلَقٌ ما مِثْلُه قَلَقٌ ... وأُسْعِرَ[٤] القلبُ منه أيَّ إسعار

واللّهِ، واللّهِ، لا أنسى محبتَها ... حتى أُغَيَّبَ في قبري وأحجاري

كيف السلوُّ وقد هامَ الفؤادُ بها؟ ... فإن فعلتَ فإني غيرُ كَفَّارِ

فاجْمل بفضلكَ وافعلْ فعلَ ذي كرمٍ ... لا فِعلَ غيرِكَ، فعلَ اللؤمِ والعارِ

ثم قال: واللّه يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كل ما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى. ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول:

أبى القلبُ إلاّ حبَّ ليلى وبُغِّضَتْ ... إليَّ نساءٌ ما لَهُنَّ ذنوبُ

وما هي إلاَّ أن أراها فَجَاءَةً ... فأُبْهَتُ حتى لا أكادُ أُجيبُ

---

(١) رعبوبة: هي الفضة الطويلة الممتلئة الجسم أو البيضاء الحلوة الناعمة.

(٢) أبكار: جمع بكر وهي العذراء.

(٣) حرّان: عطشان.

(٤) أي اشتعل وهاج.

فلما فرغ من شعره، قال له معاوية: يا أعرابي؟ قال نعم يا أمير المؤمنين. قال: إنك مُقِرٌ عندنا أَنك قد طلقتها، وقد بانت منك ومن مروان، ولكن نخيرها بيننا. قال: ذاك إليك، يا أمير المؤمنين. فتحول معاوية نحوها ثم قال لها: يا سعدى أيُّنا أحبُّ إليكِ: أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره، أم مروان في غصبه واعتدائه، أو هذا الأعرابي في جوعه وأطماره؟ [١] فأشارت الجارية نحو ابن عمها الأعرابي، ثم أنشأت تقول:

هـذا وإن كـان فـي جـوعٍ وأَطمـارِ أَعـزُّعنـدي من أهلـي ومـن جـاري
وَصـاحـبِ التـاج أو مـروانَ عـاملـه وكــلِّ ذي دِرْهــمٍ منهــمْ وديـنــارِ

ثم قالت: لست واللّه يا أمير المؤمنين لحدثان [٢] الزمان بخاذلته، ولقد كانت لي معه صحبة جميلة، وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء، وعلى الشدة والرخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القِسْم الذي كتب اللّه لي معه. فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها في صدقات بيت المسلمين.

١٣ ـ قال أبو الخطاب: كان عندنا رجل أحدب فسقط في بئر فذهبت حدبته وصار آدراً [٣] فدخل عليه جيرانه يهنئونه فقال: الذي جاء شر من الذي مرَّ.

١٤ ـ ذكر أعرابي رجلاً جميلاً فقال:

واللّه لو بصرته العيدان لتحركت أوتارها، ول رأته عاتق الخدر لطار خِمارُها.

وقال بعض الأعرابِ:

مــاذا تظــنُّ سُلَيْمَــى إن أَلَــمَّ بنــا مُرَجَّلُ [٤] الرأس ذو بُرْدَيْن مَزاحُ
خَــزُّ عمــامَتُــه، حلــوٌ فُكـاهَتُــه، فــي كفـه مــن رُقـى إبليـسَ مفتـاحُ

(١) الأطمار: جمع طمر، وهو: الثوب الخلق البالي.
(٢) حدثان: النوائب والحوادث.
(٣) آدر: هو انتفاخ الخصية لتسرب سائل في غلافها.
(٤) مرجل: رجل شعره: أي سواه وزينه.

١٥ ـ يُروَى، أن رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، خطب امرأة من كلب فبعث عائشة رضي اللَّه عنها تنظر إليها، فقال لها: كيف رأيتها؟ قالت: ما رأيت طائلاً[١]. قال: لقد رأيت طائلاً، ولقد رأيت حالاً تجدينها حتى اقشعرت كل شعرة فيك. فقالت: ما دونك ستر يا رسول اللَّه.

١٦ ـ ويروى عن حيان بن عمير [٢] أنه قال دخلت على قتادة بن ملحان فمر رجل في أقصى الدار فرأيت صورته في وجه قتادة، وذلك أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم مسح وجهه.

١٧ ـ وعن عون بن عبد اللَّه، أنه قال: من كان في صورة حسنه، ونسب، وحسب، ووسع عليه في الرزق، كان من خلصاء اللَّه.

١٨ ـ ويروى عن عائشة، رضي اللَّه عنها، أنها قالت: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب اللَّه عز وجل، فإن كانوا في القراءة سواء، فأصبحهم[٣] وجهاً. وعن ابن عباس أنه قال: قالَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: النظر إلى الوجه الجميل يجلو البصر؛ والنظر إلى الوجه القبيح يورث الفلج.

قال حُليَلان المغنِّي: دخلت دار هارون الرشيد [٤] فإذا أنا بجارية خماسية [٥] أحسن الناس وجهاً، على يدها سطران مكتوبان بالغالية[٦]، فقرأتهما فإذا هما مما

(١) طائلاً: فضلاً.

(٢) حيان بن عمير القيسي الجريري أبو العلاء البصري. روى عن عبد الرحمن بن سمرة وعبداللَّه بن عباس وغيرهم وروى عنه سليمان التيمي وسعيد الجريري وقتادة وغيرهم. وذكره ابن حبان في الثقات، وذكره البخاري في فصل من مات بين التسعين والمائة.
انظر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٤٣.

(٣) أجملهم وأشرقهم وأحسنهم.

(٤) هو هارون الرشيد أبو جعفر بن المهدي، كان له مشاركة في الفقه والعلم والأدب ويتواضع لأهل العلم والدين ويكثر من محاضرة العلماء والصالحين وهو من خلفاء الدولة العباسية توفي سنة ١٩٣ هـ.
انظر: شذرات الذهب: ١/ ٣٣٤.

(٥) خماسية: طولها خمسة أشبار.

(٦) الغالية: أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر.

عمل في طران اللّه[١]، فتنة لعباد اللّه وقال بعضهم: سمعت يحيى بن سفيان يقول: رأيت بمصر جارية بيعت بألف دينار، فما رأيت وجهاً قط أحسن من وجهها صلى اللّه عليها. قال: فقلت له: يا أبا زكريا، مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك؟ فقال: وما تنكرُ عليَّ من ذلك؟ صلى اللّه عليها وعلى كل مليح: يا ابن أخي الصلاة رحمة.

٢٠ ـ قال: خرج شامة بن لُؤَي بن غالب من مكة حتى نزل بعُمَان[٢] على رجل من الأزد.

وكان شامة بن لؤي من أجمل خلق اللّه، فقراه وبات عنده. فلما أصبح قعد يستنُّ فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها، فلما رمى، مضت إلى سواكه فأخذتها فمصتها، فنظر إليها زوجها، فحلب ناقة وجعل في اللبن سُمّاً وقدمه إلى شامة، فغمزته المرأة، فأراق اللبن وخرج يسير. فبينما هو في موضع يقال له خرق الجميلة أهوت ناقته في عرفجة؟ فانتشلها وفيها أفعى فنهشت مشفريها فحكتها على ساق شامة فمات. فقالت الأزد:

إذا ناقتي حلَّت بليلٍ ففارَقت جميلة لَمَّا انْبتَّ منها قرينُها
فقلت لها حِثِّي قليلاً فإنني وإياك نخفي عبرة سَتَزِيْنُها
غدرتِ بنا بعد الصَّفاء وخِتْنِنا وشَرُّ مُصافي خلةٍ مَن يخونُها

٢١ ـ قال سليمان بن أبي سمح تزوج رجل من تهامة امرأة من نجد فلما نقلها إليه، قالت له: ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا ما رأيتها ههنا؟ فقال: يحجزها عنا هذان الجبلان. فأنشأت تقول:

أيا جَبَلَيْ نُعْمانَ باللّه خَلِّيا نسيمَ الصَّبا يُخْلِص إليَّ نسيمُها
فإن الصَّبا ريحٌ إذا ما تنفَّست على قلبِ محزون تجلَّت همومها

---

(١) طران اللّه: غضبه.

(٢) عُمان: مدينة عربية على ساحل بحر اليمن والهند وهي ذات نخل وزرع ويضرب بحرّها المثل. معجم البلدان (٤/ ١٥٠).

أجد بَرْدَهَا أو يُشْفِ مني حرارةً على كَبِدٍ لم يَبْقَ إلا صَمِيمُها

٢٢ ـ قال الزبير: حدثني أبي قال: كان عندنا بالمدينة رجل من قريش كانت له امرأة تعجبه ويعجبها، وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق، وكل ذلك يحتمِلهُ لشدة محبته إياها فلما ساءت حاله وكثر دَيْنه قال:

إذا المرءُ لم يَطْلُب معاشاً لنفسه شَكَى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكْثرا

وصار على الأدنين كَلاًّ[1] وأوشكَت قلوبُ ذوي القُرْبَى له أن تَنَكَّرا

فسر في بلادِ اللَّهِ والتمسِ الغِنَى تَعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فَتُعْذَرا

ولا ترضَ من عيشٍ بِدُونٍ، ولا تَنَمْ وكيف ينامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسرا؟

وما طالبُ الحاجاتِ من حيث يبتغي من الناس إلاّ مَن أجَدّ وشَمَّرا

فلما أصبح قال لامرأته:

أنا واللَّه أحبك، ولا صبر لي على ما نحن فيه من ضيق العيش، فجهزيني. فجهزته، فخرج حتى قدم على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقام بين الصفين، فأخبره بحاله، وأنشده الشعر. فرقَّ له، وأمر له بألف دينار وقال له: لقد دلني حالك على محبتك لأهلك وكراهيتك لفراقهم فخذ وانصرف إليهم. فأخذها وانصرف راجعاً.

٢٣ ـ وأنشد الزبير بن بكار[2] لجميل بن معمر[3]:

لئن كان في حبِّ الحبيب حبيبَه حدودٌ لقد حَلَّت علي حُدودُ

ألا أيُّها الغيرانُ بي أن أُحِبَّها بِسَخْطِك ينمو حبُّها ويزيدُ

فلو متُّ كانَ الموتُ يُخْلِفُ الهوى لها في فؤادي الوجدُ وهو جديدُ

(١) كلاّ: كلّ عن الأمر: أي ثقلَ عليه فلم ينبعث فيه.

(٢) هو: الزبير بن بكار الإمام، أبو عبد اللّه الأسدي الزبيري، قاضي مكة، سمع من سفيان بن عيينة فمن بعده، وصنف كتاب النسب وغير ذلك وكان ثقة، ولا يلتفت إلى من تكلّم فيه، توفي سنة: ٢٥٦ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢/ ١٣٣، ١٣٤.

(٣) هو: جميل بن عبد اللّه بن معمر، الشاعر العذري المتيم، صاحب بثنيه، وكان هويها في الصغير، فلما كبُر خطبها فصُدّ عنها، فتُيم بها. توفي سنة ٨٢ هـ. انظر: شذرات الذهب: ١/ ٩١.

وتحسبُ نسوانٌ إذا جئتُ زائراً　　بثينةَ أنّي بَعْضَهُنّ أُريدُ
فتُخْبِرُكم عنّا جَنوب مُضِلّة　　وتُخبِرنا هَتْفَ العَشيِّ بُرُودُ
إذا بَلَغَتْكُم حاجةٌ رَجعَت لنا　　إليكم بأُخرى مثلَها فيعودُ

٢٤ ـ وأنشد أيضاً لجميل بن معمر العذري:

تمتعتُ منكم يا بثينُ بنظرةٍ　　عَلَى عَجلٍ والنَاعِجَاتُ وقوفُ
فيا حبّذا أُمَّ الوَليدِ وَمِرْبَعِ　　لنا ولها بالمنحنى ومصيفُ
بَثْنَتَانِ[١] يَسْتُرنَ الوِشَاحَ عليهما　　وبطن كطيِّ السابري[٢] لطيفُ

وأنشداه في مثل ذلك أيضاً:

بثينةُ قالتْ يا جميلُ وسودتْ　　مجالَ القذى منها بثنيةُ بالكحلِ
أتصرم حبلي يا جميل وقادني　　إليك الهوى قيد الجنيبة بالحبلِ
وقالتْ لقينا ما لقيتَ مِنَ الهوى　　فما مسَّ رأسي من دهانٍ ولا غسلِ

٢٥ ـ قال علي بن المغيرة؛ كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجاج بن يوسف لأبيه وأمها الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي عند المغيرة بن شعبة فرآها يوماً تتخلل بكرة فقال لها: أنت طالق والله لئن كان هذا من غذاء لقد جشعت ونهمت، وإن كان من عشاء لقد أنتنت وقذرت، فقالت: قَبَّحَ اللَّهُ الذواق المطلاق ولا يبعد الله، والله ما هو الذي ظننت، ولكنه استمسك بين أسناني شظية من السواك. وكان سبب قول النميري[٣] فيها: إن أباها يوسف بن الحكم مرض، وكان يزيد معاوية قد ولاه صدقات الطائف[٤] وارض الشراة، فنذرت إن الله عافاه أن تمشي إلى الكعبة معتمرة من الطائف،

---

(١) الثبنة: هي المرأة الحسناء، البضّة.
(٢) السابري: هي الثياب الرقيقة الجيدة.
(٣) هو: محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني الخارقي، الكوفي كان رجلاً نبيلاً، قد جمع العلم والفهم والسنة والزهد، قال العجلي: الكوفي ثقة، ويعد من أصحاب الحديث، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ٢٣٤ هـ. انظر تهذيب التهذيب ٥/ ١٨٢، ١٨٣.
(٤) الطائف: مدينة في الجزيرة العربية معجم البلدان (٤/ ٨).

وبين الطائف ومكة يومان وليلتان، فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوماً، وكان جميلة وسيمة فلقيها النميري، وهو محمد بن عبداللّه بن نمير الثقفي، ببطن نعمان[١] فقال:

تَضَوَّعُ مِسْكاً بطنُ نُعْمان إذ مَشَتْ ... بــهِ زينــبٌ فــي نِسْــوةٍ عَطِـراتِ

تهادين ما بين المحصَّبِ من مِنى ... وأقبلـــن لا شُعْثـــاً وَلاَ غَبِـــرَاتِ

مـــررنَ بِفـــجِ رائحـــاتٍ عشيـــةً ... يُلَبِّيـــن للـــرحمـــنِ مـــؤتجـــراتِ

لهـا أَرَج بـالعنبـر الـوردُ فـاغـم[٢] ... تَطَلَّـــعُ ريـــاهُ مِـــنَ الفَتِـــرَاتِ

يخبئـنَ أطـرافَ البَنَـان مـن التُّـقـى ... ويَمْشِيـــنَ شطـرَ الليـلِ مُعْتَمِـرات

وليست كأُخرى أوسَعَت جنبَ دِرْعِها ... وأبْـــدَت بَنَـــانَ الكــفّ للجمـــراتِ

ومـالـتْ تَـراءى مـن بعيـدٍ فـأَفْتَنَـتْ ... بِـرُؤيَتِهـا مَـنْ رَاحَ فـي عَـرَفـاتِ

تقسَّمـــنَ لُبِّـي يـومَ نعمـــانَ إننـــي ... بُلِيـتُ بِطَـرْفٍ فـاتِـكِ اللَّحَظـاتِ

يظـــاهـــرنَ أستـــاراً ودوراً كثيـــرةً ... ويقطعـــنَ دورَ اللَّهـــوِ بـالحَجَـراتِ

ولمّا رأتْ ركبَ النميريِّ أعرضَتْ ... وكُـــن مِـــنْ أَنْ تَلْقَيْنَـــهُ حَـــذِرَاتِ

دَعَتْ نسوةً شُمَّ العرانينِ[٣] كالدّما ... أَوَانِـسَ مـلءَ العيـن كـالظبيـاتِ

فـأَبـدَيْـن لمّـا قمـنَ يحجبـن زينبـاً ... بطـونـاً لطـافَ الطـيِّ مضطمـراتِ

فقلـت: يعـافيـرُ[٤] الظبـاءِ تَنَـاولـت ... يَنَـاعَ غُصُـونِ الـوردِ مهتصـراتِ

فلَـم تَـرَ عينـي مثـلَ ركـبٍ رأيتُـه ... خـرجـنَ مِـنَ التعميـرِ معتمـراتِ

وكِـدْتُ اشتيـاقـاً نحـوهـا وصَبَـابـةً ... تَقَطَّـعُ نفســي إثْـرَهَــا حَسَـرَاتِ

وغادرتْ مِنْ وَجْدِي بزينبَ غمرةً ... مـن الحُـبِّ إنَّ الحُـبَّ ذو غَمَـراتِ

---

(١) بطن نعمان: بلد بين مكة والطائف غزاه النبي ﷺ وقيل: واد لهذيل على ليلتين من عرفات معجم البلدان (٥/ ٢٩٣).

(٢) فاغم: متفتح بالرائحة.

(٣) العرانين: ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشم.

(٤) يعافير: جمع يعفور: وهو الظبي لونه كون العفر.

وظلَّ صِحَابي يُظْهرونَ ملامتي ... على لَوْعةِ الأشواقِ والزَّفراتِ
فراجعتُ نفسي والحَفيظةُ إنَّما ... بللت رداءَ العصبِ بالعبراتِ
وقد كان في عصيانيَ النفسَ زاجرٌ ... لذي عَبْرةٍ لو كُنَّ مُعْتَبِراتِ

٢٦ ـ قال مسلم بن جندب الهلالي[1]:

كنتُ مع عبد اللّٰه بن الزبير بنعمان وغلام ينشد خلفه، وهو يشتمه أقبح الشتم. فقلت له: ما هذا؟ فقال: دعه فإني تشببت بأخت هذا الحجاج بن يوسف. فلما قتَل الحجاجُ عبد اللّٰه بن الزبير دعا الناس إلى البيعة، فتأخر محمد حتى قام في آخر الناس ولم يجد من الحضور بداً. فلما دنا منه قال: أمحمد؟ قال نعم. قال: أنشدني ما قلت. فأنشدته قصيدتي هذه فقال: لولا أن يقول قائلٌ لضربت عنقك، أنج لا نجوت ولا تعد فقال: لا تعرضت لاسم زينب ما بقيت. قال: ولما خاف النميري من الحجاج عاذ بأبيه يوسف بن الحكم. فلما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير، قام إليه يوسف بن الحكم وقال له: يا أمير المؤمنين إن فتىً منا ذكر زينب بما يذكر به العربي ابنة عمه، وقد علمت أن هذا لم يزل بتقلب عليه. قال عبد الملك: أليس النميري؟ قال: بلى، قد سمعت شعره فما سمعت مكروهاً! ثم أقبل على الحجاج وقال: لا تعرض له. ويقال أن عبد الملك لما بلغه شعر النميري كتب إلى الحجاج: قد بلغني ما كان من قول النميري، فلا تدنه فتُقطعُه، ولا تقصه فتغره. ولكنْ أَهْمِلْهُ وَالْهَ عنه. فلم يهجُه الحجاج ومن قوله فيها:

تَشْتُو بمكةَ نعمةٍ ... ومصيفُها بالطائفِ
أكرمْ بتلكَ مواقفاً ... وبزينبٍ مِنْ واقفِ

ومن شعره فيها أيضاً:

وما أنسَ من شيءٍ، فلا أنسَ شادِياً ... بمكةَ مكحولاً أسيلا مدامعُهْ
تشرَّبه لونُ الزرا في بياضِه ... أو الزعفرانُ خالطَ المسكَ أذرُعُهْ

---

(١) هو: مسلم بن جندب الهذلي، أبو عبد اللّٰه القاضي روىٰ عن الزبير، وأبي هريرة، وابن عمر، وغيرهم وروى عنه: زيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد وغيرهم، ذكره ابن حبان في الثقات، وهو تابعي، توفي سنة ١٠٦ هـ انظر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٤٢٥.

٢٧ ـ قال الزبير بن بكار:

حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال: خرجت إلى الشام فلما كنت بالسمهاة ودنا الليل رفع لي قصر فأهويت اليه، فإذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسناً وجمالاً. فسلمت، فردت عليَّ السلام، قالت: ممن أنت؟ قلت: من بني أمية. قالت: مرحباً بك، إنزل، فأنا امرأة من أهلك. فأنزلتني أحسنَ منزل وبِتُّ أحسنَ مبيت. فلما أصبحت قالت: إن لي إليك حاجة. قلت: ما هي؟ فأشارت إلى دير، وقالت: إن في ذلك الدير ابن عمي، وهو زوجي، وقد غلبت عليه نصرانيةٌ في ذلك الدير، فتمضي إليه وتعظه. فخرجت حتى انتهيت إلى الدير، فإذا برجل في فنائه من أحسن الرجال وأجملهم. فسلَّمْتُ عليه، فرد وسأل. فأخبرته من أنا، وأين بت، وما قالت المرأة. فقال: صَدقت، أنا رجل من أهلك من أهل الحارث بن الحكم. ثم صاح: ياقسطا. فخرجت إليه نصرانية عليها ثياب حبرات وزنانير ما رأيت قبلها ولا بعدها أحسن منها. فقال: هذه قسطا، وتلك أروى، وأنا الذي أقول:

وبـدَّلـت قُسْطـا بعـد أروى وحُبِّهـا ... كَذَاك لعمري يَذْهَبُ الحبُّ بالحبِّ

ومـا هـي، أَمـا ذكـرُهـا نبطيـة ... كبدرِ الدُّجى أوفي على غُصُنٍ رَطْب

٢٨ ـ قال الزبير بن بكار:

حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير عند أبي بكر بن عبد الرحمن من محرمه وكان يخدمها وكانت ذات مال، ولا مال له. وكانت تَضِنُّ عنه، فخرج يريد الشام بطلب الرزق، فلما كان ببعض الطريق رجع فمر بجلسائه بالمصلى فقالوا: زاد خير. ثم دخل عليها فقالت له: أبخير رجعت؟ فقال لها:

بينما نحـنُ مـن بَـلاَكِـثَ[1] فـالقـا ... ع[2] سِراعاً، والعيسُ تهوي هويّا

(١) بلاكث: موقع في بلاد العرب فوق ذي المروة يتهاوين ذي خشب ببطن إضم وهي عيون وتحل لقريش معجم البلدان (١/ ٤٧٨).

(٢) القاع: موضع في ديار سليم معجم البلدان (٤/ ٣٩٨).

خَطَـرت خَطْـرةُ علـى القلـبِ مـن ذكـراك وَهْنـاً، فمـا استطـاع مُضِيّـا.
قلتُ: لبيكِ، إذ دعاني لكِ الشو قُ وللحَـادِيَيْـنِ حـبُّ المَطِيَّـا

قالت له: لا جَرَم[1] واللَّه لأشاطرنَّك مالي فشاطرته إياه ولم تدعه للسفر بعد.

٢٩ ـ روى إبراهيم بن حسن بن يزيد عن شيخ من ساكني العقيق قال: إني لواقف بالعقيق، وقد جاء الحاج، إذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة، فنظرنا إليها، فأعجبتنا حالها. فلما كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان، عدلت إلينا، ونحن ننظر، فنزلت قصراً من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت، فركبت ومضت، وإن عينيها لتنقطان دموعاً. فقلت: لأنظر ما صنعت هذه المرأة؟ فدخلت القصر، فإذا كتاب يواجهني في الجدار، فقرأته فإذا هو:

أليس كفى حزناً لذي الشوق أن يرى، منـازلَ مَـنْ يهـوى معطلـةً قفـرا؟
بلى، إن ذا الشوقِ الموكَّلِ بالهوى، يـزيـدُ اشتيـاقـاً كلمَّـا حـاولَ الصَبـرا

وتحته مكتوب: وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز. وكان سفيان بن عاصم زوجها فتوفي عنها.

٣٠ ـ ذكروا عن عائشة، رضي اللَّه عنها، أنها لما قدمت البصرة خطبت وبحضرتها الأحنف بن قيس وموسى بن طلحة ورجال من وجوه العرب، فقالت بعقب ذلك: إني أتيت أطلب بدم الإمام المَذْكُور برمَّته الحرمات الأربع. فمن ردنا عنه بحق قبلناه، ومن ردنا عنه بباطل قاتلناه. فربما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين. قال لها موسى بن طلحة: قد فهمنا كلامك، فما الأربع حرمات؟ فقالت: حرمة الشهر، وحرمة البلد، وحرمة الإمامة، وحرمة الختونة[2]، لا يصلح امرؤ بعده أبداً. فقال لها الأحنف رحمه اللَّه: إني سائلك ومغلظ لك في المسألة فلا تَجدِين عليَّ. أعندك عهد من رسول اللَّه في خروجك هذا؟ قالت: لا. قال لها: أفعندك عهد من رسول اللَّه أنك معصومة من الخطأ؟ قالت: لا. قال لها: صدقت، إن اللَّه رضي لك المدينة فأبيت إلا البصرة، وأمرك بلزوم بيت نبيه محمد

(١) جرم: يقال: لا جرم أي لا بد ولا محالة.
(٢) الختونة: الختن: زوج البنت أو أبيها أو أخيها، والمقصود المصاهرة.

صلى اللّه عليه وسلم فنزلت بيت الحرسة الضبي. ألا تخبريني يا أم المؤمنين أللحرب قدمت أم للصلح؟ قالت: بل للصلح. فقال لها: واللّه لو قدمت وما بينهم إلا الخفقَ بالنعال والقذف بالحصبا. ما اصطلحوا على يديك، فكيف والسيوف على عواتقهم؟ قالت: لقد استغرق حلم الأحنف هجاءه إياي، إلى اللّه أشكو عقوق أبنائي.

٣١ ـ ذكروا، أنه لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث، وأسر من معه، أمر بضرب رقابهم، فقال رجل منهم: أيها الأمير إني أتيت إليك بشيء. قال: وما هو؟ قال: إني كنت جالساً يوماً عند عبد الرحمن فأخذ في عرضك، فناضلته عنك. قال: ومن يشهد لك بذلك؟ فقام رجل من الجماعة يشهد له بما قال فقال: اتركوه. ثم قال للرجل: أفلا كنت مثله؟ قال له: بغضي فيك لم يدعني أتكلم فيك بمثل ذلك. فقال: واتركوا هذا لصدقه ثم قام رجل آخر فقال: أيها الأمير لئن كنا أسأنا في الخطأ لما أحسنت في العفو. فقال الحجاج: أفٍّ لهذه الجيف، أما واللّه لو كان فيكم من يتكلم واللّه ما قتل منكم أحد.

الباب الثاني

باب يذكر فيه من صيره العشق إلى الأخلاط والجنون

٣٢ ـ قال بعضهم: مررت بفورك المجنون وقد أتاه أهله بطبيب، يقال له عبد العزيز، ليعالجه. فسلمت وقلت: ما خبرك يا أبا محمد؟ فقال: خبري واللّه مع هؤلاء المجانين ظريف. أنا عاشق وهم يظنون بي جنَّة وقد أتوني بهذا الطبيب ليعالجني. ثم أنشأ يقول:

أتوني بالطبيبِ فعَالَجُوني ... على أن قيل مجنونٌ غريبُ
طبيب الأجرِ فيه عساه يوماً ... من الأيام يَعْقِلُ أن يَتُوب
وما صدقوا الفتى محوي قلبي ... أجلُّ من أن يعالجَهُ الطبيبُ
وما بي جِنَّةٌ لكنَّ قلبي ... به داءٌ تموتُ به القلوبُ
وما عبدُ العزيز طبيبُ قلبي ... ولكنَّ الطبيبَ هوَ الحبيبُ

٣٣ ـ وقال آخر: مررت بمجنون بيده قصبة وفيها عذبة[1]، وهو يقول:

إذا ما رايةٌ رُفعتْ بنجدٍ ... تلقَّاها عرابةُ باليمينِ

قال فأخذت بيد الغلام الذي كان يتعشقه فوقفت بين يديه، فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد اللّه؟ فقال في ساعة بديهة:

أصبحت منكَ على شفا جُرُفٍ ... متعرِّضاً لمواردِ التَّلَفِ

---

(١) عذبه: خرقة تشدّ على أعلى الرمح.

وأراكَ نحـوي غيـر مـا ثقـة ... متحـرِّفـاً مـن غيـرِ منحـرفِ
يـا مَـنْ أَطـالَ بصـدِّه أسفـي ... كَلَفـي عليـكَ أشـدُّ مِـنْ أسفـي

٣٤ ـ وقال بعضهم: اجتزت بفورك المجنونِ وهو في جماعة من الصبيان راكبٌ قصبةً، وهو يقول: مَنْ كان عاشقاً منكم فَلْيقف في الميمنة، ومن كان معشوقاً فليقف في الميسرة. ووقف هو في القلب، ففكر وقال:

إلـى مـن أشتكيـكَ إلـى مَـنْ ... إلى كم تُرى في قِصَّتي غيرُ مُحْسنِ
إلى كم يـدومُ الهجرُ والعتبُ بيننا ... سـألتُـكَ بـالـرحمـن ألاّ رَحَمْتَنـي
فيـا لائمـي فـي أحمـد لـو رأيتَـه ... لمـا لِمْتنـي فـي حبِّـه، وَعـذَرتنـي
أتعجـبُ أن قـالـوا بِفَـوْرَكَ جِنَّـة ... بنفسـي ومـالـي مـن هـواه أجننـي

ثم قال: إحملوا على بركة اللّه. فحملت الميمنة على الميسرة، وأخذ كل عاشق معشوقة.

قال ولقيته في يوم خميس في جماعة من الصبيان، منصرفاً من تشييع غلام كان يحبه، وهو يحدثهم ويلطم خده ويقول: ما أحرّ الفراق!؟ فقلت: يا أبا محمد، من أين أقبلت؟ قال: من تشييع الحجاج وبكى، وقال:

هُـمْ رَحَلُـوا يـومَ الخميـسِ عَشِيَّـةً ... فَـوَدَّعْتُهُـمْ لَمّـا اسْتَقَلُّـوا وَوَدَّعُـوا
فلمـا تَـوَلَّـوا وَلَّـتِ النفـسُ مَعْهُـم، ... فقلت: إرجعي قالتْ: إلى أينَ أَرجعُ؟
إلـى جسـدٍ مـا فيـهِ لحـمٌ ولا دمٌ ... ولا فيـه إلاّ أعظـم تتقعقـعُ [١]
وكذَّبتُ فِيكِ الطرفَ، والطرفُ صادقٌ وأسمعتُ أُذني فيكِ ما ليسَ أَسمعُ

٣٥ ـ قال الحسن بن رفاعة: رأيت علوية المجنون يوماً وفي عنقه حبل والصبيان يجرونه، فلما رآني قال: يا أبا علي بماذا يعذب اللّه أهل الجرائم يوم القيامة؟ قلت: بأشد العذاب. قال: فأنا واللّه في أشد من عذابه. لو عذب اللّه أهل جهنم بالحب والهجر والرقباء لكان أشد عليهم، ثم قال:

---

(١) تعقع: أحدث صوتاً واضطرب.

انظـر إلـى صنـع الحُـبُّ لـم يبـق لـي جسـم ولا قلـبُ
أنحـل جسمـي حـبُّ مَـنْ لـم يَـزَل مِـن شـأنـه الهجـرانُ والعتـبُ
مـا كـان أغنـانـي عـن حـبِّ مَـنْ مِـن دُونـه الأسـتـارُ والحُجْـبُ

قال: وحضرته وقد أتوه بطبيب يعالجه، والطبيب يعاتبه ويقول له: لو تركتني لعالجتك ورجوت أن تبرأ فقال في ذلك:

أنَـا منـكَ أعلـمُ أيهـا المتكلـمُ مـا بـيْ أجـلُّ مـن الجنـونِ وأعظـمُ
أنا عاشقٌ، فإنِ استطعتَ لعَاشقٌ بـرأ مَنَنْـتَ بـه وأنـتَ مُحَكَّـمُ
هيهـاتَ، أنـتَ لغيـر مـا بـي عـالـمٌ وسـواكَ، بـالـدّاءِ الـذي بـي أعلَـمُ
دائـي دسيـسٌ، قـد تضمَّنَـهُ الهـوى، تحـتَ الجـوانـحِ نـارُهُ تَتَضَـرَّمُ

قال: ومررت ببعض المجانين وهو جالس وحده متفكراً، فقلت: ما خبرك؟ قال:

أقـولُ بـأعلـى الصـوتِ مـا بـي جِنَّـة وما بي إلا حبُّ من ليس يُنْصِف
ومـا بـي جنـونٌ غيـر أنَ بليتـي إذا انكشفـت منـه أرقُّ وألطـفُ
بنفسـي وأهـلـي، مـن أرى الـمـوتَ جـهـرةً،
إذا مـا بـدا منـه البـنـانُ الـمـطـرَّفُ [1]

قال: وكان فورك يتعشق غلاماً يسمى غلبَاً فأتاه بعضُ إخوانه فقال: إني خارج نحو غلب، فهل من حاجة؟ فقال:

نعم أوصيـك إن أبصـرت غُـلْـبـاً فـقـبِّـل وَجْـنـتيـه وإن تـأبَّـى
وقُـلْ هـذي وصيـة مستهـام إليـك قَتَلْتَـه شُغفـاً وحُبّـا

٣٦ ـ ودخل مهدي على بعض ولاة اليمامة، فسأله الوالي عن مجلسه مع ظبية، واستنشده ما قال فيها من الشعر. وكان ابن ظبية حاضراً، فأنشده مهديّ بيتين يصفها فيهما بالعفاف. فقام ابنها فنزع عن نفسه جبة خز ووشاحاً ألقاهما على

(١) المطرّف: الأنامل المخضبة بالحناء.

مهدي لما وصف أمه بالعفاف.

٣٧ ـ قال أحمد بن يحيى: كان القيطنون متملكاً على أهل المدينة، وكان قد سامهم خسفاً، وشرط عليهم أنه لا تدخل امرأة على زوجها حتى يبدأ بها. فزوّج مالك بن عجلان الخزرجي أخته. فلما جهزها وأراد إهداءها إلى زوجها، وهو قاعد في مجلس الخزرج، إذ خرجت أخته على الحي سافرة. فغضب مالك، ووثب إليها ليتناولها بالسيف، وقال لها: فضحتني، ونكست رأسي، وأغضضت بصري. فقالت له: الذي تريد بي أنت شر من هذا وأقبح وأفضح. إن كنت تهديني إلى غير بعلي فيصيبني، فهذا شر من خروجي سافرة حاسرة! فقال مالك: صدقت، وأبيك. وسكت عنها، فلما رجعت إلى خدرها دخل إليها، فقال لها: هل فيك من خير؟ فقالت: أي خير عند امرأة إلا أن تناك؟! فقال لها: اكتمي ما أريده، قالت: نعم. فشرح لها ما عزم عليه. فلما أمست أتتها رسل القيطنون ليأتوه بها، فلبست وتعطرت وتحلت، ولبس معها وتعطر واشتمل على السيف ومضى معها في جملة نسائها إلى قصر القيطنون. فلما خلا بها في مشربة له، ودنا منها تنحى نساؤها عنها إلا مالك وحده، فقالت للقيطنون: بحق التوراة ألا أمهلتني ساعة حتى ترجع نفسي فيها إلي، وتركت أختي هذه تؤانسني عندك، فإني ألفتها من بين أهلي؟ فقال: نعم. فلما هدأت ساعة، قال: تقدمي إلى فراشك حتى ألحقك. فقام القيطنون إلى باب مشربته فأغلقه، وأتى فراشه. وكشف مالك عن السيف ثم ضربه به حتى برد. فاجتمع الحيان من الأوس [١] والخزرج [٢] فسوّدوه على أنفسهم، وملكوه، إذ أراحهم من عار الدهر. وذلت اليهود بعد ذلك فلم ترفع رأساً.

٣٨ ـ قال الزبير بن بكار: كان عبد الرحمٰن بن أبي عمار من عبّاد أهل مكة، فسُمِّيَ القسَّ من عبادته. فمر ذات يوم بدار سهل بن عبد الرحمٰن بن عوف مولى سلامة الزرقاء، وهي تغني، فسمع غناءها، فبلغ منه كل مبلغ، فرآه مولاها وتبين ما لحقه، فقال له: هل لك أن تدخل إليها وتسمع منها؟ فامتنع وأبَى. فقال له: أنا أقعدك في موضع تسمع من غنائها ولا تراها ولا تراك. ولم يزل به حتى دخل

(١) الأوس: قبيلة عربية أيام الجاهلية في المدينة.
(٢) الخزرج: قبيلة عربية من اليمن.

وسمع غناءها، فأعجبه، فقال له: هل لك أن أخرجها لك؟فامتنع بعض الامتناع، ثم أجابه. فأخرجها إليه، وأقعدها بين يديه، وغنته، فشغف بها، وشغفت به. وكان أديباً ظريفاً. واشتهر أمره معها بمكة حتى سموها سلامة القس. وخلا معها يوماً، فقالت له: أنا واللّه أحبك فقال لها: أنا واللّه كذلك. قالت له: أُحب أن أضع فمك على فمي. قال: وأنا، واللّه. قالت: فما يمنعك من ذلك، فواللّه إن الموضع لخال؟ فقال لها: ويحك، إني سمعت اللّه عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿الأخلاء [1] يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتقين﴾ [2]. وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة. ثم نهض وعيناه تذرفان من حبها وعاد إلى الطريقة التي كان عليها من النسك والعبادة. وكان يمر في بعض الأيّام ببابها فيرسل إليها بالسلام فيقال له: أدخل! فيأبى. وقال فيها أشعاراً كثيرة، وغنته بها. فمنها:

إن التـي طَـرَقَتْـكَ بيـن ركـائـبٍ تمشي بمزهَـرِهـا [3] وأنـتَ حـرامُ

بـاتَـتْ تُعَلِّلُنَـا، وتحسـبُ أننـا، فـي ذاك أيقـاظٌ ونحـنُ نيـامُ

حتـى إذا سطـعَ الصبـاحُ لنـاظِـرٍ فـإذا الـذي مـا بيننـا أحـلامُ

قد كنتُ أعذلُ في السفاهةِ أهلها فـاعجـبْ بمـا تـأتـي بـه الأيـام

فـاليـومُ أعـذُرُهُـمْ وأعلـم أنمـا طُـرُقُ الضَّـلالـةِ والهـدى أقسـام

وفيها قوله:

علـى سـلاّمـة القلـبِ السـلامُ تحيـةَ مـن زيـارتـه لِمـامُ

أُحِـبُّ لقـاءَهـا، وأَلـومُ نفسـي، كـأن لقـاءهـا شـيءٌ حـرام

إذا مـا حـنَّ مـزهـرَهـا إليهـا وحنَّـتْ نَحْـوَه، أُذنَ الكـرامُ

فمـدُّوا نَحْـوَهـا الأعنـاقَ حتـى كـأنهـم ومـا نـامـوا نيـام

وله فيها أشعار كثيرة تركت ذكرها ها هنا لأنها مستقصاة من أخبارها في

---

(١) الأخلاء: جمع خل: وهو الصديق المختص.
(٢) سورة الزخرف (٤٣)، الآية: ٦٧.
(٣) المزهر: أحد آلات الطرب.

كتاب «طبقات المغنين».

٣٩ ـ قال: وفدت عزة وبثينة على عبد الملك بن مروان فلما دخلتا عليه انحرف إلى عزة، وقال لها: أنت عزة كثير؟ قالت: لست لكثير بعزة ولكني أم بكر الضمرية. قال: أتروين قول كثير فيك؟

لقد زعمت أنني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالتي ... عهدت، ولم يخبر بسرك مخبر

قالت: لست أروي هذا، ولكني أروي غيره حيث يقول:

كأني أنادي صخرةً حين أعرضتْ ... من الصُّم لو يمشي بها العصمُ زلتِ

صفوحاً فما تلقاكِ إلا بحيلة ... فمن ملَّ منها ذلك الوصلَ ملتِ

ثم عطف على بثينة فقال لها: ما رأى جميل حين لهج بذكرك بين النساء كلهن؟ قالت: الذي رأى فيك الناس حين جعلوك خليفة من بين رجال العالمين. فضحك حتى بدت سن له سوداء، كان يخفيها، وأجزل جائزتهما وقضى حوائجهما.

٤٠ ـ وقال محمد بن يحيى المدني [١]: سمعت عطاء يقول: كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولاً كاملاً يفرح إن رأى مرآها، وإن ظفَرَ منها بمجلسٍ تشاكيا وتناشدا الأشعار. فاليوم يشير إليها، وتشير إليه، فإذا التقيا لم يشكوا حباً، ولم ينشدا شعراً. وقام إليها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وأصحابه.

٤١ ـ وحكى أبو الحسن المدايني قال: هوي بعض المسلمين جارية بمكة فأرادها، فامتنعت عليه. فأنشدها:

سألتُ الفتى المكيَّ هلْ في تزاورٍ ... وقبلةِ مشتاقِ الفؤادِ، جُنَاحُ؟

فقال: معاذَ اللَّهِ أنْ يُذهِبَ الهوى ... تلاصقُ أكبادٍ بهنّ جراحُ

---

(١) هو محمد بن يحيى بن علي أبو غسان المدني، قال الحافظ أبو بكر بن مفوز الشاطبي: كان أحد الثقات المشاهير يحمل الحديث والأدب والتفسير ومن بيت علم ونباهة. وذكره ابن حبان في الثقات وقد وثقه كثير من العلماء. انظر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٣١.

فقالت له: باللّه، إنك سمعته وسألته فأجابك بهذا الجواب؟ قال: نعم. فزارته وجعلت تقول: إياك أن تتعدى ما أمرك به عطاء.

٤٢ ـ وروى عبد الرحمٰن بن نافع [(١)]، أَن أبا هريرة سئل عن قول اللّه عزَ وجلّ ﴿الَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثم والفواحشَ إلاَّ اللَّممَ﴾ [(٢)]. فقال: هي النظرة الغمزة والقبلة. وقال مجاهد: هو الرجل يلم بالذنب مرة ثم لا يعود، وبإسناد عن رسول اللّه ﷺ، أن رجلاً جاء إليه فقال له: إني أخذت امرأة في البستان فأصبت منها كل شيء، إلا أني لم أنكحها فاصنع ما شئت؟ فسكت عنه ﷺ. فلما ذهب، دعاه فقرأ عليه ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفي النَّهَارِ وَزُلَفَاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [(٣)] الآية.

٤٣ ـ قيل لأعرابي: ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى؟ قال: كنت أمتع عيني في وجهها، وقلبي من حديثها، وأستر منها ما لا يحبه اللّه ولا يرضى بكشفِه إلا عند حله. قيل: فإن خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك؟ قال: أَكِلُ قلبي إلى حبها، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل إلى نقض عهدها.

٤٤ ـ ويروى عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «سبعة يظلهم اللّه بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة اللّه، ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في اللّه اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللّه، ورجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما تُسِرُّ يمينه، ورجل ذكر اللّه خالياً ففاضت عيناه».

٤٥ ـ وعن عبد الملك بن قريب الأصمعي قال: بصرت الزباء بعمر بن أبي ربيعة، وهو يطوف بالبيت، فتنكرت له وفي كفها خلوق [(٤)]، فمسحته بثوبه،

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي وروى عن أبي موسى الأشعري، وروى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمٰن وذكره ابن شاهين في الصحابة وعزاه لابن سعد. وأبوه صحابي شهير. انظر: تهذيب التهذيب: ٣/ ٤٢٨.

(٢) سورة النجم (٥٣)، الآية: ٣٢.

(٣) سورة هود (١١)، الآية: ١١٤.

(٤) خلوق: هو ضرب من الطيب، أعظم أجزائه الزعفران.

فقال:

أدخلَ اللَّهُ ربُّ موسى وعيسى ... جنةَ الخلدِ من مَلاَني خلوقَا
مَسَحَتْ كفُّها بجيبِ قميصي ... حينَ طُفْنَا بالبيتِ مَسْحاً رقيقا
لو تُجَازَى القلوبُ بالودِّ أمسى ... قلبُها مائلاً إلينا شفيقا

فنظر إليه عبد اللَّه بن عمر في تلك الحالة ينشد الأبيات، فقال: ما هذا زي المحرم وما يحل للمحرم أن يقول مثل هذا القول في هذا الموضع! فقال: يا أبا عبد الرحمٰن قد سمعت مني ما سمعت، فورب هذه البنية، ما حللت إزاري على حرام قط.

٤٦ ـ قال الهيثم بن عدي [١] دخلت ليلى بنت عبد اللَّه الأخيلية على الحجاج وعنده وجوه الناس وأشرافهم. فاستأذنته في الإنشاد، فأذن لها، فأنشدته قصيدة مدحته بها. فلما فرغت من إنشادها، قال الحجاج لجلسائه: أتدرون من هذه الجارية؟ قالوا: لا نعلم، أصلح اللَّه الأمير، ولكنا لم نر امرأة أكمل منها كمالاً، ولا أجمل منها جمالاً، ولا أطلق لساناً، ولا أبين بياناً، فمن هي؟ قال: هذه هي ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير الذي يقول فيها:

نأتْكَ بليلى دارُها لا تزورها ... وشَطَّ [٢] نواها واستمرَّ مريرها

ثم قال لها: يا ليلى ما الذي رَابه من سفورك حيث يقول:

وكنتُ إذا ما زرتُ ليلى تَبرَقَعَتْ ... فقدْ رابني منها الغداةَ سفورُها

قالت: أصلح اللَّه الأمير، لم يرني قط إلا متبرقعة وكان أرسل إلي رسولاً أنه يلمّ بنا، ففطن الحي لرسوله، فأعدوا له وكمنوا، وفَطنت لذلك، فلم يلبث أن جاء، فألقيت برقعي وسفرت له، فلما رأى ذلك أنكره وعرف الشر، فلم يزد أن سلم عليّ وسأل عن حالي وانصرف راجعاً. فقال الحجاج لها: للَّه درك فهل كانت

(١) الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمٰن الطائي الكوفي الأخباري المؤرخ، روى عن مجاهد وابن إسحاق وجماعة وهو متروك الحديث، وقال أبو داود السجستاني: كذاب، توفي سنة ٢٠٧ هـ انظر: شذرات الذهب: ١٩/٢.
(٢) شطّ: بَعدُ.

بينكما ريبة؟ قالت: لا، والذي أسأله أن يصلحك! إلى أن قال مرة قولاً ظننت أنه خضع لبعض الأمر، فقلت له مسرعة هذا الشعر. أنشأت وهي تقول:

وذي حاجةٍ قلنا لـهُ لا تَبُحْ بها   فليسَ إليها ما حييتُ سبيلُ
لنَا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه   وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ

فلا والذي أسأله صلاحُك، ما كَلَّمَني بشيء بعدها استربته حتى فرق الدهر بيني وبينه.

٤٧ ـ قال أبو عثمان: قد ترى الأعرابي، وظاهره ظاهر الجفاء، فما هو إلا أن يعشق حتى تجده أرق من الماء، وألطف من الهواء. ومع ذلك يلقى أحدهم عشيقته فيترشفها ويعانقها من دون الثياب ويمنعه التكرم ويحجزه الوَرَع عن وَطْئها وإن أمكنته. قال ابن هرمة.

ولربَّ لذةِ ليلةٍ قدْ نلتُها   وَحَرَامُهَا لحلالَها مدفوعُ

ويقتصرون على الحديث والقبل واللمس.

٤٨ ـ قال العتبي: قيل لبعض الأعراب، ما الذي ينال أحدكم من عشيقته إذا خلا بها؟ قال: اللمس والقبل والحديث. قال: فهل يطؤها؟ قال: بأبي أنت وأُمي ليس هذا عاشقاً هذا طالب ولد.

قال: وكان الشرط بين العاشق ومعشوقه إذا خَلَوا أن يكون له نصفها الأعلى من سرتها إلى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء، ولبعلها من سرتها إلى أخمصها. وأنشد ابن الأعرابي في مثل ذلك:

فَلِلْخِلِّ [1] شطرٌ مطلقٌ من عِقَالِه   وَلِلْبَعْلِ [2] شطرٌ ما يرامُ منيعُ

وأنشد أبو عمرو بن العلاء في نحوه:

لها نصفان من حل وبل   ونصفٌ كالبَحِيرَة [3] ما يهاجُ

(١) الخِل: هو الصديق المختص.
(٢) للبعل: أي الزوجَ.
(٣) البحيرة: الناقة في الجاهلية، إذا ولدت خمسة أبطن شقوا أذنها وأعفوها بما ينتفع به، ولم يمنعوها من الماء.

يقول نصفها الأعلى لعشيقها طلق، ونصفها الآخر عليه كالبحيرة فإنها كانت في الجاهلية حراماً لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلأ ولا ماء ـ وأنشد الأصمعي لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته:

فهلْ لكَ في البِدَالِ أبا زُنَيْمٍ   وأقنعْ بالأكارعِ [١] والعجوبِ [٢]

قال إبراهيم بن بشارة النظّام: قد يمكن الرجل أن يحتجر عن ذلك ما دام ليس له هنالك إلا الحديث والقبلة، فأما إذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلا بد أن ينعظ. وينشط»وإذا أنعظ وهو في الإزار معها انتقض العزم، كما قال عبد الرحمٰن بن أم الحكم:

وكأسٌ تُرى بينَ الإناءِ وبينها   قذى العين قد نازعتْ أم أبانِ

ترى شاربيها حين يعتورانَها   يميلانِ أحياناً ويعتدلانِ

فما ظنّ ذا الواشي بأبيضَ ماجدٍ   وبيضاءَ خودٍ حينَ يلتقيانِ

دعتْني أخاها أمّ عمرٍو ولمْ أكنْ   أخاها ولم أرضع لها بلبانِ

دعتني أخاها بعدَ ما كانَ بيننا   من الأمرِ ما لا يفعلُ الأخوانِ

٤٩ ـ وقد ذكرنا: أن أهلِ طبرستان [٣] لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر [٤] بها حولاً كاملاً محرماً ثم يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ثم يتزوج بها، ويزعمون مع ذلك أنهم يجدونها بكراً، وقد عانقها في إزار واحد سنة تامة وهو لا يستظهر بها، ويحتمل وحشة الإغتراب، وانقطاع الأسباب إلا من عشق غالب. ولا يجوز أن تؤاتيه الجارية إلا وبها شبه الذي به. وإن من أعجب العجب أن يمكثا متعانقين في لحاف واحد ثم يحتجران عن الزنا تكرُّماً وتحرجاً! وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب.

٥٠ ـ ومن قول سهيل بن هارون [٥]: ثلاثة من المجانين وإن كانو عقلاء:

(١) الأكارع: جمع كراع وهو دون الركبة إلى الكعب.
(٢) العجوب: حمع عجب، وهي أصل الذنب عند رأس العصعص في نهاية العمود الفقري.
(٣) طبرستان: ما بين جنوبي بحر قزوين وشمالي جبال البرز معجم البلدان (١٣/٤).
(٤) يستظهر: يستعين ويحتاط.
(٥) سهيل بن هارون هو أبو محمد الفارسي الأصل دخل البصرة، واتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة، =

الغضبان، والعزبان، والسكران. فقال له أبو عبد الله الخليع: والمنعظ يا أبا عمرو؟ فقال: والمنعظ. وضحك وأنشد:

ومـا شـرُّ الثـلاثـةِ أُمَّ عمـرٍو بصـاحبـكِ الـذي لا تصحبينـا

قال الأصمعي: كان فتى من ثقيف شديد الحياء، كريماً أديباً، فبينا هو جالس، إذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك أن قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هي، وأين تريد. وقد كَلِف بها واشتد عشقه لها، فأتبعها حتى دخلت منزل أخيه فإذا هي امرأته، فضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع، وكتم شأنه، وجعل ما به يزداد كل يوم حتى نحل جسمه، فأنكر شأنه أخوه وأهله وسألوه عما به. فلم يخبرهم بشيء من أمره. فدعا أخوه الأطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيئاً، فلما أعياهم ما به، وزاد سقمه، سلمه أخوه إلى الحارث بن كلدة وكان من أطباء العرب فنظر إليه الحارث فلم ير به داء ينكر، غير أنه ظن أنه عاشق. فخلا به الحارث فسأله، فأبى أن يقرَّ له بشيء. فلما أعيا الحارث جعل يسأل عن أسمائهم وأسماء نسائهم، والفتى ملقى بين يديه، كلما سميت امرأة منهم نظر الحارث وجه المريض حتى جاء اسم امرأة أخيه فارتاح وتنفس، واغرورقت عيناه بالدموع. فعلم الحارث أمره، وقال لأخيه: إذهب فجئني بجميع أهليكم، ولا يتخلف عني أحد منهم امرأة ولا رجلاً، فإني قد وقعت على دائه. فخرج أخوه حتى أتى أهله، فجمعهم في منزل ونقل الحارث المريض إليهم، وقال: لا يغيبن عنه امرأة ولا رجل. فلما نظر الرجل إلى امرأة أخيه خفَّ عنه بعض ما كان يجده. فعرف الحارث ذلك منه، فأمر بشاة فذبحت، وأخرج كبدها فوضعها على النار، ثم أطعمه منها فأكل ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه، وفعل ذلك به أياماً يزيده في كل يوم شيئاً قليلاً في مطعمه ومشربه. فحسنت حاله، ورجعل إليه بعض جسمه. فلما رأى الحارث أنه قوي بعض القوة صنع له طعاماً وهيأ له شراباً ثم أحضر الفتى وأخاه فطعما وشربا، وأمر الحارث أخاه أن ينصرف وقام هو ووكلَّ هو بالفتى من يسقيه ويغنيه، وقال: إحفظ حديثه، وكل ما يتكلم به، وحدثه كل حديث تعرفه في العشق وأخبار العشاق،

=وكان أديباً كاتباً، شاعراً، حكيماً، شعوبياً، يتعصب للعجم على العرب. وله كتب كثيرة منها: ثعلة وعفراء، والضربين، توفي سنة ٢١٥ هـ. انظر: معجم الأدباء: ٢٦٦/١١.

وأشعارهم. فلما أخذ الشراب في الفتى تغنَّى:

أهـــــلَ ودِّي، ألا أَسلِمُـــــوا وَقِفُـــوا كَـــيْ تَكَلَّمُـــوا:
أخـــذَ الحـــيُّ حظَّهـــمْ مِـــنْ فـــؤادي وأنعـــمُ
فهمـــومـــي كثيـــرةٌ وفـــؤادي متيّـــمُ
وأخـــو الحـــبِّ جسمُـــه أبـــدَ الـــدهـــرِ يسقـــمُ

فلما أصبح الحارث، دعا الموكَّل بالفتى فسأله، فعرَّفه بكل شيء، فحدثه وأنشد الأبيات التي تغنى بها. فدعا أخاه فعرفه أنه عاشق لامرأته. فقال له: يا أخي أنا أنزل لك عنها، وتتزوجها. فلما سمعه الفتى استحيا وخرج هارباً على وجهه، فلم يقفوا له على خبر إلى اليوم فسمي فقيد ثقيف.

٥٢ ـ وروى نافع مولى ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: بينا ثلاثة نفر يمشون إذ أخذهم المطر فَأَوَوْا إلى غار في جبل. فانحط عليهم من الجبل صخرة فانطبقت عليهم، وقال بعضهم: انظروا أعمالاً عملتموها للَّه صالحة، فادعوا اللَّه بها. فدعوا اللَّه، تبارك وتعالى، فقال أحدهم:

اللَّهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وامرأة وصبيان، فكنت أرعى عليهم فإذا رحت إليهم حلبت، وبدأت بوالديَّ أسقيهما قبل بَنيَّ. وإني لم آت يوماً حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، فجعلوا يتضاغون [1] تحت قدمي، فلم يزل ذلك دأبهم حتى طلع الفجر. فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء». ففرج اللَّه له فرجة.

وقال الآخر: اللَّهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنة عم فأحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبتُ إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها، فلما قعدتُ بين رجليها، قالت: «يا عبد اللَّه، اتق

(١) يتضاغون: يصيحون من شدة الجوع.

اللَّه ولا تفضَّن الخاتَم [١] إلا بحقه. فقمت عنها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء». ففرج اللَّه جل ثناؤه فرجة.

وقال الآخر: اللَّهم إنك تعلم أني استأجرت أجيراً فلما قضى عمله قال؛ أعطني حقي. فأعرضت عنه وتركته، ثم اشتريت بحقه بقراً وراعياً لها فجاءني بعد حين، فقال لي: «إتق اللَّه ولا تظلمني، وأعطني حقي. فقلت له: إذهب إلى تلك البقر وراعيها. فأخذها وذهب، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا ما بقي». ففرجها اللَّه عنهم.

٥٣ ـ قال الأصمعي: قلت لأعرابية ن بني عُذْرة: أنتم أكثر الناس عشقاً فما تعدون العشق فيكم؟ قالت: الغمزة والقبلة والضمة. ثم قالت:

مـــا الحـــب إلا قبلـــة وغمـــز كـــف، وعضـــد

مـــا الحـــب إلا هكـــذا إن نكـــح الحـــب فســـد

ثم قالت: وأنتم يا حضر، كيف تعدون العشق فيكم؟ قلت: يقعد بين رجليها ويجهد نفسه. فقالت: يا ابن أخي، ما هذا عاشقاً هذا طالب ولد.

٥٤ ـ وروي عن عبد الرحمٰن بن عوف، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا صلت المـرأة خمسهـا، وحفظـت فـرجهـا، وأطـاعـت زوجهـا، دخلـت الجنـة».

٥٥ ـ عرض الحجاج سجنه يوماً، فأتي برجل فقال له: ما كان جرمك؟ قال: أصلح اللَّه الأمير، أخذني العَسَس [٢] وأنا مخبرك بخبري، فإن يكن الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة. فقال: ما قصتك؟ قال: كنت أخاً لرجل فضرب الأمير عليه البعث إلى خراسان، فكانت امرأته تجد بي وأنا لا أشعر، فبعثت إلي يوماً رسولاً قد جاء كتاب صاحبك فهلم فلتقرأه. فمضيت إليها، فجعلت تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء، ثم أظهرت لي ما في نفسها، ودعتني إلى السوء، فأبيت ذلك. فقالت: واللَّه لئن لم تفعل لأصيحن ولأقولن أنك لص. فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هارباً. وكان القتل أهون علي من خيانة أخي. فلقيني

---

(١) الخاتم: أي البكارة.

(٢) العَسَسَ: الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة.

عسس الأمير فأخذوني. وأنا أقول متمثلاً:

رُبَّ بيضــــاءَ ذاتِ دِلّ وحُسْـــــن قــد دعتنــي لــوَصْلِهــا فــأبَيْــتُ
لــم يكــن شــأنــي العَفَــافُ ولكــن كنت نَدْمان [1] زوجها فاستحيت

فعرف صدق حديثه وأمر بإطلاقه.

٥٦ ـ قيل لبعض الأعراب، وقد طال عشقه لجارية: ما أنت صانع لو ظفرت بها ولا يراكما غير اللّه؟ قال: إذاً، واللّه لا أجعله أهون الناظرين، لكني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها، حديث يطول، ولحظ كليل [2] وترك ما يكرهه الرب، وينقطع به الحب.

٥٧ ـ قال محمد بن عبيد الزاهد: كانت عندي جارية فبعتها، فتبعتها نفسي، فسرت إلى مولاها مع جماعة إخوانه، فسألوه أن يقيلني ويربح عليّ ما شاء، فأبى، فانصرفت من عنده مهموماً مغموماً، فبتُّ ساهراً لا أدري ما أصنع، فلما رأيت ما بي من الجهد، كتبت اسمها في راحتي، واستقبلت القبلة. فكل ما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي إلى السماء وقلت: يا سيدي هذه قصتي. حتى إذا كان في السحر من اليوم الثاني، إذا أنا برجل يدق الباب، فقلت: من هذا: أنا مولى الجارية. ففتحت، وإذا بها. فقال: خذها بارك اللّه لك فيها! فقلت: خذ مالك والربح. فقال: ما كنت لآخذ ديناراً ولا درهماً. قلت: فلم ذلك؟ قال: أتاني الليلة في منامي آت فقال: رد الجارية على ابن عبيد اللّه، ولك الجنة.

٥٨ ـ وكان عبد الرحمٰن بن أبي عمار فقيه أهل الحجاز قد مَرَّ بنخَّاس [3] معه فتيات، فنظر إليهن، فتعلق بواحدة منهن، فاشتد وجده بها، واشتهر بذكرها، حتى أتى إليه عطاء ومجاهد يعذلونه. فلم يكن جوابه إلا أن قال:

---

(١) ندمان: من النديم، وهو المصاحب على الشراب المسافر.
(٢) الكليل: الضعيف.
(٣) نخَّاس: بائع الدواب والرقيق.

يلـومنـي فيـكِ أقـوامٌ أُجـالسُهـمْ فمـا أُبـالـي أَطَـالَ اللـومُ أَمْ قَصُـرَا

فانتهى خبره إلى عبد اللّٰه بن جعفر فخرج حاجاً بسببه، وبعث إلى مولى الجارية واشتراها منه بأربعين ألفاً، وأمرَ قيِّمةَ [١] جواريه فحلَّتها وزينتها. وبلغ الناسَ قُدومه، فدخلوا إليه للسلام عليه، وفيهم عبد الرحمٰن بن أبي عمار. فلما أراد الشخوص أستجلسه، فقال له: ما فعل حب فلانة؟ قال: مشوب باللحم والدم والمخ والعظم والعصب. وأمر بالجارية فأُخرجت إليه، وقال: هي هذه؟ قال: نعم، أصلحك اللّٰه. قال: إنما اشتريتها لك، فواللّٰه ما دنوت منها، فشأنُك بها، فهي لك مباركة. وأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: خذ هذا المال لئلا تهتم بها وتهتم بك. قال، فبكى عبد الرحمٰن فرحاً وقال: يا أهل البيت قد خصكم اللّٰه بأشرف ما خص به أحداً من صلب آدم، فلتهنئكم هذه النعمة، وبارك لكم فيها. فكان هذا الفعل بعض ما اشتهر به عبد اللّٰه بن جعفر من الجود.

٥٩ ـ وقيل لأعرابي: تعرف الزنا: قال: وكيف لا. قيل: فما هو؟ قال: مص الريقة، ولثم العشيقة، والأخذ من الحديث بنصيب. قيل: ما هكذا نعده فينا! قال: فما تعدونه؟ قيل: النق الشديد أن تجمع بين الركبة والوريد، وصوت يوقظ النُّوَّام، وفعل يوجب كثيراً من الآثام. قال: للّٰه ما يفعل هذا العدو البعيد، فكيف الصديق الودود.

٦٠ ـ وقيل لآخر: ما كنت صانعاً لو ظفرت بمن تهوى؟ قال: كنت أطيع الحب في لثامها، وأعصي الشيطان في آثامها، ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميماً عاره، وينشر قبيحه أخباره في ساعة تفقد لذتها. إني إذاً لئيم، ولم يلدني كريم.

٦١ ـ وقيل لآخر: ما أنت صانع إن ظفرت بمن تحب؟ قال: أحلل ما يشتمل عليه الخمار. وأحرم ما كتمه الإزار، وأزجر الحب عما يغضب الرب.

٦٢ ـ وقيل لليلى هذا قيس مات لما به من عشقك. قالت: ولقد خفت واللّٰه أن أموت بذلك منه. قيل لها: فما عندك حيلة تخفف ما به؟ قالت: صبري،

(١) قيمة جوارية: من تقوم بشأنهم وتسوس أمرهم.

وصبره، أو يحكم اللّه بيننا وهو خير الحاكمين.

٦٣ ـ وقيل لعفراء: وقد بلغها ما نزل بعروة، فكادت تبوح بسرها فقيل لها: أما عندك له حيلة تخفف ما به؟ فقالت: واللّه، لأنا أَسَرُّ بذلك وأشوق إليه منه، ولكن لا سبيل إلى احتمال العار، ودخول النار.

٦٤ ـ وقيل لمية بعد موت قابوس: ما كان يضرك لو أمتعته بوجهك قبل موته؟ قالت: منعني من ذلك خوف العار، وشماتة الجار. ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه، غير أني وجدت ستره أبقى لنا لما في الصدر من المودة، وأحمد للعافية.

٦٥ ـ وقيل لابنة ملك من ملوك الفرس، وقد أجهدها عشق رجل من أساورة أبيها: لو رَوَّحْت عن قلبك بالإجتماع معه، كف ذلك من وجدك. قالت: إن الأمر على ما تصفون، ولكن ما عذري إذا هتكتُ ستري، وأظهرت أمري، عند من لا يلزمه عاري، ويرغمه اشتهاري، واللّه لا كان هذا أبداً.

٦٦ ـ وحكى السري بن المطلب قال: كان الحارث بن الشريد يعشق عفراء بنت أحمر. فلما عيل صبره كتب إليها:

صَبَرْتُ على كِتْمانِ حُبِّكِ بُرْهةً ... وبي مِنْكِ في الأحشاءِ أَصْدَقُ شاهدِ
هو الموتُ إنْ لم يأتني منكِ رقعةٌ ... تقومُ لقلبي في مقامِ العوائدِ

فلما وصلت الرقعة كتبت إليه:

كُفِيْتَ الذي تخشى وصرتَ إلى المُنى ... ونلتَ الذي تهوى برغمِ الحواسدِ
فواللّه لولا أن يقال تظننا ... بي السوء، ما جانبت فعل العوائد

فلما وصلت الرقعة إليه وضعها على وجهه، فلما شم رائحة يدها شهق شهقة فقضى نحبه. فقيل لعفراء ما كان يضرك لو روحت عن قلبه وأجبته بزورة؟ قالت منعني من ذاك قولكن عفراء قد صَبَت إلى الحارث! فواللّه لاقتلن نفسي إثره من حيث لا يعلم بي أحد إلا اللّه. فلحقت به سريعاً.

٦٧ ـ قال العتبي: عشق كامل بن الرضين أسماء بنت عبد اللّه بن مسافر

الثقفية، وهي ابنة عمه، فلم يزل به العشق حتى صار كالشنِّ[١] البالي. فلما اشتد ما به، شكا أبوه إلى أبيها فزوجها له، فحمل إلى دارها وفيه رمق، فلما دخل الدار، قال: أو أنا بموضع تسمع أسماء كلامي؟ قيل: نعم. فشهق شهقة قضى مكانه. فقيل لها: يا أسماء، قد مات بغصة. قالت: واللّٰه لأموتن بمثلها، ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني قبح ذكر الريبة، وسماجة الغيبة. وسقطت في المرض، فلما اشتد بها، قالت لأخص نسائها: صوِّري لي صورته، فإني أحب أن أزوره قبل موتي. ففعلت. فلما رأت الصورة اعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها. فدفنت مع الفتى في قبر واحد. وكتب على قبرهما:

بنفسي هُما ما مُتِّعا بهواهما ... على الدهرِ حتى غُيِّبا في المقابرِ

أقاما على غيرِ التزاورِ برهةً ... فلما أُصيبا قُرِّبا بالتزاور

فيا حُسْنَ قبرٍ زارَ قبراً يُحبه ... ويا زورةً جاءتْ بريبِ المقادرِ

٦٨ ـ قال العتبي: قال أعرابي: إن لم يكن العشق ضرباً من السحر إنه لَسْعةٌ من الجنون.

٦٩ ـ وسئلت أعرابية عن الهوى، فقالت: هو الهوان غلط باسمه، وإنما يَعرف ما نقول من أبكته المعارف والطلول.

٧٠ ـ وسئلت أعرابية عن صفة الهوى، فقالت:

الحبُّ أولُّه مَيْلٌ تهيمُ به ... نفسُ المحبِ فيلقى الموتَ كاللّعِبِ

يكونُ مبدؤُه من نظرةٍ عَرَضت ... أو كزحةٍ أشعلت في القلب كاللَّهَبِ

كالنار مبدؤها من قدحةٍ، فإذا ... تضرَّمَتْ أحرقتْ مستجمع الحَطبِ

وأنشد لأبي جعفر الطربخي:

ليس خطبُ الهوى بخطب يسيرٍ ... لا يُنَبِّئكَ عنهُ مثلُ خبيرَ

ليس أمرُ الهوى يدبّر بالرأ ... ي ولا بالقياس والتفكيرِ

إنما الحب والهوى خطراتٌ ... محدثاتُ الأُمورِ بعد الأُمور

---

(١) الشنّ: القربة الخلق الصغيرة، يكون ماءها أبرد من غيرها.

٧١ ـ وقال أعرابي: إن الصبر على الهوى أشد من الصبر على البلاء، كما أن الصبر على المحبوب أشد من الصبر على المكروه.

٧٢ ـ وليمَ بعضُ الحكماء على الهوى، فقال: لو كان لذي هوى إختيار لاختار أن لا هوى. وأنشد لمجنون ليلى:

أُصَلِّي فلا أَدري إذا ما ذكرتُها ... أَثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ الضُحى أَمْ ثَمَانيا
أراني إذا صلَّيتُ أَقْبَلْتُ نحوَها ... بوجهي وإن كان المُصَلَّى ورائيا
وما بيَ إشْرَاكٌ ولكنَّ حبَّها ... وعُظْمَ الجَوَى أعيا الطبيبَ المداويا

وأنشد لأبي العتاهية:

لا باركَ اللّهُ فِيمَن كان يُخبرني ... أن المحبِّين في لهوٍ ولَذّاتِ
لَمَوْتَةٌ تأخذُ الإنسانَ واحدةٌ ... خيرٌ له من لِقَاءِ الموتِ مراتِ

وأنشد لإعرابي:

وللحبِّ أغصانٌ تراها نَضِيرةً ... وفي طَعْمِها للعاشقينَ ذُعافُ[1]
رأيتُ المنايا في عيونٍ أوانسٍ ... تُقَتِّلْنَ أرواحاً وهُنَّ ضِعاف

وأنشد:

رأيتُ الحبَّ نيراناً تَلَظَّى ... قلوبُ العاشقينَ لها وَقُودُ
فلو كانت، إذا فنيتْ تقضَّتْ، ... ولكنْ مثلَ ما كانت تعودُ
كأَهْلِ النارِ إذ فنيت جلودٌ ... أُعيدَ من الشَّقاءِ لهمْ جلودُ

٧٣ ـ وركبت سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهم مع جواريها، فمرت بعروة بن أذينة الليثي، وهو في فناء قصر بن عتبة، فقالت لجواريها: من الشيخ؟ فقلن لها: عروة. فعَدلت إليه فقالت له: يا أبا عامر، تزعم أنك لم تعشق قط وأنت تقول؟:

قالتْ: وَأَبْثَثْتُها وجدي فبحتُ به؛ ... قد كنتَ عنديَ تحتَ السترِ فاستترِ

---

(١) الذُعاف: السّم يقتل من ساعته.

ألستَ تبصرُ مَنْ حولي؟ فقلتُ لها: غَطِّي هواكِ وما ألقى على بصري

كلُّ ما تَرَى حوالي من جواري أحرار إن كان خرج هذا الكلام من قلب سليم.

٧٤ ـ وأما أهل الدعاوى الباطلة، التي ليست أجسامهم بناحلة، ولا ألوانهم بحائلة، ولا عقولهم بذاهبة، فهم عند ذوي الفراسة يكذبون، وعند ذوي الظرف محرومون. فمن ذلك ما روى العباس بن الأحنف [١]، قال: بينما أنا أطوف، إذ بثلاث جوار أتراب، فلما أبصرنني، قلن: هذا العباس. ودنت إلي إحداهن، فقالت: يا عباس أنت القائل؟:

مـاذا لقيت مـن الهوى وعـذابـه طَلَعَـت علـي بليـة مـن بـابـه

قلت: نعم. قالت: كذبت يا ابن الفاعلة، لو كنت كذلك كنت كأنا. ثم كشفت عن أشاجع [٢] معراة من اللحم، فأنشأت تقول:

ولما شكوتُ الحبَّ، قالت: كذبتني، فما لي أرى الأعضاءَ منك كواسيا!

فلا حُبَّ حتى يلزق الجلدُ بالحشا وتَخْـرَسَ حتـى لا تجيـب المنـاديـا

٧٥ ـ ومن ذلك، ما رُوي عن إبراهيم بن المهدي [٣] قال: دخل علي المأمون [٤] فقال: باللّه يا عم، هل عشقت قط؟ فقلت نعم، يا أمير المؤمنين، وأنا الساعة عاشق. قال: وأنت على هذه الجثة والجسم الكبير عاشق؟ فأنشأ يقول:

---

(١) العباس بن الأحنف: هو أبو الفضل الحنفي اليمامي، شاعر مجيد، رقيق الشعر، من شعراء الدولة العباسية، إلا أنّ كل شعره غزلٌ، لا مديح فيه ولا هجاء توفي سنة ١٩٢ هـ ببغداد. انظر: معجم الأدباء: ١٢/ ٤٠.

(٢) أشاجع: جمع الأشجع وهي عروق ظاهر الكف.

(٣) هو الأمير إبراهيم بن المهدي عم الخليفة المأمون العباسي الأسود كان أديباً فصيحاً شاعراً محسناً رأساً في معرفة الغناء وأنواعه ولي أمرة دمشق لأخيه الرشيد وبويع بالخلافة ببغداد ولقب المبارك توفي سنة ٢٢٤ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢/ ٥٣.

(٤) المأمون يكنى بأبي العباس ويسمى بعبد اللّه، كان أديباً شجاعاً له همة عالية في الجهاد ومشاركته في علوم كثيرة وكان في اعتقاده معتزلياً شيعياً استقل بالخلافة عشرين سنة ومات وله ٤٨ سنة وذلك سنة ٢١٨ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢/ ٣٩.

لأنــــه اصفـــرَّ منحــــول   وجـهِ الـذي يعشـق معـروفُ

إلى أن قال:

ليـــسَ كمَـــن تلقـــاهُ ذا   جثة كـأنـه للـذَّبحِ معلـوف

فأجابه إبراهيم:

وقـائـلٍ لسـتَ بـالمُحِـبِّ وَلَـو   كنـتَ مُحِبّاً لـذبـتَ مـذ زمـنِ

أَحَـبَّ قلبـي، ومـا درى بـدنـي،   ولـو درى، مـا أقـامَ فـي السِّمـنِ

وهذان قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز إدعاؤهما على ذوي المعرفة والنظر. وقول إبراهيم: «أحب قلبي وما درى بدني» من كثرة المحال أن يتعلق القلب لسبب فيسلم الجسم منه على حال، ولكنه لاستحيائه من ادعائه إعتذر، فقبح في اعتذاره. وأنشدني بعض المشايخ:

وقائلةٍ: ما بالُ جسمِكَ لا يُرى   سقيماً وأجسامُ المحبينَ تسقم؟

فقلـت لهـا: قلبـي بحبـكِ لـم يَبُـح   لجسمي، فجسمي بالهوى ليس يعلم!

والعرب تمدح أهل النحول، وتذم أهل السمن والجسوم، وتنفيهم عن الأدب، وتنسب أهل النحول إلى المعرفة وحسن البيان، وأهل السمن إلى الغباوة وبعد الأذهان.

٧٦ ـ زعموا أن من غلب عليه البلغم غلظ جسمه، وكبر شحمه، وزاد لحمه، وقل فَهمه، وطال نسيانه، وتعقَّد لسانه، لغلبة البلغم على قلبه والرطوبة على لبه. ومن كان أغلب مزاجه المرة جفَّ جسمه، وقل لحمه، وصح ذهنه، ودق فهمه. وأنه يستدل بها على حسن أدب ذوي الألباب، وصحة أذهان ذوي الآداب. لا تكاد تخطي به الفراسة، ولا تكذب فيه الدلالة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه واستقراره في مركبه. وربما أنجب السمن، وخاب الهزال. ولا يكون ذلك إلا في الفرد النادر من الرجال ومن أمثلة العرب في ذلك: البطنة تذهب الفطنة.

٧٧ ـ قال علي بن الجهم: لما أفضت الخلافة إلى جعفر المتوكل على اللّه،

أهدى إليه ابن طاهر من خراسان هدية جليلة فيها جوار، منهن جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف، وكان لها مولى قد عني بها، فبرعت في فنون الأدب، وأجادت الشعر. وكانت راوية ظريفة، مجيدة للغناء. فقربت من قلب المتوكل. وغلبت عليه. قال: فخرج عليَّ يوماً، وقال لي: يا علي، دخلت الساعة على قَيْنة وقد كتبت بالمسك على خدها جعفراً، فما رأيت أحسن منه، فافعل فيه الساعة شعراً. فأخذت الدواة والقرطاس، فانقفل عليّ، حتى كأني ما عملت بيتاً قط فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أذنت لمحبوبة أن تقول شيئاً عسىٰ أن ينفتح لي. فأرها، فقالت مسرعة، وأخذت العود فجسته، وصاغت لحناً، واندفعت وغنت:

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ جعفراً ... بنفسيَ خطُّ المسكِ، منْ حيثُ أَثرا.
لئنْ أَوْدَعتْ سطراً من المسكِ خدَّها ... لقد أودعتْ قلبي من الشوقِ أَسْطُرَا.
فاعجَبْ لمملوكٍ يظلُّ مليكُهُ ... مطيعاً له فيما أسرَّ وأجهَرا

قال علي: وغضب عليها مرة، وكان لا يصبر عنها، فأمر جواري القصر أن لا تكلمها واحدة منهن. فكانت في حجرتها أياماً، وقد تنغص عيشه لفراقها، فبكرت عليه يوماً، فقال: يا علي. قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة فصالحتها وصالحتني. فقلت: خيراً يا أمير المؤمنين، أقر اللّه عينك وسرك. إنما هي عبيدتك، والسخط والرضا بيدك، فواللّه، إنا لفي حديثنا إذ جاءت وصيفة، فقالت: يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة. قال: فقم بنا يا علي ننظر ما تصنع، فنهضنا حتى أتينا حجرتها، فإذا هي تضرب العود وتغني:

أدورُ في القصرِ، لا أرى أحداً ... أشكو إليه، ولا يُكلِّمني
كأنني قد أتيتُ معصيةً ... ليستْ لها توبةٌ تخلصني
فهلْ شفيعٍ لنا، إلى مَلكٍ ... قد زارني في الكرى فصالحني،
حتى إذا ما الصباحُ لاحَ لنا ... عادَ إلى هَجْرِهِ فصادمني.

قال: فصاح أمير المؤمنين، وصحت معه. فتلقته وأكبَّت على رجله تقبلها، فقال: ما هذا؟ فقالت: يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنك صالحتني، فتعللت بما

سمعت. قال: فأنا واللَّه قد رأيت مثل ذلك. وقال: يا علي أرأيت أعجب من هذا وكيف اتفق ورجعنا إلى الموضع الذي كنا فيه. واصطلح. وما زالت تغنيه هذه الأبيات يومنا ذلك. وازدادت حظوتها عنده حتى كان من أمره ما كان. فتفرقت جواريه، فصارت محبوبة إلى الوصيف الكبير، فما زالت باكية حزينة، فدعاها يوماً مع من صار إليه من جواري المتوكل فأمرهن فغنين. ثم أمرها فاستعفته فأبى، فقلن لها: لو كان في حزننا فرح لطال حزننا معك. وجيء بعود فغنت به؟

أيُّ عيــــشٍ يَلَـــــذُّ لــــي لا أرى فيــــه جَعْفَــــرا

كــل مــن كـــان ذا ضَنـــاً وسقـــام فقـــد بَــــرَا

غيـــرَ محبــــوبــــةَ التـــي لـو تـرى المـوتَ يُشتـرى

٧٨ ـ ومن ذلك ما حكى جميل بن معمر العذري: أنه دخل على عبد الملك ابن مروان، فقال له: يا جميل حدثني ببعض أحاديث بني عذرة. فإنه بلغني أنهم أصحاب أدب وغَزَل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمك أن آل بثينة انتجعوا عن حيهم، فوجودا النجعة بموضع نازح فظعنوا، فخرجت أريدهم، فبينما أنا أسير إذ غلطت الطريق وأجنني الليل فلاحت لي نار، فقصدتها حتى وردت على راع في أصل جبل قد انحنى عنه إلى كهف فيه، فسلمت، فرد علي السلام، وقال: أظنك قد غلطت الطريق؟ فقلت: أجل. فقال: إنزل وبِتِ الليلة، فإذا أصبحت وقفت على القصد. فنزلت فرحّب بي، وأكرمني، وذبح شاة، وأجج ناره، وجعل يشوي ويلقي بين يدي. ويحدثني في خلال ذلك. ثم قام بإزار كان معه فوضع به جانب الخبا ومهد لي محلاً خالياً فنمت. فلما كان في الليل سمعته يبكي إلى شخص كان معه، فأرقت له ليلتي. فلما أصبحت طلبت الإذن فأبى، وقال: الضيافة ثلاث. فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله، فانتسب فإذا هو من بني عذرة، من أشرفهم. فقلت: وما الذي جاء بك إلى هذا؟ فأخبرني أنه كان يهوى ابنة عم له، وأنه خطبها من أبيها فأبى أن يزوجه إياها لقلة ذات يده، وأنه تـزوجها رجل من بني كلاب وخرج بها عن الحي، وأسكنها في موضعه. وأنه رضي أن يكون لزوجها راعياً حتى تأتيه ابنة عمه فيراها. وأقبل يشكو قديم عشـقه لها، وصبابته بها حتى

أتى المساء، وحان وقت مجيئها. فجعل يتقلقل [١] ويقوم ويقعد، ثم وثب قائماً على قدميه، وأنشأ يقول:

مـا بـال مَيَّـةَ لا تـأتـي كعـادتهـا أَعَاجَها [٢] طَرَبٌ أو صَدَّها شُغُلُ

لكـنَّ قلبـيَ عنكـم ليـس يَشغِلُـه حتى المماتُ وما لي غيرُكم أَملُ

لـو تعلميـنَ الـذي بـي مـن فـراقكـمُ لما اعتذرتِ، ولا طابتْ لكِ العِلَلُ

نفسي فداؤكِ، قد أحْلَلْتِ بِي سقماً تكـاد مـن حَـرِّه الأعضـاء تنفصـلُ

لـو أَنَّ مـا بـيَ مِـن سُقْـمٍ على جبـلٍ لـزالَ وانهـدَّ مـن أركـانِـهِ الجبـلُ

ثم قال لي: إجلس، يا أخا بني عذرة، حتى أكشف خبرُ ابنة عمي. ثم مضى فغاب عن بصري، فلم ألبث أن أقبل وعلى يديه محمول، وقد علا شهيقه ونحيبه، فقال: يا أخي هذه ابنة عمي أرادت ـ زيارتي فاعترضها الأسد فأكلها ثم وضعها بين يدي، وقال: على رِسلِك، حتى أعود إليك. فغاب عن نظري فأبطأ، حتى آيست من رجوعه، فلم ألبث أن أقبل ورأس الأسد على يديه فوضعه ثم، قال: يا أخي إنك ستراني ميتاً فاعمد إلي وإلى ابنة عمي فأدرجنا في كفن واحد، وأدفنا في قبر واحد، واكتب على قبرنا هذين البيتين:

كنَّا على ظهرِها والعيشُ في مَهَلٍ والشمـلُ يجمعُنـا والـدارُ والـوطـنُ

ففـرَّق الـدهـرُ بـالتَّصْـريـفِ إلفَتَنـا فصـارَ يجمعُنـا فـي بطنِهـا الكفـنُ

ورُدَّ الغنَم إلى صاحبها، وأعلمه بقصتها.

ثم عمد إلى خناق وطرحه في عنقه، فناشدته اللّه لا تفعل، فأبى وخنق نفسه حتى مات. فلما أصبحت كفنتهما ودفنتهما، وكتبت الشعر كما أمر، ورددت الغنم إلى صاحبها وأعلمته بقصتهما، فحزن حزناً خفت عليه الهلاك أسفاً على ما فرط من عدم اجتماعهما.

٧٩ ـ وقد رُوي عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: كنا عند عروة بن الزبير

---

(١) أي يتحرك.

(٢) أعاجها: الشيء أي ثناه وأماله.

وعنده رجل من بني عذرة. فقال له: يا عُذري بلغني أن فيكم رقةً وغزَلاً فأخبرني ببعض ذلك؟ فقال: لقد خلف في الحي ثلاثين مريضاً ما بهم داء إلا الحب قد خامر قلوبهم، وإن فيه من المرارة والنكد والكمد ما هو مستعذب عند أربابه، مستحسن عند أصحابه، حلو لا تعدله حلاوة، ومر لا تعدله مرارة. قال الكميت بن زيد في ذلك:

الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارةً ... سائلْ بذلك من تَطعَّم أو ذُقِ

ما ذاقَ بؤسَ معيشةٍ ونعيمَها ... فيما مضى أَحدٌ إذا لم يَعْشَقِ

وقال آخر:

يا أيها الرجلُ المعذَّب بالهوى ... إني بأحوال الهوى لَعَلِيمُ

الحبُّ صاحبُه يبيتُ مسَّهداً ... فيطيرُ منه فؤادُه ويَهيم

والحبُّ داءٌ قد تضمَّنه الحشا ... بين الجوانحِ والضلوعِ مقيم

والحب لا يخفي وإن أخفيتَه ... إنَّ البكاءَ على الحبيبِ يدوم

والحب فيه حلاوةٌ ومرارةٌ ... والحب فيه شقاوةٌ ونعيم

والحب أهونُ ما يكون مبرِّحٌ ... والحب أصغرُ ما يكون عظيم

وأنشدني أحمد بن يحيى:

سَلْني عن الحبِّ يا مَنْ ليسَ يعلَمُهُ ... ما أطيبَ الحبَّ لولا أنَّه نَكَدُ

طعمانِ حلوٌ ومرٌّ ليس يَعْدِلُه ... في حَلْقِ ذائقهِ مرٌّ ولا شَهَدُ

وأنشد أبو الطيب [(١)]:

سلني عن الحبِّ يا مَن ليسَ يعلَمه ... عندي مِن الحبِّ إن ساءلتني خَبَرُ

إني امرؤٌ بالهوى ما زلتُ مشتهِراً ... لاقيتُ فيه الذي لم يلقَهُ بشرُ

الحب أولُه عذبٌ مذاقتُه ... لكنَّ آخرَه التنغيصُ والكدرُ

---

(١) أبو الطيب هو المتنبي شاعر العصر أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، قال في العبر: وليس في العالم أشعر منه أبداً وأما مثله فقليل. وقال ابن الأهدل: قدم الشام في صباه واشتغل في فنون الأدب واللغة توفي سنة ٣٥٤ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٣/ ١٤.

٨٠ ـ وذكر ابن عتيق، قال: بينما أنا أسير في أرض بني عذرة، إذ أنا ببيت جديد، فدنوت منه، فإذا بعجوز تعلل شاباً قد نهكته العلة، وبانت عليه الذلة. فسألتها عن خبره، فقالت: هذا عروة بن حزام. فدنوت منه، فسمعته يقول:

من كان من إخواني باكياً لغد ... فاليوم أني أراني اليوم مقبوضا

فقلت: أنت عروة بن حزام؟ قال: نعم، الذي أقول؟

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هُمَا شفياني

فقالا: نعم، تُشفى من الداءِ كلّه، ... وقاما مع العُوّادِ يبتدراني

فما تركا من سَلْوَةٍ يعلمانِها، ... ولا شُربةٍ إلاَّ وقدْ سَقَيَاني.

فقالَ: شفاكَ اللّهُ، واللّهِ مالَنَا، ... بما حملتْ منكَ الضلوعُ، يدانِ.

فويلي على عفراءَ وَيْلاً كأنَّه ... على النحرِ والأحشاءِ حدُّ سِنانِ،

فعفراءُ أصفى الناسِ عندي مودةً، ... وعفراءُ عندي المعرض المتواني.

ثم شهق شهقة توهمت أنها غشية فتنحيت عنه، ودنت العجوز فوجدته قد قضى نحبه. فما برحنا حتى دفناه.

٨١ ـ وبلغ العشق أيضاً مجنون عامر إلى ما ذكرناه في موضعه. قال بعضهم: سمعت أعرابية تطوف وهي تقول اللّهم مالكَ يوم القضاء، وخالقَ الأرضِ والسماء، إرحم أهل الهوى، وأنقذهم من عظيم البلاء، فإنك تسمع النجوى، قريب لمن دعا. ثم أنشأت تقول:

يا رب إنك ذو مَنٍّ وذو سَعَةٍ ... دَارِكْ بعافيةٍ مِنْكَ المحبينَا

الذاكرينَ الهوى من بعدما رَقدُوا ... حتى نراهم على الأيدي مُكبّينَا

فقلت لها: يا هذه أيُقال هذا في الطواف؟ فقالت: إليك عني، لا يرهقك الحب. فقلت: وما الحب؟ فقالت: جَلَّ أن يَخفى، ودَقَّ على أن يُرَى: له كُمُونٌ كَكُمُون النار في الحجر، إن قدحته أورى [1]، وإن تركته توارى. قال: فتبعتها

(١) أورى: أي خرجت ناره.

حتى عرَفت منزلها، فلما كان من غدٍ جاء مطر شديد فمررت ببابها وهي قاعدة مع أترابٍ لها، وهن يقلن لها: أضرَّ بنا المطر، ولولا ذاك لخرجنا إلى الطواف. فأنشأَت تقول:

قالوا أَضرَّ بنا السحابُ بقَطْرِه ... لمـا رأوهـا بعبـرتـي تحكـي.
لا تعجبـوا ممـا تـرون، فـإنمـا ... تلـك السمـاء لـرحمتـي تبكـي

وقد زعم قوم أنه لا ذنب على أهل الهوى، ولا وزر على ذوي الضنا. إن خطاياهم تنمحي عنهم لطول بلائهم، وكثرة شقائهم، ولما يَلْقَوْن من القلق، ويعانون من الأرق.

٨٢ ـ أبو الحسن المدايني عن الأصمعي قال: عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: لو أدركت عفراء وعروة، لجمعت بينهما.

٨٣ ـ قال الزبير بن بكار: كان العرجي وهو عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان، رضي اللّه عنه، يعشق أم الأوقص المخزومي القاضي، وهي امرأة من بني تميم فكان يتعرض لها، فإذا رأته رمت بنفسها وتسترت منه. فمر بها يوماً وهي في بعض نسوة وهن يتحدثن، فعرفها فأحب أن يراها من قرب، فعدل عنها ولقي أعرابياً راكباً معه لبن رطب، فدفع دابته وثيابه وأخذ قَعُوده [1] ولبنه، ولبس ثيابه، ثم أقبل على النسوة. فصحن يا أعرابي: عندك لبن؟ قال: نعم ومال إليهن، وجلس يتأمل التميمية وينظر أحياناً إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً. وهن يشربن من اللبن، فقالت له امرأة منهن: أي شيءٍ تطلب يا أعرابي أضاع منك في الأرض؟ قال: نعم قلبي: فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه، وكان أزرق، فعرفته، وقالت: ابن عمر، ورب الكعبة. ووثبت فسترها نساؤها، وقلن له انصرف عنا، لا حاجة لنا إلى لبنك. فمضى منصرفاً.

٨٤ ـ قال العتبي: سمعت أعرابية تقول: مسكين العاشق، كل شيء عدوه: هبوب الريح تقلقه، ولمعان البرق يؤرقه، ورسوم الديار تُحرقه، والعذل يؤلمه، والتذكير يسقمه. إذا دنا الليل منه هرب النوم عنه، ولقد تداويت بالقرب والبعد

(١) قعوده: هي البكر من الإبل إلى أن تصير في السادسة.

فما أنجح فيه دواء. ولقد أحسن الذي يقول:

بِكُـلٍ تـداوينَـا فلـم يشـفَ مـا بنـا ... على أن قربَ الدارِ خيرٌ من البُعدِ

٨٥ ـ وقال أعرابي: إن لي عيناً دموعاً، وقلباً مروعاً، فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه مع أن داءهما دواؤهما، وسقمهما شفاؤهما.

٨٦ ـ وذكر أعرابي وَجده بامرأةٍ فقال: ما ازدادت مني بعداً إلا ازددت بها قرباً.

٨٧ ـ وذكر أعرابي امرأةً كان يواصلها في شبابه، فقال: ما كانت أيامي معها إلا كأباهيم [١] القطا قِصَراً، ثم طالت بعدها شوقاً إليها، وأسفاً عليها، فاليوم بعدها دهر، والساعة شهر.

٨٨ ـ قال أبو بكر بن دريد [٢]: كانت امرأة من لخم يقال لها سعدى تهوى ابن عم لها، يقال له عيسى. فلما خشي أهلها الفضيحة قالوا لها: إن نطقت فيه بشعر قطعنا لسانك. فعندها قالت:

خليلـيَّ إنْ أُصْعِـدتُمـا أَوْ هَبطتُمـا ... بـلاداً هـوى نفسـي بهـا فـاذكـرانيَـا

ولا تـدعـا إن لامَنـي ثَـمَّ لائـمٌ ... على سَخَـط الـواشيـنَ أن تعـذرانيَـا

فقد شفَّ جسمي بعد طولِ تجلُّدي ... أحاديثُ عن عيسى تشيبُ النواصيَا

سأرعى لعيسى الودَّ ما هَبتِ الصَّبَا ... وإنْ قطعـوا فـي ذاكَ عَمْـداً لسـانيَـا

٨٩ ـ طلق أعرابي امرأته: فقالت: لما طلقتني؟ فقال؟ لأنك واسعة الثقبة، حديدة الركبة خفيفة الوثبة. فقالت له: وأنت سريع الإراقة، بطيء الإفاقة، ثقيل بين اليدين، خفيف بين الرجلين.

٩٠ ـ وطلق قيس بن الذريح امرأته لبنى فندم على ذلك، وقال:

---

(١) الأباهيم: جمع إبهام وهي: الأصبع الغليظة الخامسة من أصابع اليد والرجل وهي ذات سلاميتين.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري اللغوي العلامة صاحب التصانيف، قال ابن خلكان: إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق. وقيل فيه أنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء، وتوفي سنة ٣٢١ هـ وعمره ٩٨ سنة. انظر: شذرات الذهب: ٢/ ٢٨٩.

فَـوَاكَبـدي علـى تَشْـرِيـح لُبنـى ... فكـانَ فـراقُ لبنـى كـالخـداعِ
تكنَّفَنِـي الـوشـاةُ فـأزعجـونـي ... فيـاللنـاسِ للـواشـي المطـاعِ
فـأصبحـتُ الغـداةَ أَلُـومُ نفسـي ... علـى أمـرٍ وليـسَ بمستطـاعِ
كمغبـونٍ يعـضُّ علـى يـديـه ... تبيَّـنَ غبنُـه بعـدَ البيـاعِ

٩١ ـ وتزوج الحجاج ابنة عبد اللّه بن جعفر، فلما دخلت عليه نظر إليها وعبرتها تجود على خدها، فقال لها: بأبي وأمي، مِمَّ تبكين؟ فقالت: من شرف اتَّضع، ومن ضعة شَرُفت. فلما كتب إليها عبد الملك بن مروان بطلاقها، قال لها: إن أمير المؤمنين أمرني بطلاقك. قالت: هو واللّه أبَرُّ بي ممن زوجك إياي. فلما مات أبوها لم تبك عليه، فقيل لها في ذلك، فقالت: واللّه إن الحزن ليبعثني، وإن الغيظ ليصمتني.

٩٢ ـ وكانت زينب بنت مرة عند ابن عم لها يقال له المغيرة فجرى بينهما عتاب فطلقها ثلاثاً فقالت:

يـا أيهـا الـراكـبُ الغـادي مطيتَـهُ ... عَـرِّجْ أَبُثُّك عنْ بعضِ الـذي أجِدُ
ما عالجَ الناسُ مِنْ وَجْدٍ ومن كَمَد ... إلاّ وَجَـدْتُ بـه فـوقَ الّـذِي وَجَـدُوا
حسبـي رضـاهُ، وإنـي فـي مسـرَّتِـه ... وَوِدِّهِ آخـرَ الأيـامِ أجتهـدُ

٩٣ ـ كانت عند رجل امرأة يقال لها أم مالك وكان بها معجباً. فأقسمت عليه أمه أن يطلقها، فذهب عقله، ونحل جسمه. فحضره الموت، فدخلت عليه أم مالك تعوده، فلما ولت قال لأمه: يا عجوز ليهنك فَقْدُ ابنك في الدنيا، والإثم لك في الآخرة. ثم أنشأ يقول:

لنـا حـاجـةٌ فـي آلِ مـروانَ دونَهـا ... مـن النفـرِ الغُـرِّ الـوجـوهِ قَبِيـلُ
فَمُتْ كَمداً إن كانَ يومُك قد أتى ... أو اصبـر علـى خَيَّلَـتْ فقليـلُ

فلما خَرَجت عنه، فاضت نفسه. وما وصلت إلى منزلها حتى سقطت ميتة.

٩٤ ـ قال إبراهيم بن عقبة: طلق أعرابي امرأته وحمله على ذلك عقله فندم. وأنشأ يقول:

إذا ذُكرت ليلى ترقرقَ دمعُه كأنْ لمْ تكنْ عَينٌ بها قبلُ قُرَّتِ
وإنَّ ثلاثاً منك لو تعلمينَه دنتْ دونَ حُلوِ العيشِ حتى أَمَرَّتِ

حكى أبو العيناء، عن أبي حمزة الغساني قال: نزل أعرابي من بني أسد ببيت أعرابية من بني تميم ضيفاً، فأتته بِقِرى حاضر، وماء بارد. فجعل ينظر إليها من وراء الستر، ثم راودها عن نفسها، فقالت له: يا هذا أَمَا يقرّعك الإسلام والكرم؟ كُلْ، وإن أردت غير ذلك فارتحل. فقال لها: زوجيني إذاً نفسَك. فقالت: الأولياء يزوجونك. فخاف أن لا يزوجوه للعداوة بين الحيين، فانتسب إلى بني عذرة فزوجوه فأقام عندهم زماناً. ثم علموا أنه أسدي فقالوا له: واللّه إنك لكفء كريم، ولكن نكره أن تنكح فينا وأنت حرب لنا، فحل عن صاحبتنا. وكان يحبها حباً شديداً فطلقها، وقال:

أحبك يا عمُّ حُبَّ الحياة ونيلَ المنى وبلوغَ الظَّفرْ
ويُعجبني منكَ عندَ اللِّقاءِ حياءَ الكلامِ، وموتَ النظر
ونائي الجبينِ، شديدُ البياضِ كثيفُ الجوانبِ، مثل القمرْ.
لهُ وهجٌ كضِرام الحريقِ يكادُ يمزِّق جلدَ الذكر.

قال أبو ذكوان: لم تقل العرب فيما يريده الرجال من النساء أحسن من هذا.

٩٥ ـ قال: خرج محمد بن المشيري الخارجي إلى البصرة [١] في طلب ميراث له، وبها نفر من قومه. فأقام بها حولاً ينشدهم ويحدثهم. وكانت امرأة منهم ذات جمال ومال لا يطمع فيها أحد. فقالوا له: يا أبا سلمان هل لك في امرأة منا، سيدة في قومها جمالاً وعقلاً، وعفافاً، ورأياً؛ قد سمعت بمقدمك، فَذُكِرْتَ لها، فزعمت أنك طلقت زوجتك التي خلفتها في بلدك فرغبت فيك، فإن أحببت أقمت عندنا فيما ترى من طيب بلادنا وربعنا، وعلينا صداقك، وما تحتاج إليه؟ فأقبلوا به وأدبروا واجتهدوا فأبى عليهم، وقال في ذلك:

أُسَاءَلُ بالعراقِ فراقَ سُعدى ولا تبدي ولا يَرَهَا الفراقُ

---

(١) البصرة: مدينة مشهورة في العراق.

لئنْ ربحَ الفراقُ لهجرِ سُعدى … عليَّ أشدُّ ما رَبِحَ الفراقُ
إذا عدلوا أقول لهم: لسعدى … خلائقُ لا يحل لها الطلاقُ
حرامٌ أن يقول نساء قوم … تركتك أو تحدث بي الرفاقُ

٩٦ ـ سمعت أعرابية تقول لزوجها: يا مفلس، يا قرنان. فقال لها: إن كان ما ذكرت حقاً فواحدة من اللّه، وأخرى منك، يا زانية، وأنت طالق ثلاثاً.

٩٧ ـ خاصمت امرأة زوجها، فطلقها فقالت له: يا هذا، لم طلقتني وقد كنت لك ناصحة، وعليك شفيقة، وما فيَّ عيب إلا ضيق بجبهتي؟ فقال لها زوجها: لو كان الضيق في حَرِّك [1] ما طلقتك أبداً!

٩٨ ـ كانت لرجل في الأهواز [2] ضيعة بالبصرة، وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثمار. فتزوج بها امرأةً، وانتهى الخبر إلى امرأته الأهوازية فاستخرقت كتاباً على لسان بعض إخوانه بالبصرة يعزيه في البصرية ويقول: إلحق المال الذي خلّفت ولا تتأخر. وأعطت الكتاب لبعض الملاحين وجعلت له جُعْلاً. فلما وصل الكتاب إلى زوجها وَجَد لموتها وجداً عظيماً، وقال للأهوازية: أصلحي لي سفرتي، فإني راكب إلى البصرة. ففعلت، فلما أصبح الغد ركب فرسه، وأعطته السفرة، ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له: ما تكثر اختلافك إلى البصرة إلا ولك بها امرأة تزوجتها؟ فقال لها: واللّه مالي بالبصرة امرأة، للذي وقف عليه من الكتاب. فقالت له: لست أدري ما تقول؛ وإنما تحلف وتقول كل امرأة لي غيرك طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين؟ فللذي وقف عليه الرجل من موت البصرية قال في نفسه: تلك ماتت، فلم أُغِير صَدْر هذه: فقال لها: كل امرأة لي غيرك في جميع الأقاليم فهي طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين. فقالت له: لا تتعبن فقد طلقت الحبيبة. فندم الرجل، وأسقط ما في يديه.

٩٩ ـ ولما تزوجت ليلى صاحبة قيس بن الملوح، هام على وجهه مع

---

(١) أي الفرج.
(٢) الأهواز: سبع كُور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز. معجم البلدان (١/ ٢٨٤).

الوحش، وكان يقول:

لها في سوادِ القلبِ تسعةُ أَسْهمٍ ... وللناسِ في ذاك المكانِ عشيرُ
ولستُ بِمُخصٍ حبَّ ليلى لسائلٍ ... مِنَ الناسِ إلا أن يقولَ كثيرُ.
وتُنْشَر نفسي بعد موتي لذكرِها ... فموتُ نفسي مرةً ونشورُ.
أتاني بظهرِ الغيب أن قد تزوجتْ، ... فكادتْ بي الأرضُ البَراحُ [1] تمورُ [2]
فَقلتُ، وقد أيقنت أن ليس بيننا ... تلاقٍ، وعيني بالدموعِ تفورُ:
لئن كان نبدي بُرد إيمانها العلى ... لأفقر مني إنني لفقيرُ.
فما أسرع الأخبار أن قد تزوجت، ... فهل يأتِيَنِّي بالطلاق بَشِيرُ؟

١٠٠ ـ حكى إبراهيم بن محمد بن عرفة. قال: كانت أم عبد الملك بن سعيد ابن خالد بن عمرو، عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك. فمرض سعيد، وهو بالبادية، فعاده، فدخل عليه وعنده أختها سلمى، فستروها، فرأى منها لمحة ثم قامت، فرأى طولها فطلق أختها وخطبها، فلم يزوجه إياها وكانت أختها أم عثمان عند هشام بن عبد الملك، فبعث إلى أبيها: إياك أن تزوج الوليد، تريد أن تتخذه فحلاً لبناتك يطلق واحدة ويتزوج أخرى؟ فأبى أن يزوجه. فقال الوليد: العجب من سعيد، خطبت إليه فردني، ولو قد مات هشام واستخلفت لزوجنيها، فإن زُوِّجْتها فهي طالق، وإن كنت أهواها. وقد ذكرنا حديثه مستقصى في موضعه من هذا الكتاب.

١٠١ ـ خاصمت امرأة زوجها إلى المطلب بن حبط المخزومي قاضي المدينة، وكانت قالت له: أسأت إلي وأوجعتني، ووالله ما أستطيع، فإن بنتك تمسي من الجوع والجهد وما أقمن إلا على الوطن [3]. فقال: أنت طالق إن كان لا يقمن إلا على الوطن! فأخبرت القاضي بما قالت، وبما قال. فقال القاضي: بطلب المقادير، ورب الكعبة، إن الأيِّل ليكون بالمكان الجدب الخسيس المرعى فتقيم فيه بحب الوطن. فقال الزوج: كأن المسألة، أصلح الله القاضي، أشكلت

(١) البراح: المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر.
(٢) تمور: أي تتحرك وتضطرب.
(٣) الوطن: أي مربض البقر والغنم الذي تأوي إليه.

عليك هي طالق ألف مرة.

١٠٢ ـ وطلق علي بن منظور امرأته فندم عليها ندماً شديداً، فقال:

مــا للطَّــلاقِ فقــدتُــه وفقــدتُ عــاقبــةَ الطــلاقِ
طَلَّقْــتُ خيــرَ خليلــةٍ تحــتَ السمــواتِ الطبــاقِ

١٠٣ ـ وأحبت امرأة الأعرابي أن تفارقه فقال:

تَمَنَّيْــنَ الطــلاقَ وأنــتِ منّــي بعيــش مثــلَ مشــرفــةِ الجمــالِ

١٠٤ ـ قال خالد بن صفوان [1]: ما بتُّ ليلة أحب إلي من ليلة طلقت فيها نسائي، فأرجع والستور قد هتكت ومتاع البيت قد نقل. فبعثت إلي بنتي سُلَيْلةً فيها طعام، وبعثت الأخرى إلي بفراش أنام عليه.

١٠٥ ـ وقيل لامرأة كانت تُطَلَّق كثيراً: مالك تطلقين أبداً؟ قالت: يريدون الضيق، ضيق اللّٰه عليهم قبورهم.

١٠٦ ـ وقال أعرابي لامرأته:

أَنَــوهْــتُ بــاسمــيَ فــي العــالميــن وأفنيــتُ عمــريَ عــامــاً فعــامــا
فــأنــت الطــلاق وأنــت الطــلا ق وأنــت الطــلاق ثــلاثــاً تــوامــا

١٠٧ ـ حكى عروة بن الزبير، عن عائشة، رضي اللّٰه عنها: أن امرأة رفاعة أتت إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول اللّٰه إن رفاعة طلقني، فبت طلاقي، وإني تزوجت بعده بعبد الرحمٰن بن الزبير وما معه إلا مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول اللّٰه ﷺ، وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة! لا، حتى تذوقي عسيلة الزوج الثاني ويذوق عسيلتك».

١٠٨ ـ دخل مدني البصرة، فزُوِّج فيها امرأة: ثم حصل بينهما شر، فقال لها: أنت طالق عدد شعر إستك. فقالت: قاتلكم اللّٰه يا أهل المدينة تسرعون

---

(١) خالد بن صفوان: هو أبو صفوان التميمي، المنقري، أحد فصحاء العرب وخطبائهم. كان راوية للأخبار، خطيباً مفوّهاً بليغاً، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالداً القسريَّ، توفي سنة ١٣٥ هـ. انظر: معجم الأدباء: ١١/ ٢٤.

الطلاق وتؤثرون الخلاق.

١٠٩ ـ قال عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت لعطاء بن صيفي الثقفي: لو أصبت ركوة مملوءة خمراً بالبقيع ما كنت صانعاً بها؟ قال: افرقها في بني النجار فإنها لا تعدوهم. ولكن أخبرني، أيهما أكبر جدك ثابت أم جدتك فريعة؟ قال لا أدري. قال عطاء: الفريعة كانت أكبر، وقه تزوجها قبله أربعة أزواج كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها. فقيل لها: يا فريعة، لم تطلقين وأنت بمثل هذا الجمال؟ قالت: يلتمسون الضيق، ضيق اللّه عليهم.

١١٠ ـ وطلق أعرابي زوجته، فقيل له: ألا تتزوج بعدها؟ فقال: مكابدة العفة، أيسر من الاحتيال بمصلحة العيال.

١١١ ـ تزوج الفضل بن قطن الحارثي ابنة المهلب بن أبي صفرة. فجلس يوماً معها يشرب، فأراد الافتخار عليها فقال:

إن كنتِ ساقيةً يوماً على كرمٍ كأسَ المُدَامِ فأسقيها بني قَطَنِ

ثم إنه تحرك فضرط. فقالت: وأسقي هذه بني قطن أيضاً فخجل وقال: إذهبي فأنت طالق.

١١٢ ـ وطلق عطية بن أشجع محجوبة بنت عبد اللّه، امرأتهُ فزوجت رجلاً دميماً فقال في ذلك:

لعمري أبي سلمى، ولست بشامت بسلمى، فقد أمست بها النعل زلت.
وليس لمَغفورٌ لسلمى ذنهوبَها وإن هي صامتْ كل يومٍ وصلِتِ
ولو ركبت ما حرَّم اللّهُ لم يكنْ بأعظمَ عندَ اللّهِ مِمَّا استَحلَّتِ؟

١١٣ ـ كانت لبعض الصالحين امرأة تبغضه، فكان إذا نهاها عن أمر دعت اللّه أن يريحها منه، وأن يعجل طلاقها، فأضجرته يوماً فطلقها، فسجدت للّه شكراً، فقال الرجل: اللّهم إنها وضعت إليك فماً كاذباً، ووجهاً وقاحاً، ورفعت إستاً مجاهرة بالفحشاء فاجرة. فوثب سنور في البيت فأفزعها، فضرطت، فقال: الحمد اللّه الذي سهل فرقتك وعجل فضيحتك.

الباب الثالث

باب ما جاء في الغيرة

١١٤ ـ يروى عن عروة بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ، يقول وهو على المنبر: «لا شيء أغيَرُ من اللّه». وعن عبد اللّه بن مسعود أنه قال: «أن اللّه ليغار للمسلم فليغر» وعنه عن رسول اللّه ﷺ، أنه قال: «ليس شيء أغير مِن اللّه، من أجل ذلك حرّم الفواحش». وعن كعب بن مالك. أن رسول اللّه ﷺ، قال: «الغيرة، غيرتان: فغيرة يحبها اللّه، وغيرة يكرهها اللّه. قلنا: يا رسول اللّه، ما الغيرة التي يحبها اللّه؟ قال: أن يغار أن يأتي معاصي اللّه، وينتهك محارمه. قلنا وما الغيرة التي يكرهها: قال: أن يغار أحدكم في غير كنهه»[1]. وعن عبد الملك بن عمير بن عبد اللّه بن بكار أنه قال: الغيرة غيرتان: غيرة يصلح بها الرجل أهله، وغيرة تدخله النار.

١١٥ ـ ويُروى. أن سارة كانت تحب إبراهيم خليل الرحمٰن، فمكثت معه دهراً لا تُرزق ولداً، فلما رأت ذلك وهبت له هاجر، وكانت أَمة لها قبطية، فولدت لإبراهيم إسماعيل، صلى اللّه عليهما، فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها، وعتبت على هاجر. فحلفت لتقطعن عضواً من أعضائها فقال لها إبراهيم، صلى اللّه على نبينا وعليه: هل لك أن تبري يمينك؟ قالت: كيف أصنع؟ قال: اثقبي أذنيها وخَصِّفيها. والخصف هو الخياطة. ففعلت ذلك بها، فوضعت في أذني هاجر قرطين فازدادت حسناً. فقالت سارة: إني إنما زدتها جمالاً، فلم تتركه على كونها معه. ووجد بها إبراهيم وجداً شديداً، فنقلها إلى مكة وكان يزورها في كل وقت من الشام لشغفه بها، وقلة صبره عنها.

---

(١) كنهه: أي جوهر الشيء وحقيقته.

١١٦ ـ وعن ابن أبي مليكة: إن ابن عمر سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار، بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر، قال: فجمع لها جرائد ثم أتى فضربها بها.

١١٧ ـ وعن علقمة: أن معاذ بن جبل كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل عليه غلام، فناولته امرأته تفاحة قد أكلت منها فأوجعها ضرباً.

١١٨ ـ وقال بعضهم: لذة المرأة على قدر شهوتها، وغيرتها على قدر لذتها. واستدل بإفراط غيرتها على إفراط حرصها. وهذا القول خطأ قد علمنا أن الرجل أشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل. وربما كان الذي يبدو من المرأة عند تسري زوجها بالسراري وتزويجه المهيرات [١]، وحين تراه مع بعضهن توهيماً للفعل أن ذلك من الطربة والكراهة المشاركة فيه. وبعض ذلك يكون من طريق الألفة والنفاسة به، وليس شكل ما تلقى المرأة إذا رأت على فراشها، من شكل ما يلقى الرجل إذا رأى على فراش امرأته رجلاً. لأن المرأة قد عاينت أن الرجل له أربع نسوة وألف جارية يطؤهن بملك اليمين، لما أحله اللّه في الشريعة. وكذلك غيرة فحول الحيوان على أناثها، لأن فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها حتى تصير إلى الغالب. قال الراجز:

يغار والغيرة في خلق الذكر والأمم تختلف في الغيرة. فمن الصقالبة [٢] ناس لا يتزوجون من قرب منهم في النسب ولا الدار. وإذا مات البعل خنقت المرأة نفسها أسفاً عليه.

والمرأة في الهند إذا مات زوجها وأرادوا حرقه، جاءت ليحرقوها معه، والديلمي يخرج من الديلم إلى حدود ما بين دار الإسلام والديلم، ومعه امرأته وإخوانه وعماته فيبيعهن صفقة واحدة، ويسلمهن إلى المبتاع، لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله.

---

(١) المهيرات: جمع مهيرة، وهي الغالية المهر.

(٢) الصقالبة: جيل من الناس، كانت مساكنهم من بلاد البلغار، وانتشروا الآن في كثير من شرقي أوربا وهم المسمون الآن: بالسّلاف.

١١٩ ـ وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية منهن حتى يستبطن بها حولا محرماً ثم يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ويتزوجها، ثم يزعمون مع ذلك أنه يجدها بكراً، وقد عانقها في إزار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها، ويحتمل وحشة الإغتراب، وانقطاع الأسباب. وإن من أعجب العجب أن يمكثا متعانقين في لحاف واحد يحتجران عن ألذ الأمور تكرماً. وهذا التكرم عند علوج [١] طبرستان من العجائب.

١٢٠ ـ قال معاوية، رضي اللّه عنه: ثلاث خصال من السؤدد، الصلع، واندماج البطن، وترك الإفراط في الغيرة.

ولما نزل قيس بن زهير ببعض العرب قال لهم: أني غيور، وأنا فخور، وأنا أنف؛ ولكن لا أغار حتى أرى، ولا أفخر حتى أفعل، ولا آنف حتى أضام. فعابوه بقوله: «لا أغار حتى أرى» ويظن به أنما عني رؤية السبب لا رؤية المرافقة.

وعابوا معاوية أيضاً بقوله هذا ونسبوه إلى قلة الغيرة «وما أرى في قوله وترك الإفراط عيباً لأن الإفراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الخليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق».

وعاب الناس قول هدبة بن خشرم حيث يقول:

فلا تنكحي أن فَرَّقَ الدهرُ بينَنا ... أغمَّ القفا والوجهَ ليسَ بأنزعا

فهذا يأمرها بتزويج الأنزع القليل شعر القفا والوجه.

ولا أرى فيه عيباً أيضاً لأنه إنما قال ذلك ليذكرها جمال نفسه ليزهدها في غيره.

١٢١ ـ وأما قول نصيب [٢]:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ وإن أمتْ ... فيا ليتَ شعري من يهيمُ بها بعدي

(١) علوج: جمع علج، وهو كل جاف شديد من الرجال.

(٢) نصيب بن رباح: مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر من مخول الشعراء الإسلاميين، وكان فصيحاً، مقدماً في النسيب والمديح، مترفعاً عن الهجاء، كبير النفس عفيفاً، وكان مقدماً عند الملوك، يجيد مديحهم ومراثيهم. انظر: معجم الأدباء: ٢٢٨/١٩.

فإني لم أجد له تأويلاً. وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان، وقال لجلسائه: أو لو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون؟ قالوا: لا ندري، فكيف كان أمير المؤمنين قائلاً؟ قال: كان يقول:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت ... فلا صَلُحت دعدَ لذي خلَّة بعدي

١٢٢ ـ وكان الرجل من العرب إذا خرج مسافراً بدأ بالشجرة يعقد خيطاً على ساقها أو على غصن من أغصانها، فإذا رجع إلى أهله بدأ إلى الشجرة فنظر إلى الخيط، فإن كان منحلاً حكم أن امرأته خانته، وإن كان على حاله حكم أنها حفظته.

١٢٣ ـ وأنشد أبو زيد [١] النحوي.

هلْ ينفعُك اليومَ إنْ هِمَّت بهمْ ... كثرةُ مَا توصي وتعفي والرتمُ

والرتم: اسم للخيط الذي يعقد في الخنصر لتذكر الحاجة.

وكان معاوية بن أبي سفيان يتمثل بقول الشاعر:

ومراكب رجعَ السلامُ بكفِّه ... ومودِّعٌ لم يستطعْ تسليمَا

١٢٤ ـ وقال آخر:

وأضحى الغيورُ، أرغمَ اللَّهُ أنفه، ... على ملتقانا قائماً يتمطَّق [٢]

وقد مد شدقيه من الغيظ والأذى ... كما مد شدقيه الحمار المحنَّق

١٢٥ ـ وقال الراعي:

وظل الغيور آرضاً [٣] ببنانه ... كما عضَّ برذون على الفأس جامحُ

لقد رابني أنَّ الغيورَ يودني ... وأن ندامَايَ الكهولُ الجحاجحُ [٤]

وصَدَّ ذواتِ عنِّي وقد رأتْ ... كلامي لمراء السنا الطوامح؟

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو زيد البصري، النحوي، اللغوي، الإمام الأديب، قال صالح بن محمد: أبو زيد النحوي ثقةٌ، وأبو زيد أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة في النحو، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة ٢١٥ هـ، في خلافة المأمون. انظر: معجم الأدباء: ١١/ ٢١٢.

(٢) يتطمق: أي ضمّ إحدى شفتيه علىٰ الأخرىٰ، وأحدث بلسانه صوتاً، يدل على استطابة طعم الشيء.

(٣) آرضاً: آكلاً.

(٤) الجحاجح: جمع جحجاح: وهو السيد السمح الكريم.

١٢٦ ـ وقال عبد اللّه بن الدمينة:

ولمّا لحقنا بالحمولِ، ودوننا خميصُ الحشَا تؤذي القميصَ عواتِقُه
عَرَضْنَا، فَسلَّمنَا، فسلَّم كارهاً علينا، وتبريحٌ من الغيظِ خانِقُهْ
فرافقتُه مقدارَ ميلٍ وليتني على زعمِهِ، ما دمتُ حياً أرافقُهْ

١٢٧ ـ وقال مسكين الدارمي [1]:

وإنّي امرؤٌ لا أُلْقى إلاَّ قاعداً إلَى جَنْبِ عُرسي لا أُفارقُهَا شبرا
ولا مقسمٌ لا تبرحُ الدهرَ بيتَها ليجعَلها قبلَ المماتِ لها قبرا
إذا هيَ لم تُحصنْ أمامَ قِنَاعِها، فليسَ بمنجيْهَا بناي لهُ قصرا،
ولا حاملي ظني، ولا قولَ قائلٍ على غيرها، حتى أحيطَ بها خُبْرَا
فهبني امرأ راعيتُ ما دمتُ شاهداً فكيفَ إذا ما سِرتُ عنْ بيتَها شَهْرَا؟

وقال مسكين أيضاً:

أَلاَ أيُّها الغائرُ المستشيطُ علَى ما تغارُ إذَا لَم تغرْ؟
تغارُ علَى الناسِ أن ينظُروا وهل يغبنُ للحاصناتِ النظرْ؟
فما خيرُ عرسٍ إذا خفتَها وبتَّ عليها شديدَ الحذرْ؟!
تكادُ تصفّقُ أضلاعُهُ إذَا مَا رأى زائراً أو زفَرْ.
فمنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عُرسَهُ إذا ضَمَّهُ، والمطيُّ، السفرْ؟

١٢٨ ـ وثلاثة من شعراء أولاد العجم ممن كان مشتهراً بالغزل مذكوراً، بالشعر بالبادية، كلهم قتلوا منهم: وضّاح اليمن، ويسار الكواعب، وسحيم عبد بني الحسحاس. وإنما قتلوا كفاً عن أولئك النساء، وحفظاً لهن، حين رأوا التعرض، وشنعة تلك الأشعار لا يشغلهم عنها إلا قتلهم مخافة أن يكون ذلك القتل يحقق المقالة القبيحة. ألا ترى أن الحجاج ابن يوسف في عتوه لم يتعرض

(١) هو: ربيعة بن عامر ابن أنيف، الملقب بمسكين، وكان شاعراً مجيداً سيداً شريفاً، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة، توفي سنة ٨٩ هـ. انظر: معجم الأدباء: ١١/ ١٢٦.

لابن نمير في تشببه بزينب أخته مخافة أن يكون ذلك سبباً للخوض في ذكرها. فيزيد زائد، ويكثر مكثر. وكذلك معاوية بن أبي سفيان لم يعترض لعبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت وكان يتشبب بابنته، حتى قال:

ثم حاضرتُها إلى القبةِ الخضراءِ نمشي في مرمرٍ مسنونِ

١٢٩ ـ ومن أحق بالقتل من سحيم عبد بني الحسحاس، حيث يقول:

وبتْنَا وسادانا إلى عَلَجَانةٍ [١] وحِقْفٍ [٢] تهاداه الرياحُ تهاديا

تُوَسِّدُني كفاً وتُثني بمعصم عليَّ، ونحوي رجلها من ورائيا

وهبت شَمَالٌ آخر الليل قرة ولا ثوبَ إلا درعها وردائيا

فما زال ثوبي طيباً من نسيمها إلى الحول حتى أنهج الثوب باليا

ومروا به ليقتلوه على الذي اتهم بها، فضحكت، فقال:

فإن تضحكي مني فيا رُبَّ ليلة تركتك فيها كالقباءِ المفرجِ

١٣٠ ـ وحكى العتبي، قال: سمع عقيل بن علقمة المري بنتاً له ضحكت، فشهقت في آخر ضحكها. فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول:

فَرِقتُ، أنّي رجلٌ فَرُوقُ من ضحكةٍ آخرُها شهيقُ

قال: فنادت يا أخوتاه! فبادروا فحالوا بينه وبينها.

١٣١ ـ وحكى أبو حاتم السجستاني [٣]، عن الأصمعي، قال: كان عقيل ابن علقمة غيوراً، وكان الخلفاء يصاهرونه، وكانت له ابنة يقال لها الحرباء. فكان إذا خرج إلى الشام خرج بها لفرط غيرته. فخرج بها مرة وبابن له يقال له عميس، فلما كانوا بدير سعد قال عقيل:

---

(١) العلجانة: جمع أعالج، وهو ما تراكم من رمل ودخل بعضه في بعض.

(٢) حِقْف: ما استطال واعوّج من الرمل.

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستاني البصري، كان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر، وقرأ كتاب سيبويه مرتين على الأخفش، وأخذ عنه المبرّد، وله تصانيف كثيرة منها: إعراب القرآن، توفي سنة ٢٥٥ هـ. انظر: معجم الأدباء: ١١/ ٢٦٣.

قضَتْ وطراً من ديرِ سعد وربَّما غلا غرضٌ ناطَحْتُهُ بالجمَاجِمِ

ثم قال لابنه أجِزْ يا عميس، فقال:

فأصبحنَ بالمومَاةِ [١] يحملنَ فِتيةً، نشاوى من الإدلاج [٢]، ميلَ العمائمِ

ثم قال لابنته: أجيزي يا حرباء. فقالت:

كأَنَّ الكرَى أَسقاهمُ صرَّخديةٍ عقارٍ تمشَّتْ في المطَا والقوائمِ

فقال لها: وما يدريك أنت ما نعت الخمر؟ هذه صفة من قد شربها. وأخذ السوط فأهوى نحوها، وجاء عميس فحال بينه وبينها، فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم، فشك فخذيه فبرك، فمضوا وتركوه حتى إذا بلغوا أداني المياه منهم، قالوا: اللَّهم أسقطنا جزوراً لنا. فأدركوه وخذوا معكم الماء. ففعلوا، فإذا عقيل بارك وهو يقول:

إن ابنيْ زمّلاني بالدَّمِ مَنْ يلقَ أَبطالَ الرِّجَالِ يَكْلَمِ

ومَنْ يكنْ درءٌ به يقومُ شنشنةٌ [٣] أعرفها من أخزمِ

ثم زوجها يزيد بن عبد الملك. وقد ذكرنا خبره في ما مضى.

١٣٢ ـ قال: ومما يَحْدُثُ الهوى في قلوب النساء لغير أزواجهن، ويدعوهن إلى الحرص على الرجال، والطلب لهن أمور منها: أن يُظهر لها زوجها شدة الحذر عليها، والاحتفاظ بها، والغيرة في غير موضعها. أو يكون الرجل منهمكاً في الفساد، مظاهراً لها بالزنا. فإن ذلك مما يغريها من طلب الرجال، والحرص عليهم. كما قال الشاعر:

ما أحسنَ الغَيْرَةَ في حينِها وأَقْبَحُ الغيرةِ في كلِّ حين.

مَنْ لَم يزلْ مُتَّهِماً عِرسَهُ متَّبعاً فيها لرجمِ الظنونِ.

أوشكَ أَنْ يُغْرِيهَا بالذي يخافُ، أو ينصبها للعيونِ.

---

(١) الموماة: المفازة الواسعة.

(٢) الإدلاج: السير من أول الليل.

(٣) شنشنة: هي العادة الغالبة.

حسبُكَ من تحصينها ضَمُّها منكَ إلى عرض نقيٍّ وديـنِ.
لا تطَّلعْ منكَ على ريبةٍ فيتبع المقرونُ حبلَ القرينِ

ذكر الشعبي: إن عبد اللَّه بن رواحة أصاب جارية له، فسمعت به امرأته، فأخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له: أفعلتها يا ابن رواحة؟ فقال: ما فعلت شيئاً. فقالت: لتقرأن قرآناً، وإلا بعجتك بها. قال: ففكرت في قراءة القرآن وأنا جُنُب فَهِبتُ ذلك، وهي امرأة غيراء في يدها شفرة لا آمن أن تأتي بما قالت. فقلت:

وفينا رسولُ اللَّهِ يتلو كتابَهُ إذا انشقَّ معروفٌ من الصبحِ ساطعُ
أرانا الهُدَى، بعدَ العَمَى، فقلوبُنَا بهِ موقناتٌ، أنْ مَا قالَ واقعُ
يبيتُ يجافي جنبَهُ عنْ فراشِهِ إذا استثقلتْ بالكافرينَ المضاجعُ

قال: فألقت السكين من يدها، وقالت: آمنت باللَّه، وكذبت البصر. قال: فأتيت النبي، ﷺ، فأخبرته بذلك، فضحك وأعجبه ما صنعت.

١٣٤ ـ وكان بعض العلماء لشدة شهوة الباه [1] في قلوب النساء، وتمكنه فيهن، وشدة غيرته، يقول: ليس المصيبة في معاتبة الرجل المرأة إنما المصيبة في معاتبتها إياه. فإنها إن نظرت إليه ووقع بقلبها موقع شهوة لم يلبث أن تصير في يده، وتبعث الرسائل والأشعار والتحف.

١٣٥ ـ قال إسحاق: رأيت رجلاً بطريق مكة، تعادله في المحمل جارية قد شد عينيها والغطا مكشوف، ووجهها باد، فقلت له في ذلك. فقال: إنما أخاف عليها من عينيها، لا من عيون الناس.

١٣٦ ـ قال سعيد بن سُليمان لئن يرى حرمتي ألفُ رجل على حال يكشف منها، ولا تراهم، أحب إليَّ من أن ترى حرمتي رجلاً واحداً غير منكشف.

١٣٧ ـ واستأذن ابن أم مكتوم على رسول اللَّه ﷺ، وعنده امرأتان من نسائه، فقال لهما: «قوما وادخلا البيت. فقالتا: يا رسول اللَّه، هو أعمى! فقال: أفعمياوان أنتما؟».

---

(١) الباه: هو النكاح، أو الجماع.

الباب الرابع

باب من هذا الشكل

وبالرجال أعظم حاجة إلى أن يعرفوه ويقفوا عليه، وهو الاحتراس من أن يلقى الخبر السابق إلى السمع لأنه إذا ألقى دخل ذلك الخبر السابق إلى مقره دخولاً سهلاً وصادف موضعاً وطيّاً، وطبيعة قابلة. ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخاً لا حيلة في إزالته. ومتى ألقي إلى الفتيات شيء من أمور الفتيان في وقت الغَـرَارة [١]. وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة، وعند قلة الشواغل؛ قوي استحكامه، وصعبت إزالته. وكذلك متى ألقي إلى الفتيان شيء من أمورهن وهناك سكر الشباب، فكذلك يكون حالهم، وإن الشياطين ليخلو أحدهم بالغلام الغرير فيقول له: لا يكن الغلام فتى أبداً حتى يصادف فتى. فما الماء البارد العذب بأسرع في طباع العطشان من كلمته إذا كان الغلام أدنى هوى في الفتوة. وكذلك إذا خلت العجوز بالجارية الحديثة.

وقيل لابنة الحسن: لم زنيت بعبدك ولم تزن بحر، وما أغراك به؟ قالت: طول السواد، وقرب الوساد. ولو أن أقبح الناس وجهاً، وأخبثهم نفراً، وأسقطهم همة، قال: لامرأة قد تمكن كلامها وأعطته سمعها: واللّه يا سيدتي ويا مولاتي، لقد اتعبت قلبي، وأرقت عيني، وشغلتني عن مهم أمري، فما أعقل أهلاً ولا مالاً ولا ولداً. لنقض طباعها، وفتح عقدها ولو كانت أبرع الخلق جمالاً، وأكملهم كمالاً. وإنما قال عمر رضي اللّه عنه: إضربوهن بالعري لأن الثياب هي الداعية إلى الخروج من الأعراس، والقيام في المناجاة، والظهور في الأعياد. فمتى كثر خروجها لم يعدمها أن ترى من هو من شكل طبعها، ولو كان بعلها أتم حسناً والذي رأت أنقص حسناً، لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه. وكانت مما لم

---

(١) الغرارة: هي حداثة السنّ.

تملّه وتستكثر منه أشد الوجد وهي به أشد استقبالاً. كما قال:

وللعينِ ملهى في البلادِ ولم يقد   هوى النفسِ شيئاً كاقتيادِ الطرائفِ

وقيل لعقيل بن علقمة: ما تخاف على بناتك وقد عنسن ولم تزوجهن؟ قال: كلا، أجوِّعهنَّ فلا يأشرن [١]، وأعرِّيهنَّ فلا ينظرن. فوافقت إحدى كلمتيه قول النبي ﷺ، ووافقت الأخرى قول عمر رضي اللّه عنه. فإن النبي ﷺ: «الصوم وجاء». وقال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: «إضربوهن بالعري». قال: وكان هارون بن عبد اللّه البردعي يقول لأهله: محرم عليك أن نظرت إلى سائل يقف ببابك، وسمعت حلاوة نغمته. وكان ينهي الباعة إذا دخلوا سكنه عن النداء على بضائعهم. ورأيته مرة يضرب عطاراً سمعه يترنم بوصف العطر وكان ينفق بضاعته حسنُ صوته، فيقول: العود المطري، والمحلب واللبان والمسك والعنبر ويردد ذلك بصوته فيرجعه. فكان النساء يستمعن إليه ويشرفن من المطالع ويتبعن الأبواب حتى تصل عيونهن إلى النظر إليه. ولو أردن الجماع لكفتهن الآذان. وربما اشترين منه ما لا يحتجن إليه. قال: فقلت له: يا أبا وائل، فإنك قد أنعم اللّه بشيء كنت تمنعه! قال: جعلت فداك، إنما أمنع منعي لنفسي لئلا يسمعه من في منزلي. فإن النساء أسرع شيء ذهاب قلوب إلى النغمة الحسنة، فإن كان معه حسن وجه برئت المرأة من اللّه إن لم تحتل في صرف قلبه إليها، ويصير الزوج قوّاداً. قلت: لا، ولا كل هذا! قال: فأسألك إلاّ سألته أن يستعمل هذا الكلام مرة أو مرتين أو ثلاثاً في غير هذه السكة. فذهبنا به إلى غيرها وجعل العطار ينادي فما أتم الثالثة حتى تحركت أكتافي له طرباً وجعلت لا أمر ولا أجيء لما سكرت من حسن صوته. فقال: كيف تراه؟ قلت: أراه يستولي على قلوب الرجال. قال: فكم قلب الرجل على ترك التهتك من قلب المرأة؟ هذا إذا كانت بلغت من السن مبلغاً، ونقصت شهوتها فأما إذا كانت شابة ولها فضل جمال، ومعها شدة شهوة، وكثرة لذة، وهي ذات حاجة، وخالية الذرع من الفكرة في المعاش، وخالية القلب، وقد أمنت ضرب الزوج وتطليقه، وغيرة الأخ، وقلة صيانة الأب، وأصابت من يشجعها على فعلها، ويفتح لها أبواب نظرتها، ويسعى لها في طلب الصديق، ويحرضها

(١) يأشرن: جمع أشر وهو البطر أو المستكبر.

على التهتك؛ وقد قرب منها الصوت، وخلت من الرقيب، ولم يكن لها في الأرض إسراف، ولا أهل عفاف؛ فما يمرق السهم من الرمية كمروق هذه إلى الباطل.

١٣٩ ـ وكانت هند بنت المهلب من عقلاء النساء وكانت تقول: شيئان لا تُؤمن عليهما المرأة: الرجال، والطيب.

١٤٠ ـ وأنشد إسحاق بن إبراهيم [(١)]:

وإنِّي بهَا في كلِّ حَالٍ لواثقٌ ... ولكنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ شدةِ الحبِّ

وأنشد آخر:

لا تأمننَّ على النِّساء ولو أخا ... ما في الرجالِ على النساءِ أمينُ

كلُّ الرِّجَالِ وإنْ تعفَّفَ جهدُه ... لا بدَّ أنَّ بنظرةٍ سيخونُ

١٤١ ـ وقال كان عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن. شاعراً أديباً، ذا همة حسنة. وكان له غلام كالقمر، وجارية كالشمس. وكان يهواهما جميعاً. فدخل ذات يوم فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله، فشد عليهما فقتلهما جميعاً. ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً وقال:

يا طلعة طلَع الحمامُ عليها ... فجنى لها ثمرَ الرَّدى بيدَيْهَا

حَكَّمْتُ سيفي في مجالِ خِنَاقِهَا ... وَمَدَامِعي تجري على خدَّيهَا

رَوَّيتُ من دمِهَا الثَّرى ولَطَالَما ... روَّى الهوى شفتيَّ من شفتيهَا

فوحقِّ نعليها، وما وطىءَ الحصى ... شيءٌ أعزُّ عليَّ مِنْ عينيهَا

وما كانَ قَتْلِيهَا لأني لم أكنْ ... أبكي إذا سقطَ الغبارُ عليهَا

لكن بخلت على الأنام بحسنها ... وأنفت من نظر العيون إليها

---

(١) إسحاق بن إبراهيم الموصلي النديم، أبو محمد، كان رأساً في صناعة الطرب والموسيقى، أديباً، عالماً، شاعراً، محسناً، كثير الفضائل، عاش ٨٥ سنة، وقد وثقه إبراهيم الحربي، وهو من علماء اللغة والفقه والكلام والأشعار، وأخبار الشعراء، توفي سنة ٢٣٥ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢/ ٨٢.

ثم جلس عند رأس الغلام يبكي:

أشفقتُ أن يرد الزمانُ بغدرهِ ... أو أبتلي بعدَ الزمان بهجرهِ
قمر أنا استخرجتُهُ من دُجْنَةٍ ... لمودتي وجلوتُهُ في خِدرهِ
فقتلتُه وبهِ عليَّ كَرَامةٌ ... فليَ الحشَا ولهُ الفؤادُ بأسرهِ
عهدي بهِ مَيْتاً كأحسن نائمٍ ... والطَّرْفُ يَسْفحُ دمعتي في نحرهِ
لو كانَ يدري الميتُ ماذا بعدهُ ... بالحيِّ منهُ بكى لهُ في قبرهِ
غُصَصٌ تكادُ تفيض منها نفسهُ ... ويكادُ يخرج قلبُهُ مِنْ صدرهِ

١٤٢ ـ وأنشد الرازي:

أَمَا واهتزازكَ لو أستطيعْ ... لما لحظَ الناسُ بدرَ التمامْ
ومَنْ أينَ للبدرِ وجهُ يميتْ ... ويحيى إذا شاءَ بالابتسامْ
فهبه حَكَاكَ بحسنِ الضِّيَا ... فمِنْ أينَ للبدرِ حسنُ القوامْ؟
أغارُ على حسنهِ إذْ حكا ... كَ وكانَ بذلكَ عندَ الأنامْ

١٤٣ ـ وأنشد لأبي تمام [1]:

بنفسي مَنْ أغارُ عليهِ مني ... وأحسدُ مقلةً نظرتْ إليهِ
ولو أني قدرتُ طمستُ عنهُ ... عيونَ الناسِ منْ حذَري عليهِ

وأنشد الآخر:

أغارُ عليكِ من قلبي ... ولو أعطيتني أملي
وأُشفقُ أنْ أرى خديـ ... ـكِ نصبَ مواقعِ القبلِ

١٤٤ ـ ويروي أن جميلٍ بن معمر قال لبثينة: ما رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاد إلا أخذتني عليك الغيرة.

---

(١) هو أبو تمام الطائي، حبيب بن أوس الحوراني، مقدم شعراء العصر، وقد ألّف كتاب الحماسة، وكتاب فحول الشعراء، جمع فيه بين الجاهليين والمخضرمين، والإسلاميين وكتاب الأختيارات من شعر الشعراء، وكان يحفظ ٤٠٠٠ أرجوزة، توفي سنة ٢٣٢ هـ انظ: شذرات الذهب: ٢/ ٧٢.

وعن علي بن عبد اللّه الجعفري، وكان شاعراً أديباً، قال: كنت أجلس بالمدينة وأنشد أشعاري، فحج أبو نواس، فلما صار إلى المدينة وأنا ذات يوم أنشد، والناس مجتمعون عليّ، إذ دخل أبو نواس. فرأيته من بين الناس ثم قال: يا هذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشحت فيهما؟ فقلت: وما هما. قال: اللذان تقول فيهما:

ولما بدا لي أنها لا تحبني ... وأنَّ هواهَا ليسَ عنّي بمنجلي
تمنيتُ أن تُبلَى بغير لعلَّها ... تذوقُ حراراتِ الهوى فترقُّ لي

قلت: أفلا أنشدك بيتيَّ اللذين أتغاير فيهما؟ قال: بلى. فأنشدته:

ربَّما سرَّني صدودُكِ عنّي ... وَطلابُكِ وامتناعكِ مني
حذراً أن يكونَ مفتاحُ غيري ... فإذا ما خلوتُ كنتِ التمنّي

قال: فسألت عنه. فقيل لي أبو نواس.

١٤٣ ـ قال الأشعث بن قيس: نزلت ببعض أصحاب النبي، ﷺ، فقام إلى امرأته فضربها، فحجزت بينهما. قال: فرجع إلى فراشه، وقال: يا أشعث، إحفظ شيئاً سمعته من رسول اللّه ﷺ «لا تسألن رجلاً فيم يضرب امرأته».

١٤٤ ـ قال ابن عائشة: كان أبو الأصبع العدواني غيوراً، وكان له أربع بنات، فأبى أن يزوجهن، فقالت واحدة منهن: لتقل كل واحدة منا ما في نفسها. فقالت كبراهن:

ألا ليتَ زوجي مِنْ أُناسٍ ذوي غنى ... حديثُ الشباب طِيبُ النَّشرِ والذكرِ
لصوقٌ بأكبادِ النساء كأنّهُ ... خليفةُ جَارٍ لا يقيم على الهجرِ

قلن لها أنت تريدين شاباً غنياً.

وقالت الثانية:

عظيمُ رمادِ القَدْرِ رحبٌ فناؤُهُ ... له جفنةٌ يشقى بها النيبُ (١) والجزرُ (٢)

---

(١) النيب: هي الناقة الهرمة.

(٢) الجزر: ما يصلح أن يُذبح من الشاه.

له خلقانِ: الشيبُ من غيرِ كَبْرَةٍ تشينُ، وَلاَ وانٍ ولا ضَرَعٌ غمرُ

فقلن لها أنت تريدين سيداً.

وقالت الثالثة:

ألا.هل تراها مرةً وخليلَهَا يضمُّ كبعلِ المشرفي المهنَّدِ

عليهِ رواءٌ لليسارِ ورهطُهُ إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته.

وقلن للصغرى: ما تقولين أنت؟ فقالت: لا أقول شيئاً. فقلن لها: لن ندعك لأنك أطلعت على أسرارنا وكتمت سرك. فقالت: لا أدري ما أقول، إلا أنه زوج من عود، خير من قعود. قال: فخُطِبن، فزوجهن جميعاً.

١٤٥ ـ وروي عن سليمان بن داود عليهما السلام أنه قال لابنه: يا بني لا تكثر الغيرة على أهلك من غير ريبة، فترمى بالسوء من أجلك وإن كانت بريئة.

١٤٦ ـ وقال بعض الظرفاء: كنت شديد الغيرة، فاخبرت بمجيء قبيحة سوداء فذهبت مع أخوان لي عندها ليلة فطفىء السراج، فضربت بيدي إلى صدرها فإذا دون يدي أربع أيد، فما أعلم أني خطر ببالي امرأة بعد ذلك.

١٤٧ ـ قال: كان سليمان بن عبد الملك [١] من أشد الناس غيرة. فحكى أبو زيد الأسدي قال: دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكان مبلط بالرخام الأحمر، مفروش بالديباج الأصفر في وسط بستان قد أينعت ثماره، ورنت أطياره، وأزهر نبت الربيع؛ وعلى رأسه وصائف كل واحدة أحسن من صاحبتها، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته. وكان سليمان مطرقاً فرفع رأسه فقال: أبا زيد، في مثل هذا اليوم يصلب أحد حياً. فقلت: يا سيدي، يا أمير المؤمنين، أو قد قامت القيامة؟ قال: نعم على أهل الهوى سراً. ثم أطرق ورفع رأسه، وقال: أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا؟ فقلت: قهوة حمراء، في

(١) سليمان بن عبد الملك: أبو أيوب، كان فصيحاً، فهماً، محباً للعدل والغزو، وذا همة عالية، جهز الجيوش لحصار القسطنطينية، وقرب ابن عمه عمر بن عبد العزيز، وجعله وزيره، وعهد إليه الخلافة توفي سنة ٩٩ هـ. انظر: شذرات الذهب: ١/ ١٦٦.

زجاجة بيضاء، تناولنيها مقدودة هيفاء، مضمومة لفاء دعجاء، أشربها في كفها، وأمس فمي بفمها: فأطرق سليمان ملياً ودموعه تنحدر. فلما رأى الوصائف ذلك تنحين عنه فرفع رأسه وقال: يا أبا زيد، حلَلَت واللّه في يوم فيه انقضاء أجلك، وتصرم مدتك، وفناء عمرك. واللّه لأضربن عنقك أو تخبرني. ما الذي أثار هذه الصفة من قلبك؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كنت جالساً على باب أخيك سعيد بن عبد الملك وإذا جارية قد خرجت إلى باب القصر عليها قميص إسكندراني، يبين منه بياض ثديها، وتدوير سرتها، ونقش تكتها؛ وفي رجليها نعلاها، قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها؛ ولها ذؤابة [١] تضرب إلى حقويها [٢]، وتسيَّل كالعثاكيل [٣] على منكبيها؛ وطرة قد أسبلت على جبينها؛ ولها صدغان كأنهما نونان على وجنتيها، وحاجبان قد تقوّسا على محجري عينيها، وعينان مملوءتان سحراً، وأنف كأنه قصبة در، وهي تقول: «عباد اللّه ما الدواء لما لا يشتكي، والعلاج مما لا ينتمي؟ طال الحجاب، وأبطأ الكتاب. العقل ذاهب، واللب عازب، والعين عبري، والأرق دائم، والوجد موجود، والنفس والهة، والفؤاد مختلس. فرحم اللّه قوماً عاشوا تجلداً، وماتوا تبلداً: لو كان في الصبر حيلة، وإلى العزاء وسيلة، لكان أمراً جميلاً!» فقلت: «أيتها الجارية إنسية أنت أم جنية سماوية أو أرضية، فقد أعجبني ذكاء عقلك، وأذهلني حسن منطقك؟ «فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني، وقالت: «أعذر أيها المتكلم، فما أوحش الوجد بلا مساعد، والمقاساة لصب معاند. ثم انصرفت، فواللّه يا أمير المؤمنين ما أكلت طيباً إلا غصصت به لذكرها، ولا رأيت حسناً إلا سمج في عيني لحسنها. فقال سليمان: أبا زيد، كاد الجهل يستفزني، والصبا يعاودني، والحلم يعزب عني. تلك الذلفاء التي يقول فيها الشاعر:

إنما الذلفاء ياقوتةٌ ... أخرجتْ مِنْ كيسِ دهقانِ [٤]

---

(١) الذؤابة: هي شعر مقدم الرأس.
(٢) حقويها: أي خصرها.
(٣) العثاكيل: أي العذق وهو النخلة بحملها أو عناقيد العنب.
(٤) الدهقان: هو التاجر.

شراؤها على أخي ألف ألف درهم، وهي عاشقة لمولاها الذي باعها منه. والله لا مات إلا بحسرتها، ولا فارق الدنيا إلا بغصتها. وفي الصبر سلوة، وفي توقع الموت نهية. قم أبا زيد فاكتم المفاوضة، ويا غلام ثقل يده ببدرة. قال: فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية إلى أخيه سليمان ولم يكن في عصرها أجمل منها، فملكت قلبه، وغلبت عليه دون سائر جواريه. فخرجا يوماً إلى دهناء[١] الغوطة بموقع يقال له دير الرهبان فضرب فسطاطه في روضة خضراء مونقة، زهراء ذات حدائق وبهجة، حفها أنواع الزهر الغض. فمن بين أصفر فاقع، وأبيض ساطع، مثل النبات تحمل منه الريح نسيم المسك الأذفر[٢]، ويؤدي تضوع عرفها فتيت العنبر. وكان له مغن يأنس به، ويسكن إليه، ويكثر الخلوة معه، ويستمع حديثه، يقال له يسار. وكان أحسن الناس وجهاً، وأظرفهم ظرفاً. فأمر بضرب فسطاطة بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان إلى ذلك المنتزه. فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور، وأتم حبور، إلى أن أتى الليل وحان انصراف يسار إلى موضعه فوجد جماعة قد أناخوا به، فسلموا عليه، فرد عليهم السلام جذلان بنزولهم، وفرح بدخولهم. فأحضر الطعام فأكلوا، وقدم الشراب فنالوا منه. ثم قال: هل من حاجة؟ قالوا: ما جئناك إلا للقرى. فقال: بالجانب الخصب نزلتم، وبالمنزل الرحب حللتم. فقالوا له: أما الطعام فقد أكلنا، وأما الشراب فقد حضر، وبقي السماع. قال: أما السماع فلا سبيل إليه مع غيره أمير المؤمنين ونهيه إياي عن الغناء إلا ما كان في مجلسه. قالوا: فلا حاجة لنا في الطعام عندك ما لم تسمعنا. فلما رآهم غير موقلين[٣] عنه رفع عقيرته[٤] وغنى بهذه الأبيات:

محجوبةٌ سمعتْ صوتي فأرَّقَهَا ... في آخرِ الليلِ حتى ملَّها السهرُ
لم يحجبِ الصوتَ أجراسٌ ولا غلقٌ ... فدمعُهَا لطروقِ الصوتِ ينحدرُ

---

(١) دهناء: أي الفلاة.
(٢) الأذفر: أي الذي تشتد رائحته الطيبة.
(٣) موقلين: جمع وقَلَ: أي رفع رجلاً وأثبت أخرى.
(٤) عقيرته: صوته.

في ليلةِ البدرِ لا يدري مضاجعَها أو وجههَا عندَه أضوا أم القمرُ
لو خُلِّيتْ لمشتْ نحوي على قَدَمٍ يكادُ من لينِهِ للمشيِ ينفطرُ

قال فلما سمعت الذلفاء صوت يسار خرجت إلى صحن الفسطاط تسمع الصوت، فجعلت لا تسمع شيئاً من خلق، ولطافة قط، إلا الذي وافق المعنى. ومن نعت الليل واستماع الصوت إلا رأت ذلك كله في نفسها، فحرك ذلك ساكناً كان في قلبها فهملت عيناها، وعلا نشيجها. فانتبه سليمان فلم يجدها معه في الفسطاط فخرج إلى صحنه فرآها على تلك الحال، فقال لها: ما هذا يا ذلفاء؟ فقالت يا أمير المؤمنين:

ألا رُبَّ صوتٍ رائعٍ من مُشَوَّهٍ قبيحِ المُحَيَّا واضعِ الأَبِ والجدِ
يروعُكَ منهُ صوتُه ولعلَّه إلى أَمَةٍ يعزى معاً وإلى عبدِ

فقال سليمان: دعيني من هذا، فواللّه لقد خامر قلبك منه ما خامر. يا غلام، عليّ بيسار. فدعت الذلفاء خادماً لها وقالت: إن سبقت إلى يسار فحذَّرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر. فسبق رسول سليمان فأحضره فلما وقف بين يديه؟ وسليمان يرعد غيرة، قال: من أنت؟ فقال: يسار. فقال سليمان:

تثكلُ في الثكلِ يساراً أمُّه كانَ لها ريحانةً تشمُّهُ
وخالُه يثكَلُهُ وعمُّهُ ذو شفةٍ حياتُهُ تغمُّهُ

فقال يسار:

واستبقني إلى الصباح أعتذرْ إنَّ لساني بالشرابِ منكسرْ
فإن أكنْ أذنبتُ ذنباً أو عثرْ فالسيدُ المولى أحق مَنْ غفرْ

ثم قال: يا يسار ألم أنهك عن مثل هذا الفعل؟ فقال: يا أمير المؤمنين حملني الثمل [١] وقوم طرقوني، وأنا عبد أمير المؤمنين. فإن رأى أن لا يضيع حظه مني فليفعل. قال: أما حظي منك فلم أضيعه، ولكن لا تركت للنساء فيك حظاً أبداً يا يسار. أما علمت أن الرجل إذا تغنى أصغت إليه المرأة؟ وأن الفرس إذا

(١) الثمل: شدة السكر.

صهل تودّقت له الحصان؛ وأن الفحل إذا هدر صغت له الناقة. يا غلام إئتني بختَّان فختنه، فعاش بعد ذلك سنة ومات. فسمي الدير دير الخصيان وبه [١] يعرف إلى الآن.

وكتاب إلى عثمان بن حيان المري عامله على المدينة: أن إخص من قبلك من المغنين. فخصي الدلال فقال: الآن صرنا نساء حقاً.

وادعى بعض بني مروان أن عامل المدينة صحّف. وإنما رأى في الكتاب إخص من قبلك، فقال الكاتب الذي قرأ الكتاب: كيف يقولون ذلك ولقد كانت الخاء مبعجة بنقطة كأنها سهيل؟.

١٤٨ ـ قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: قيل لعقيل بن علقمة وكان شديد الغيرة، وأراد سفراً: أين غيرتك على من تخلِّف؟ قال: أخلف معهن الجوع والعري، فإنهن إذا جعن لم يمزحن، وإذا عرين لم يبرحن.

١٤٩ ـ وعن المغيرة بن شعبة أن سعد بن عبادة قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربت رأسه بالسيف. فبلغ ذلك النبي، ﷺ، فقال: «لا تعجبوا من غيرة سعد، فواللّه إني لأغير من سعد، واللّه أغير مني، من أجل ذلك حرم اللّه الفواحش ما ظهر منها وما بطن» فقال: يا أبا ثابت أكنت ضاربه بالسيف؟ قال: نعم، والذي نزَّل عليك الكتاب. فقال رسول اللّه ﷺ: «كفى بالسيف شا». ولم يتمها. أراد شاهداً لئلا يبالغ فيه الغيران والسكران.

١٥٠ ـ قال عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة [٢]: كان امرؤ القيس بن حجر مئناثاً لا يولد له ذكر، وكان غيوراً شديد الغيرة، فإذا ولدت له بنت قتلها. فلما رأى نساؤه ذلك غيبن بناتهن في أحياء العرب. وبلغه ذلك فركب راحلته وخرج مرتاداً لهن حتى أناخ على حي من أحياء العرب، وإذا جوار مجتمعات، فقال: أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي؟ فسكتن عنه، وقالت ابنته: هات. فأنشأ يقول:

---

(١) دير الخصيان: بفور اللقاء بين دمشق وبين المقدس معجم البلدان (٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).

(٢) هو الإمام عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي الإمام النحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب وغريب القرآن ومشكل الحديث وطبقات الشعراء وقد سكن بغداد وتوفي سنة ٢٤٦ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢/ ١٦٩.

تَبَلتْ فؤادَكَ إذ عَرَضْتَ عشيةً | بيضاءَ بهنكةٍ [١] عليها اللؤلؤُ

قال: فسكتت ساعة، ثم قالت:

لعقيلة الأدحي [٢] باتَ يحفُّهَا | كنقا [٣] الظليم [٤] وزالَ عنها الجؤجؤُ

فضربها بالسيف فقتلها. وسار حتى نزل بحي آخر، فإذا بجوار يلعبن فقال: أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي؟ فسكتن عنه، وقالت ابنته: هات. فقال:

إذا بركتْ تعالى مرفقاهَا | على مثلِ الحصيرِ من الرخامِ

فسكتت ساعة، ثم قالت:

وقاموا بالعِصِيِّ ليضربوهَا | فهبَّتْ كالفَنِيقِ [٥] مِنَ النعامِ

قال: فقتلها، ثم سار حتى نزل إلى حي آخر، فإذا بجوارٍ يلعبن. فقال: أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي؟ فسكتن عنه. وقالت ابنته: هات. فقال:

وكأنهنَّ نعاجُ رملٍ هائلٍ | بدفٍّ [٦] يَمِدْنَ كما يميدُ الشاربُ

فسكتت ساعة، ثم قالت:

بلْ هُنَّ أقربُ في الخطا من خَطْوِهَا | إنَّ الخرائدَ [٧] مشيُهَا متقارِبُ

قال: فنزل إليها فقتلها وسار.

١٥١ ـ نزل أعرابي من طي، يقال له المثنى بن معروف، بأبي جبر الفزاري فسمعه يوماً يقول: لوددت أني بت الليلة خالياً ببنت عبد الملك بن مروان. فقال المثنى: أحلالاً أم حراماً؟ فقال: ما أبالي. قال: فوثب إليه فضرب رأسه برحالة فشجه، ثم ارتحل وهو يقول:

---

(١) الهنكة: هي المرأة البضة الناعمة.
(٢) الإدحي: موضع بيض النعام وتفريخه.
(٣) النقا: عظم العضد.
(٤) الظليم: ذكر النعام.
(٥) الفنيق: هو الفحل الذي لا يُركَبُ ولا يمس.
(٦) دف: هو ما ارتفع من الأرض والرمل.
(٧) الخرائد: جمع خريدة وهي البكر التي لم تمس.

أبلـغْ أميـرَ المـؤمنيـنَ رسـالـة على النأي أني قدْ وترتُ أبا جبرِ
نشـرتُ علـى اليـافـوخ منـه رحـالـةً لنصـري أميـر المـؤمنيـن ولا يـدري
ومـا كـانَ شـيءٌ غيـرَ أنـي سمعتُـهُ ينـادي نسـاءَ المـؤمنيـنَ بـلا مَهْـرِ

قال، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبي جبر وبعث إلى المثنى بصلة جزيلة.

١٥٢ ـ وعن عبد الملك بن عمير قال: كانت هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري عند روح بن زنباع، وكانت امرأة فصيحة أديبة، برزة؛ وكان روح رجلاً غيوراً، فرآها ذات يوم مشرفة على وفد من جذام. فجعل يضربها، ويقول: أتشرفين وتنظرين إلى الرجال؟ قالت: ويحك، وهل أرى إلا جذامياً، والله ما أحب منهم الحلال فكيف الحرام؟ فقال روح في ذلك:

اثنـي عليـكِ بـأنَّ بـاعَـكِ ضيِّـقٌ وأنَّ أصلَـكِ فِـي جُـذَامٍ ملتصـقْ

وفيه تقول هند؟

وهـل أنـا إلا مُهْـرَةٌ عـربيَّـةٌ سليلـةُ أفـراسٍ تَحَلَّلَهـا بغـلْ
فـإن نتجـتْ حـراً كـريمـاً فبـالحـرا وإن يك أقراف [1] فما أنجب الفحلُ

فقال لها روح: اللَّهم إن مت قبلها فابتلها بزوج يلطم وجهها، ويقيء في حجرها. ومات روح بن زنباع وتزوجها بعده محمد بن الحكم ابن أبي عقيل الثقفي، وكان شاباً جميلاً، شراباً للخمر؛ فأحبته حباً شديداً، فكان يلطم وجهها ويقيء في حجرها. فقالت: رحم اللَّه أبا زرعة، فقد استجيبت دعوته. وأنشدت للخذيمي.

ما أحسن الغيرة في حينها إلى آخر الأبيات المتقدمة.

١٥٣ ـ وقال الشنفري:

إذا مـا جئـتِ مـا أنهـاكِ عنـه ولـم أُنكـرُ عليـكِ فطلقينـي

(١) إقراف: الهجين.

فأنتِ البعلُ يومئذٍ فقومي   بسَوطِكِ لا أبا لكِ فاضربيني

١٥٤ ـ نزل عاصم بن عمر بن الخطاب، رضي اللّه عنه، خيمته بقُدَيْد [١]. بفناء بيت من بيوت قديد، وهو يريد مكة معتمراً، فحطَّ رحله، وكان رجلاً جسيماً من أعظم الناس بدناً، وأحسنهم وجهاً. فأرسلت إليه ربة البيت: يا هذا إن لي زوجاً غيوراً يمر الإنسان بجانب بيتي فيضربني، وإن رآك في هذا المنزل لقيت منه شراً، فأنشدك اللّه إلا تحولت عني فأرسل إليها: إني قد نزلت وأنا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك بي بأس، والتحويل يشق علي. قال فردت إليه الرسول حتى تحول عنها. ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة، فقالت: هي خردية بنت أكتم، وتزوجها ربيع بن أصرم، ولها بني صغير سمته باسم أبيها. ثم ذهبت العجوز. وقال عاصم بن عمر أبيات شعر. ثم دخل زوجها واستقر في منزله، فلما فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم أنه شفى غيظه ثم أنه أتاه، فصاح به، فخرج، فقال له: بأبي أنت، ما عرضك لي؟ فأخبره خبره وخبرها، فقال: بأبي أنت، لو كنت معي في منزلي ما كان عليَّ منك بأس.

١٥٥ ـ قال كان عقيل بن علقمة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد علمناه، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه، فقال: أما إذا كنت فاعلاً فجنبني هجناك. وخطب عقيل وقال:

رَدَدْتُ صحيفةَ القُرَشِيِّ لمّا   أبتْ أعراقُه إلاّ احمرَارا

١٥٦ ـ حكى علي بن سليمان الأخفش [٢] قال: قال ابن الكلبي: كان لقمان بن عاد حكيم العرب غيوراً، فبنى لامرأته صرحاً وجعلها فيه، فنظر إليها رجل من الحي فعلقها، فأتى قومه فأخبرهم وجده بها، وسألهم الحيلة في أمره. فأمهلوه حتى أراد لقمان الغزو، فعمدوا إلى صاحبهم وشدوه في حزمة سيوف وأتوا إلى لقان فاستودعوها إياه، فوضع السلاح في بيته، فلما مضى تحرك الرجل في السيوف، فقامت إليه المرأة تنظر فإذا هي برجل، فشكى إليها حبه إياها،

(١) قديد: مكان قرب مكة معجم البلدان (٤/٣١٣).

(٢) هو علي بن سليمان بن الفضل الأخفش أبو الحسن وهو الأخفش الصغير، نحوي، له مصنفات وهي الأنواء والتثنية والجمع وشرح سيبويه وتوفي سنة ٣١٥ هـ. انظر: معجم الأدباء: ١٣/ ٢٤٦.

فأمكنته من نفسها، فلم يزل معها مقيماً حتى قدم لقمان فردته في السيوف كما كان، وجاء قومه فاحتملوه. وإن لقمان نظر يوماً إلى نخامة في السقف فقال: من تنخم هذه؟ فقالت: أنا. قال: فتنخمي. فقصرت فقال: يا ويلتاه والسيوف دهتني. فقتلها ثم نزل فلقي ابنته صخر صاعدة فأخذ حجراً فهشم رأسها فماتت. وقال: أنت أيضاً امرأة. فضربت العرب بذلك المثل. فكان يقول المظلوم منهم ما أذنبت إلا ذنب صخر.

١٥٧ ـ ولّى عمر بن الخطاب، رضي اللّه عنه، النعمان بن نضلة العدوي بميسان [١]، وأراد رحيل امرأته معه، فأبت ذلك وكرهته. فلما وصل إلى ميسان أراد أن يغيرها فترحل إليه، فكتب إليها:

ألا هـلْ أتـى الخنسـاءَ أنَّ خليلَهـا … بميسانَ يُسقى في زجاجٍ وحنتم [٢]

إذا شئـتَ غنتنـي دهـاقيـنُ قـريـةٍ … وصـاحبُـه يجثـو علـى خـدِّ مبْسَـمَ

فإن كنتَ ندماني فبالأكبر اسقني … ولا تسقنـي بـالأصغـر المتثلّـم

لعـلَّ أميـر المـؤمنيـن يسـوؤهُ … تنـادمنـا فـي الجوسق [٣] المتهدِّمِ

فبلغت الأبيات عمر بن الخطاب، فقال: أي واللّه، وأبي وأبيك، يسوؤني. يا غلام، اكتب بعزله. فلما قدم على عمر بكّته [٤] بهذا، فقال: يا أمير المؤمنين ما شربتها قط، ولا قلت الأبيات إلا بسبب كذا. فقال عمر: أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً.

١٥٨ ـ ضُرِب البعث على رجل من أهل الكوفة [٥] فخرج إلى أذربيجان [٦]

---

(١) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط وفيها قبر عزير النبي عليه السلام (٥/٢٤٢).

(٢) حنتم: هي الجرة الخضراء.

(٣) الجوسق: هو القصر الصغير أو الحصن.

(٤) بكّته: أي قرّعه ووبخه.

(٥) الكوفة: مدينة مشهورة في العراق.

(٦) أذربيجان: حد أذربيجان من بَردعة مشرقاً إلى أرزنجان غرباً ويتصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل والطّرم (١/١٢٨).

فاشترى فرساً وجارية وكان مملكاً بابنة عمه فكتب ليغريها:

ألا بلِّغَا أمَّ المؤمنينَ بأنّنَا ... غنينَا وأغنينَا الغطارفَةَ [١] الجُرْد
بعيدُ مناطِ المنكبينَ إذا جرى ... وبيضاءُ كالتمثالِ زيَّنَها العقدُ
فهذا لأيامِ الغدوِّ وهذه ... لحاجةِ نفسي حينَ ينصرفُ الجندُ

فلما ورد كتابه، دعت بالدواة وكتبت إليه:

إذا شئت غنّاني علامٌ مرجل ... ونازعتُهُ في ماءِ معتصرِ الوردِ
وإن شاء منهم ناشىءٌ مد كفَّه ... إلى كبدٍ ملساءَ أو كفل نهدِ
فما كنتمُ تقضُونَ حاجةَ أهلِكُمْ ... شهوداً فتقضُوهَا على النأيِ والبعدِ
فعجِّلْ علينَا بالسَراحِ فإنَّهُ ... منَانَا ولا ندعو لكَ اللّهَ بالردِّ
ولا قفلَ الجندُ الذي أنتَ فيهمُ ... وزادَكَ ربُّ الناسِ بعداً على بعدِ

فلما ورد كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية ولحق بها، فكان أول شيء بدأها به أن قال لها: باللّه أكنت فاعلة ما قلت؟ فقالت: اللّه في قلبي أعظم وأجل، وأنت في عيني أحقر وأذل من أن أعصي اللّه فيك. ثم قالت له: كيف ذقت طعم الغيرة؟ فوهب لها الجارية، ورجع إلى مكانه.

١٥٩ ـ قالت هند بنت النعمان بن بشير لزوجها روح بن زنباع، وكان شديد الغيرة: عجباً منك كيف يسوِّدك قومك وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان، وأنت غيور؟ فقال لها: أما جذام فإني في أرومتها؛ وأما الجبن فإنما لي نفس واحدة فأنا أحفظها، ولو كانت لي نفس أخرى لجدتُ بها؛ وأما الغيرة فحقيق لمن كانت له امرأة حمقاء مثلك أن يغار عليها مخافة أن تجيئه بولد من غيره فتقذف به في حجره.

١٦٠ ـ حكى دعبل بن علي [٢] قال: عبث عطار اسمه فيروز بامرأة من الشام

(١) الغطارفة: جمع الغطارف وهو: السيد الكريم.

(٢) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي أبو علي، شاعر مطبوع مفلق يقال: إن أصله من الكوفة وكان أكثر مقامه ببغداد ورحل إلى دمشق ومصر وكان هجّاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد وله ديوان شعر وطبقات الشعراء مات سن ٢٤٦ هـ. انظر معجم الأدباء: ١١/ ٩٩.

تسومه عطراً فعلقت بقلبه، فقعد لها على طريقها، فلما أضجرها قالت: واللّه لو أن عبد اللّه بن سيرة بقربي ما طمعت في هذا مني. فبلغت عبد اللّه بن سيرة هذه الكلمة وهو في البعث بأرمينية [١]، فترك مركزه وأقبل لا يلوي على أحد، حتى وقف ببابها ليلاً، وكان يوصف بشدة الغيرة، فاستأذن عليها، فأذنت له، فقال لها: أيتها المرأة من هذا الذي عبث بك حتى تمنيت أني بقربك؟ قالت: رجل عطار. قال لها: فما ابتنى؟ قالت: لا. قال لها: فعديه الليلة القابلة وإني أسبقه إلى بيتك. فبعثت إليه تقول له: إذ أبيت إلا ما تريد، فهلم إلى بيتي الليلة عندي. فأقبل إليها وقد سبقه ابن سيرة، فلما دخل وثب عليه وضربه ضربة رمى برأسه، ثم قتل خادمها، وقال لها: إنما قتلته لئلا يطلع على الخبر أحد من الناس. ثم ناولها مائة دينار، وقال لها: إشتري بها خادماً وأنفقي باقيها على نفسك. ثم قال: هلمي فأساً فقلع رأس البالوعة ثم جرهما فألقاهما فيها، ثم سوى رأس البالوعة، وقال للمرأة: أظهري أن الخادم قد أبق. ثم خرج، ولم يعلم به أحد، ولم يأت منزله حتى قدم أرمينية وقال في ذلك:

إن المنـــايـــا لِغَيْـــرانٍ لَمُعْـــرِضـــةٌ ... يغتـــالُـــه النحـــرُ أو يغتـــالُـــه الأســـدُ
أو عقربٌ أو شجى في الحلقِ معترضٌ ... أو حيـــة فـــي أعـــالـــي منتهـــى الـــزبـــد

١٦١ ـ وكانت لابن الدمينة امرأة يقال لها حما، وكان مزاحم بن عمر السلولي يأتيها ويتحدث إليها، فمنعها ابن الدمينة من ذلك فاشتد ذلك عليه، فقال مزاحم عند ذلك يذكرها:

يـا ابـن الـدمينـةِ والأخبـار تحملهـا ... وخـدُ النجـائـب تبـديهـا وتنميهـا
أمـــارة، كَيَّـــة مـــا بيـــن عـــانتهـــا ... وبيـــن ســـرتهـــا لا شـــك كـــاويهـــا

فلما بلغ ابن الدمينة ذلك عرف العلامة التي في زوجته وعلم أنه لم ير ذلك منها إلا وقد أفضى إليها. فأتى امرأته فقال: قد بلغني غشيان مزاحم لك، وقد قال فيك ما قال. فأنكرت ذلك، وقالت: واللّه ما رأى ذلك الموضع قط. قال: فما

---

(١) أرمينية: هما أرمينيتان الكبرى والصغرى: وحدّهما من برذعة إلى باب الأبواب ومن الجهة الأخرى إلى بلاد لزوم وجبل القبق وصاحب السرير. معجم البلدان (١/ ١٥٨).

أعلمه بعلامتك التي وصفها؟ قالت: النساء رأين ذلك إذ كنت جارتهن، فتحدثن بذلك، فسمعه مزاحم. وتغافل ابن الدمينة عن مزاحم حتى ظن أنه قد ذهب من قلبه، ثم قال لامرأته: لئن لم ترسلي إليه الليلة يأتيك في موضع كذا لأقتلنك. فأرسلت إليه: إنك قد سمَّعت بي ولا أحب أن تأتيني وأنا سآتيك في موضع كذا. فقعد في الموضع ابن الدمينة وأصحابه، وجاء مزاحم وهو يظن أنها في الموضع الذي وعدته به، فخرجوا إليه وأثقوه وصروا صرة من رمل في ثوب وضربوا بها كبده حتى مات، واحتملوه حتى أتوا به ناحية دور قومه فطرحوه بها. وجاء أهله فأخذوه ولم يجدوا به أثر سلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله. ورجع ابن الدمينة إلى امرأته فقتلها وقتل ابنه له منها، وطلبه السلوليون فلم يجدوه.

١٦٢ ـ وحكى الثوري: أن رجلاً من بني عقيل تعلق جارية وأبي أهلها أن يزوجوه إياها، وكانت من أجمل النساء، وكان اسمها ليلى، فسمع بها رجل موسر من ثقيف يقال له حارثة بن عوف، فقدم على أهلها فأرغبهم، فزوجوه وظعن بها. فقال العقيلي الذي كان تعلقها:

ألا إنَّ ليلى العامريةَ أصبحتْ تَقَطَّعُ إلاّ مِنْ ثقيفٍ وِصَالِهَا
كأَنَّ معَ الركبِ الذينَ تَحمَّلُوا غمامةُ صيفٍ زعزعتْهَا شمالُها

ثم اشتد شوقه وزاد ولعه، فخرج في أثرها حتى قدم الطائف، فانتسب أنه أخ لها وصدقت هي فأدخله زوجها، وذبح له ونحر، وكان صاحب خمر. فجلس هو والثقفي يشربان وهي تسقيهما فلما أخذت الخمر في العقيلي باح بسره، فلما سمعه الثقفي هم به ثم غلبه السكر فخرج العقيلي تحت الليل وتبعه الثقفي بأكلب له عقر فأدركه وقد شارف بلاد بني كليب، وقد غلبه العطش فمات. فخلى أكلبه على حيفته فأكلته. فسمعت بذلك الكلابيون فرحلوا في أثر الثقفي فأدكوه فقتلوه وخلوا عليه أكلبه فأكلته. وسمع العقيليون بخبر الرجلين فركبوا إلى المرأة فطرقوها في منزله فقتلوها، ورحلوا. فوثبت عليها أكلب زوجها فأكلتها. فقال جار الثقفي:

لعَمْري لقدْ ساقَ العقيليُ حتفَهُ وما خُبْر ليلى كانَ عنها بأبعدِ
وخبْرُ الفتى القيسيِّ قد سيق نحوَهُ وأمسى مقيماً بين أضلاعِ أزبدِ

أقاموا جميعاً رهنَ أجوافِ أكلُبِ كـذلـك أمـرُ اللّـهِ فـي اليـوم والغـدِ

١٦٣ ـ ويروى عن رسول اللّه ﷺ، أنه قال: «الغيرة من الإيمان، وأيما رجل أحسَّ بشيء من الفجور في أهله فلم يغيره، إلا بعث اللّه إليه ملكاً يقول له غِرْ أربعين يوماً، فإن لم يفعل مسح بجانحه على عينيه، فإن رأى حسناً لم يدره، وإن رأى قبيحاً لم ينكره».

وعنه ﷺ قال: «كتب الجهاد على رجال أمتي، والغيرة على نسائها، فمن صبرت منهن واحتسبت أعطاها اللّه أجر الشهيد».

١٦٤ ـ وعن علي عليه السلام أنه قال: «من أطاع امرأته في أربع أكبَّه اللّه في النار على وجهه. أن يعطيها في أن تذهب إلى العرسات وإلى المعلمات وإلى الحمامات وإلى الجنائز».

١٦٥ ـ وقال الأحوص يتشبب بأم جعفر الحطمية:

أدورُ، فلـولا أن أرى أمَّ جعفـرٍ بـأبيـاتِكُـمْ، مـا درتُ حيـثُ أدورُ

ومـا كنـتُ دَوَّاراً ولكـنَّ ذا الهـوى إذا لـم يـزرْ لا بـدَّ أنْ سَيـزُورُ

لقـدْ منعـتْ معـروفَهـا امُّ جعفـرٍ وإنـي إلـى معـروفِهـا لفقيـرُ

فاستعدى أيمن، أخوها، عليه عامل المدينة وكان أيمن جسيماً ضخماً وكان الأحوص نحيفاً، فدفع إلى كل واحد منهن سوطاً وقال لخالد: إضرب الأحوص. فقال بعض الشعراء:

لقـد مَنَـعَ المعـروفَ مـن أمِّ جعفـرٍ أخـو ثقـةٍ عنـد الحفـاظِ صبـورُ

عـلاكَ بمتـنِ السـوطِ حتـى لقيتَـه بـأصغـرَ مـن مـاءِ الصفـاقِ يفـورُ

قال الأحوص بعد ذلك:

إذا أنـا لـم أغفـرْ لأيمـنَ ذنبَـهُ فمنْ ذَا الَّذِي يعفو لهُ ذنبَهُ بعدي

يسـيءُ فـأعفـو ذنبَـهُ، فتـردُّنـي أيـادِ يـدانيهـا مبـاركـةٌ عنـدي

١٦٦ ـ تزوج عبد اللّه بن يزيد الحنفي امرأة حسناء، وكان رجلاً ثقيلاً جسيماً ظريفاً، فأحبها حباً شديداً، وكان من أشد الناس غيرة. فدعاه حبه لها، وشدة غيرته عليها، أن خرج بها إلى بعض البوادي فابتنى لها قصراً وسكن به وأقام معها مدة.

١٦٧ ـ وخرج عمر بن سعيد العبدي يريد سفراً له، فأخذته السماء في بعض الطريق فنظر، فإذا هو بقصر عظيم، فعدل إليه، وقرع بابه، فخرج إليه عبد اللّه بن يزيد فعرفه، فسلم عليه وأنزله، وهيأ له طعاماً ثم دعا بشراب من خمر عتيق. فبينما هما يشربان إذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاماً شاباً، وسكر زوجها سكراً شديداً فخرجت المرأة إلى عمر بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته إلى نفسها فأبى، وقال: ما كنت بالذي أفعل برجل أتاني منزله. ولم يزل يدفعها حتى أفاق عبد اللّه بن زيد من سكره، فأنشأ عمر يقول:

ربَّ بيضاءَ خصرُهَا يتثنَّى قد دعْتني لوصْلِهَا فأبيتُ
لمْ يَكُنْ شأني العفافُ ولكنْ كُنتُ ندمانَ زوجِهَا فاستحيتُ

فعلم عبد اللّه بن يزيد ما أراد، فلما انصرف عمر بن سعيد عمد عبد اللّه إلى المرأة فجعل في عنقها حبلاً وعلقها به إلى السقف، فاضطربت حتى ماتت. وعلم أن النساء لا حفظ لهن، وآلى على نفسه أنه لا يتزوج امرأة أبداً. وترك قصره وعاد إلى منزله.

١٦٨ ـ وقال الفضيل بن الهاشمي: كنت مع ابنة عمي نائماً على سرير إذ ظهرت إلي بعض جواري، فنزلت، فقضيت حاجتي، ثم انصرفت. فبينما أنا راجع، إذ لدغتني عقرب فصبرت حتى عدت إلى موضعي من السرير، فغلبني الوجع، فصحت، فقالت لي ابنة عمي: ما لك؟ قلت لها: لدغتني عقرب. قالت: وعلى السرير عقرب؟ قلت: نزلت لأبول فأصابتني، ففطنت، فلما أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن أن لا يقتلن عقرباً في دارها إلى سنة. ثم قالت:

إذا عُصي اللّهُ في دارنا فإنَّ عقارَبنا تغضبُ
ودارٌ إذا نام حُرَّاسُهَا أقامَ الحدودَ بها العقربُ

١٦٩ ـ قالوا: وبينا ابن أبي ربيعة في الطواف، إذ رأى جارية من أهل البصرة [1]، فأعجبته، فدنا منها، فكلمها، فلم تلتفت إليه. فلما كان في الليلة الثانية عاودها، فقالت له: إليك عني أيها الرجل فإنك في موضع عظيم الحرمة! وألحَّ عليها وشغلها عن الطواف، فأتت زوجها، فقالت له: تعال معي فأرني المناسك. فأقبلت وهو معها وعمر جالس على طريقها فلما رأى الرجل معها عدل عنها فقالت:

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ لهُ ... وتتَّقي مربضَ المستأسدِ الحامي

فحدث المنصور هذا الحديث، فقال: وددت أنه لم تبق فتاة من قريش في خدرها إلا سمعت الحديث.

١٧٠ ـ وكان عمارة بن الوليد أخو خالد بن الوليد سيف اللّه من فتيان قريش جمالاً وشعراً، وهو الذي جاءت به قريش إلى أبي طالب قالوا: هذا عمارة، قد عرفت حاله، فخذه بدل ابن أخيك محمداً، وأعطنا محمداً نقتله. فقال لهم أبو طالب: ما أنصفتموني تعطوني ابن أخيكم أحفظه وأعطيكم ابن أخي تقتلوه؟ وبعثت قريش عمارة بن الوليد، وعمرو بن العاص إلى النجاشي في أمر من قدم إليه من المهاجرين، فلما كانوا في السفينة ومع عمرو امرأته أم عبد اللّه فقال لها عمارة: قبليني. فقال لها عمرو: قبلي ابن عمك. وقال عمرو في ذلك:

لِيَعْلَمْ عُمَارُ أنَّ مِنْ شرِّ شيمةٍ ... لمثلك أن يُدعى ابن عم له ابن ما

أإن كنتِ ذا بردين أحوى [2] مرجَّلاً ... ولستِ تراعي لابن عمكِ محرمَا

إذا المرءُ لم يتركْ طعاماً يحبُّهُ ... ولم ينهَ قلباً عارياً حيث يمَّمَا

قضى وطراً منه وغادرَ سبَّةً ... إذا ذكرتْ أمثالُها تملأ الفَما

وقعد عمرو على منجاف [3] السفينة لقضاء الحاجة، فدفعه عمارة، فألقاه في البحر، فما تخلص حتى كاد يموت. فلما صار إلى النجاشي أظهر له عمرو أنه لم

---

(١) البصرة: مدينة مشهورة من مدن العراق.

(٢) أحوى: هي حمرة في الشفاه تضرب إلى السواد.

(٣) منجاف: هو سكان السفينة الذي تعدل به.

يحفل بما أصابه منه، فجاءه عمارة يوماً فحدثه أن زوجة الملك النجاشي علقته وأدخلته إلى نفسها، فلما تبين لعمرو حال عمارة وشى به عند الملك وأخبره خبره، فقال له النجاشي: ائتني بعلامة استدل بها على ما قلت؟ فعاد عمارة، فأخبره عمرو بأمره وأمر زوجة النجاشي فقال له عمرو: لا أقبل هذا منك إلا أن تعطيك من دُهن الملك الذي لا يدَّهِن به غيره. فكلمها عمارة في الدهن، فقالت له: أخاف من الملك. فأبى أن يرضى منها إلا أن تعطيه من ذلك الدهن، فاعطيته منه، فاعطاه إلى عمرو، فجاء به إلى الملك، فأمر السواجر فنفخن في إحليله، فذهب مع الوحش، فلم يزل متوحشاً حتى خرج إليه عبد اللّه بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه، فجعل له على الماء شركاً، فأخذه، فجعل يصيح به: أرسلني فإني أموت إن امسكتني. فأمسكه، فمات في يده.

١٧١ ـ حكى عروة بن الزبير، عن عائشة رضي اللّه عنها، قالت: ما غِرْتُ على امرأة لرسول اللّه، ﷺ، ما غرتُ على خديجة. ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما أسمع من كثرة ذكره إياها. وكان يذبح الشاة فيفرقها على صدائق خديجة. قال ودخل رسول اللّه ﷺ، على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها: «بالكره مني يا خديجة ما أرى منك، وقد يجعل اللّه في الكره خيراً كثيراً. أما علمت أن اللّه زوجني معم في الجنة مريم ابنة عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون؟ قالت: وقد فعل اللّه ذلك برسوله؟ قال: نعم. قالت: فبالرفاء والبنين».

الباب الخامس

باب ما جاء في وفاء النساء

١٧٢ ـ حكى الأصمعي، عن رجل من بني ضبة قال: ضلَّت لي إبل فخرجت في طلبها حتى أتيت بلاد بني سليم، فلما كنت في بعض تخومها، إذا جارية غشي بصري إشراق وجهها، فقالت: ما بغيتك فإني أراك مولها؟ قلت: إبل ضلت لي، فأنا في طلبها. قالت: فتحب أن أرشدك إلى من هي عنده؟ قلت: نعم. قالت الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن فإن شاء ردهن، فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختيار. فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها، فقلت لها: هل لك من بعل؟ قالت: كان واللَّه فدعي فأجاب إلى ما منه خلق، ونعم البعل كان. قلت لها: فهل لك في بعل لا تذم خلائقه، ولا تخشى بوائقه؟ فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً فأنشأت تقول:

كُنَّا كغُصنينِ من بَانٍ[1] غذاؤُهما ... ماءُ الجداولِ في رَوْضَاتِ جنَّاتِ

فاجتثَّ صاحبَها من جنبِ صاحبِه ... دهرٌ يَكِرُّ بِفَرْحَاتٍ وتَرْحَاتِ

وكان عَاهَدني إن خَانَنِي زمنٌ ... أن لا يُضَاجِع أُنثى بعد مَوْتَاتِ

وكنتُ عَاهَدته أيضاً، فعاجَلَهُ ... ريبُ المنونِ قريباً مُذْ سُنَيَّاتِ

فاصْرِف عتابَك عمَّن ليس يصرفه ... عن الوفاءِ له خلب[2] التحياتِ

قال: فانصرفت وتركتها.

١٧٣ ـ قال الأصمعي: قال لي الرشيد: إمض إلى بادية البصرة فخذ م

---

(١) بان: ضرب من الشجر لين ورقه كورق الصفصاف.

(٢) خلب: أي المخادعة.

تحف كلامهم وطرف حديثهم. فانحدرت، فنزلت على صديق لي بالبصرة، ثم بكرت أنا وهو إلى المقابر، فلما صرت إليها إذا بجارية نادى إلينا ريح عطرها قبل الدنو منها، عليها ثياب مصبغات حلي، وهي تبكي أحر بكاء. فقلت: يا جارية ما شأنك؟ فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فِيمَ حُزْني؟ فإنني رهينــةُ هــذا القبــرِ يــا فتيــانَ
أهابُك إجلالاً، وإن كنتَ في الثرى مخـافـةَ يـوم أنْ يَسُـوؤَكَ مكـانـي
وإنـي لأسْتَحْييـكَ، والتـربُ بيننـا كمـا كنـتُ أستحييـك حيـن ترانـي

فقلنا لها: ما رأينا أكثر من التفاوت بين زيك وحزنك فأخبري بشأنك؟ فأنشأت تقول:

يا صاحبَ القبرِ، يا مَنْ كان يُؤْنِسُني حيّاً، ويُكثرُ في الدنيا مُواساتي
أزورُ قبـرَكَ فـي حِلْـيٍ وفـي حِلَـلٍ، كـأننـي لسـتُ مـن أهـلِ المُصِيبـاتِ
فمَـن رآنـي، رأى عَبْـرىً مفجعـةً مشهـورة الـزِّي تَبْكـي بيـن أمـواتـي

فقلنا لها: وما الرجل منك: قالت: بعلي، وكان يحب أن يراني في مثل هذا الزي، فآليت على نفسي أن لا أغشى قبره إلا في مثل هذا الزي لأنه كان يحبه أيام حياته، وأنكرتماه أنتما علي.

قال الأصمعي: فسألتها عن خبرها ومنزلها. وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت، حتى حدثته حديث الجارية. فقال: لا بد أن ترجع حتى تخطبها إلي من وليها، وتحملها إلي، ولا يكون من ذلك بد. ووجه معي خادماً ومالاً كثيراً. فرجعت إلى قومها فأخبرتهم الخبر، فأجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم. فلما صرنا إلى المدائن [1] نما إليها الخبر، فشهقت شهقة فماتت، فدفناها هنالك. وسرت إلى الرشيد فأخبرته الخبر، فما ذكرها وقتاً من الأوقات إلا بكى أسفاً عليها.

١٧٤ ـ توفي رجل وبقيت امرأته شابة جميلة، فما زال بها النساء حتى

(١) المدائن: مجموعة من في العراق معجم البلدان (٥/ ٧٤ ـ ٧٥).

تزوجت. فلما كان ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الأول آخذاً بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول:

حَيِّيْتُ ساكِنَ هذا البيتِ كلَّهُم ... إلاَّ الرَّبابَ فإنِّي لا أُحيِّيهَا

أمستْ عروساً وأمسى مسكني جدثٌ ... بين القبورِ وإنِّي لا أُلاقيها

واستبدلت بَدَلاً غيريْ، فقد علمتْ ... أنَّ القبورَ تُواري مَنْ ثَوَى فيها

قد كنتُ أحْسَبُها للعهد راعيةً ... حتى تموتَ وما جفتْ مآقيها

ففزعت من نومها فزعاً شديداً، وأصبحت فاركاً ـ أي مبغضة للأزواج وآلت أن لا يصل إليها رجل بعده أبداً.

١٧٥ ـ ولما قتل عثمان، رضي اللّه عنه، وقفت يوماً على قبره نائلة بنت الفراصة الكلبي، فترحمت عليه ثم انصرفت إلى منزلها، ثم قالت: إني رأيت الحزن يبلى كم يبلى الثوب، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي. فدعت بفِهر [1] فهتفت فاها، وقالت: واللّه لا يقعد رجل مني مقعد عثمان أبداً. وخطبها معاوية فبعثت إليه أسنانها، وقالت: أذات عروس ترى؟ وقالوا: لم يكن في النساء أحسن منها مضحكاً.

١٧٦ ـ كان هدبة بن خشرم العذري قتل ابن عمه يقال له زياد بن زيدة فطلبه سعيد بن العاص، وهو يلي المدينة لمعاوية. فحبسه، فقال في السجن قصيدته التي يقول فيها:

عسى الكرب الذي أمسيتُ فيه ... يكونُ وراءَه فرَجٌ قريبٌ

وفي سجنه يقول أيضاً:

ولَمّا دخلتِ السجن يا أم مالكٍ ... ذكرتُكِ والأطرافُ في حلق سُمَّرِ

وعند سعيدٍ غير أني لم أبحْ ... بذكركِ إلا من يذكِّرُ بالأمرِ

وسئل عن هذا، فقال: لما رأيت ثغر سعيد شبهت به ثغرها، وكان سعيد حسن الثغر. فحبس هدبة سبع سنين ينتظر به احتلام المستورد ابن زيادة، فلما

---

(١) الفهر: هو حجر ناعم صلب.

احتلم، أخرج صبح تلك الليلة إلى عامل المدينة فرغبه في العفو، وعرض عليه عشر ديات، فأبى إلا القود. وكان ممن عرض الديات عليه الحسن بن علي عليهما السلام وعبد اللّٰه بن جعفر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم. فلما أبى، بعث هؤلاء وغيرهم من إخوانه بالحنوط [١] والأكفان فدخل عليه رسولهم السجن فوجدوه يلعب بالنرد [٢]. فجلسوا ولم يقولوا له شيئاً، فلما لحظهم إذا بطرف برد خرج من بعض الأكفان فأمسك، ثم قال: كأنه قد فرغ من أمرنا؟ فقالوا: أجل. فقام فاغتسل ثم رجل إليهم فأخذ من كل واحد ثوباً وردَّ ما بقي وأُخرج ليُقاد منه، فجعل ينشد الأشعار. فقالت له حيا المدينة: ما رأيت أقسى قلباً منك، تنشد الأشعار، وقد دعي بك لتقتل، وهذه خلفك كأنها غزال عطشان تولول؟ يعني امرأته. فوقف، ووقف الناس معه، فأقبل على حيا فقال:

وجدتُ بها ما لم تجدْ أُم واجدٍ ... ولا وَجْدَ حبي بابن أم كلابِ
وإني طويلُ الساعدين سمرطلٌ ... على ما اشتهيت من قوةٍ وشبابِ

فأغلقت الباب في وجهه. وعرض له عبد الرحمٰن بن حسان فقال: أنشدني! فقال له: على هذه الحال؟ قال: نعم. فابتدأ ينشده:

ولستُ بمفراحٍ إذا الدهرُ سرني ... ولا جازعٍ من صرفهِ المتقلبِ
ولا أتمنَّى الشرَّ، والشرُّ تاركي، ... ولكنْ متى أحملِ الشرَّ أركبِ

قال: ونظر رجل إلى امرأته فدخلته غيرة، فقال، وقد كان زيادة جدع أنفه بسيفه:

فإن يك أنفي بانَ عني جمالُه ... فما حسبي في الصالحين بأجدعَا
فلا تنكحي إن فرَّق الدهر بيننا ... أغمَّ القَفَا والوجهُ ليسَ بأنزعَا

١٧٧ ـ وعن أبي حمزة الكناني قال: كنت في حرس خالد بن عبد اللّٰه القسري، فقال خالد: من يحدثني بحديث عسى يستريح إليه قلبي؟ فقلت: أنا.

---

(١) الحنوط: هو كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة من مسك وذريرة وكافور وغير ذلك.

(٢) النرد: هي لعبة ذات صندوق وحجارة وفصين تعتمد الحظ وتعرف عند العامة بالطاولة.

فقال: هات. فقلت: أنه بلغني أنه كان فتى من بني عذرة، وكانت له امرأة منهم، وكان شديد الحب لها، وكانت له مثل ذلك، فبينا هو ذات يوم ينظر وجهها إذ بكى، فنظرت إلى وجهه وبكت، فقالت له: ما الذي أبكاك؟ قال: واللّه، أتصدقيني إن صدقتك، قالت: نعم. قال لها: ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي، فقلت: أمت فتتزوج زوجاً غيري. فقال: واللّه واللّه، أن ذاك الذي أبكاك؟ قال: نعم. قالت: وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي لك فقلت: أموت فيتزوج امرأة غيري. قال الرجل: فإن النساء حرام علي بعدك. فلبثا ما شاء اللّه. ثم إن الرجل توفي فجزعت عليه جزعاً شديداً فخاف أهلها على عقلها أن يذهل، فأجمع رأيهم على أن يزوجوها، وهي كارهة، لعلها تتسلى عنه. فلما كان في الليلة التي تهدى فيها إلى بيت زوجها، وقد نام أهل البيت، والماشطة تهيء من شعرها، إذ نامت نومة يسيرة فرأت زوجها الأول داخلاً عليها من الباب وهو يقول: خنت يا فلانة عهدي، واللّه لا هنيت العيش بعدي فانتبهت مرعوبة، وخرجت هاربة على وجهها، وطلبها أهلها فلم يقعوا لها على خبر.

١٧٨ ـ قال إسحاق: خرجت امرأة من قريش من بني زهرة إلى المدينة تقضي حقاً لبعض القرشيين. وكانت ظريفة جميلة، فرآها من بني أمية وجل فأعجبته، وتأملها فأخذت بقلبه، وسأل عنها فقيل له: هذه حميدة بنت عمر بن عبد اللّه بن حمزة. ووصفت له بما زاد فيها كلفه، فخطبها إلى أهلها فزوجوه إياها على كره منها، وأهديت إليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به، فلم تقم عنده إلا قليلاً حتى أخرج أهل المدينة بني أمية إلى الشام، فنزل بها أمر ما ابتليت بمثله، فاشتد بكاؤها على زوجها وبكاؤه عليها، وخيرت بين أن تجمع معه مفارقة الأهل والولد والأقارب والوطن أو تتخلف عنه مع ما تجد به، فلم تجد شيئاً أخف عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها. فلما صارت بالشام صارت تبكي ليلها ونهارها ولا تتهنّأ طعاماً ولا شراباً شوقاً إلى أهلها ووطنها، فخرجت يوماً بدمشق مع نسوة تقضي حقاً لبعض القرشيين فمرت بفتى جالس على باب منزله، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

ألا ليتَ شعري، هل تغيَّرَ بعدَنا   صحونُ المصلّى، أم كعهدي القرائنُ؟

وهـل أدورُ حـول البـلاطِ عـوامـرٌ ... من الحي، أم هلْ بالمدينةِ ساكنُ؟
اذا لمعـتْ نحـوَ الحجـاز سحـابـةٌ ... دعـا الشوقُ مني بـرقُهـا المتيـامـنِ
ومـا أشخصتنـا رغبـةٌ عـن بـلادِنـا ... ولكنَّـه مـا قـدَّرَ اللَّـهُ كـائـنُ

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع، تنفست نفساً صدع فؤادها فوقعت ميتة. فحملت إلى أهلها وجاء زوجها، وقد عرف الخبر، فانكب عليها فوقع عنها ميتاً. فغسلا جميعاً وكفنا ودفنا في قبر واحد.

١٧٩ ـ وكانت خولة بنت منظور بن زياد الفزاري عند الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي اللَّه عنهم، وكانت أختها عند عبد اللَّه بن الزبير، وهي أحسن الناس ثغراً، وأتمهم جمالاً. فلما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قتل عبد اللَّه بن الزبير زوجها، ثم خطبها، فكرهت أن تتزوجه وهو قاتل زوجها، فأخذت فهراً وكسرت به أسنانها. وجاءها رسول عبد الملك فخطبها، فأذنت له ليراها، فأدى إليها رسالته ورأى ما بها، فقالت: مالي عن أمير المؤمنين رغبة، ولكني كما ترى، فإن أحبني فأنا بين يديه. فأتاه الرسول فأعلمه بذلك، فقال: أنا، واللَّه، إنما أردتها على حسن ثغرها الذي بغلني، وأما الآن فلا حاجة لي فيها.

١٨٠ ـ وممن يضرب به المثل في الوفاء جماعة بنت عوف بن محلم الشيباني وذلك أن عمرو بن عبد الملك طلب مروان القرط وهو مروان بن زنباع العبسي فخرج هارباً حتى هجم على أبيات بني شيبان، فنظر إلى أعظمها بيتاً ببصره فإذا هو بيت جماعة بنت عوف فألقى نفسه بين يديها فاستجارها، فأجارته. ولحقته خيل عمرو فبعثت إلى أبيها فعرَّفَتْهُ أنها أجارته فمنعهم عوف عنه وانصرف أصحاب عمرو. فأرسل عمرو إلى عوف قد آليت ألا أقطع طلبي إلا أن يضع يده في يدي. فقال عوف: واللَّه ما يكون ذلك أبداً لكن يدي بين يديك ويده. قال، فرضي عمرو بذلك. فوضع مروان يده في يد عوف ووضع عوف يده في يد عمرو. فقال عمرو: لا حُرَّ بوادي عوف. فذهبت مثلاً.

١٨١ ـ وحكى عصام المري، عن أبيه، قال بعثنا رسول اللَّه ﷺ، في سرية قبل نجد، وقال: «إن سمعتهم مؤذناً، أو رأيتم مسجداً فلا تقتلن أحداً». فبينا نحن

نسير إذ لحقنا رجل معه ظعائن[1] يسوقها أمامه، فأخذناه، فقلنا له: أسلم. قال: وما الإسلام؟ فعزمنا عليه، قال: أرأيتم إن لم أسلم ما أنتم صانعون بي؟ قلنا نقتلك. قال: فهل أنتم تاركي حتى أوصي من في هذا الهودج بكلمات. قلنا: نعم. فدنا من الهودج وفيه ظعينة فقال: أسلمي جبيش قبل انقطاع العيش. فقالت: أسلم عشراً أو تسعاً وتراً، أو ثمانياً تتراً. قال: ثم جاء فمد عنقه. قال: شأنكم إصنعوا ما أنتم صانعون. فضربنا عنقه ولقد رأيت تلك الظعينة نزلت من هودجها وألقت نفسها عليه فما زالت تقبله وتبكي حتى هدأت فحركناها فإذا هي ميتة.

١٨٢ ـ حكى العتبي قال: كان خالد بن عبد اللّه القسري ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة فقال بعضهم: حدثونا حديثاً لبعض العشاق. قال أحدهم: أصلح اللّه الأمير، ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة رجوعهن. فقال له بعض جلسائه: أنا أحدثك، يا أمير المؤمنين: بلغني عن امرأة من يشكر يقال لها أم عقبة بنت عمرو بن الأعران، وإنها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان، وكان شديد المحبة لها، والوجد بها، وكانت له كذلك. فأقام بها على هذا الحال ما شاء اللّه، لا يزيد كل واحد منهما بصاحبه إلا اغتباطاً. فلما حضرت غسان الوفاة قال لها: يا أم عقبة إسمعي ما أقول، وأجيبي عن نفسك بحق. فقالت له: واللّه لا أجبتك بكذب، ولا أجعله آخر حظك معي. فقال: إن رجوت أن تحفظي العهد، وأن تكوني لي إن مت عند الرجاء. أنا واللّه واثق بك، غير أني بسوء الظن أخاف غدر النساء. ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات. فلم تمكث معه إلا قليلاً حتى خطبت من كل مكان، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب. فقالت مجيبة له:

سأحْفظُ غَسَّاناً، على بعدِ دارهِ ... وأرعاهُ حتى نلتقي يومَ نُحْشَرُ
وإني لفي شُغْلٍ عن الناس كلهِّم ... فكُفُّوا، فما مثلي من الناس يَغْدُرُ
سأبكي عليه، ما حَيِيتُ، بدمعةٍ ... تحولُ على الخدين مني فَتَكْثُرُ

فيئس الناس منها حيناً. فلما طالت بها الأيام نسيت عهده، وقالت: من قد

(١) الظعائن: جمع ظعينة وهي: الراحلة يرتحل عليها.

مات فقد فات. وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدام بن حابس، وقد كان بها معجباً. فلما كانت الليلة التي أراد بها الدخول، أتاها في منامها زوجها الأول فقال لها:

غدرتِ، ولم تَرْعَيْ لبعلِك حرمةً ولم تعرفي حَقاً، ولم ترعي لي عهداً
غدرتِ به لما ثوى في ضَريحه كذلك يُنسَى كل من سَكَن اللحدا

فانتبهت مرتاعة مستحيية منه كأنه يراها أو تراه كأنه في جانب البيت. فأنكر حالها من حضرها، وقلن لها: مالك؟ وما بالك؟ قالت: ما ترك لي غسان في الحياة إرباً، أتاني الساعة فأنشدني هذه الأبيات. ثم انشدتها بدمع غزير، وانتحاب شديد من قلب جريح موجع. فلما سمعن ذلك منها أخذن بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه، فتغفلتهن ثم قامت كأنها تقضي حاجة فأبطأت عليهن، فقمن في طلبها، فوجدنها قد جعلت السوط في حلقها وربطته إلى عمود البيت وجبذت نفسها حتى ماتت. فلما بلغ ذلك زوجها المقدام، حسن عزاؤه عنها، وقال: هكذا فليكن النساء في الوفاة، قلَّ من يحفظ ميتاً، إنما هي أيام قلائل حتى يُنسى وعنه يُتسلّى.

١٨٣ ـ استعدى آل بثينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر، فهرب حتى أتى رجلاً شريفاً من بني عذرة في أقصى بلادهم وله بنات سبع كأنهن البدور جمالاً. فقال الشيخ لبناته: تحلين بأجود حليكن، والبسن فاخر ثيابكن، ثم تعرضن لجميل. فمن اختار منكن زوجته إياها. ففعلن ذلك مراراً وجعلن يعارضنه: فلم يلتفت إليهن. وأنشأ يقول:

حلفتُ لكي تعلمنَ أني صادقٌ وللصدقُ خيرٌ في الأمور وأنجحُ
لَتكليمُ يومٍ من بثينةَ واحدٍ ورؤيتُها عندي، ألذُّ وأملحُ
من الدهر أن أخلو بكن فإنما أُعالِجُ قلباً طامحاً حيثُ يطمحُ

قال أبوهن: دعن هذا، فواللّه لا أفلح أبداً.

١٨٤ ـ كانت أم هانيء بنت أبي طالب تحت زوجها هبيرة بن أبي ليث المخزومي، فهرب يوم فتح مكة إلى اليمن فمات كافراً. فخطب رسول اللّه ﷺ،

أم هانىء فقالت: واللَّه لقد كنت أحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام؟ ولكنني امرأة مصيبة، وأكره أن يؤذوك. فقال النبي ﷺ: «نساء قريش خير نساء ركبن المطايا، أحناهن على ولد صغير، وأرغاهن [(١)]، على زوج ذي يد».

١٨٥ ـ حكى أبو بكر الأنباري [(٢)]، عن أبي اليسر قال: دخلت منزل نخاس لشراء جارية، فسمعت في بيت بإزاء البيت جارية تقول:

وكنّا كزوجٍ من قطافي مفازةٍ ... لدى خفض عيشٍ معجبَ مونقٍ رغدِ
أصابهما ريب الزمان فأفردا ... ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد

فقلت للنخاس: عرض علي هذه المنشدة: فقال إنها حزينة، قلت: ولم ذلك؟ قال: اشتريتها من ميراث، فهي باكية على مولاها. ثم لم ألبث أن أنشدت:

وكنا كغصني بانةٍ وسط دوحةٍ ... نشم جنا الجنات في عيشةٍ رغدِ
فأفرد هذا الغصنَ من ذاك قاطعٍ ... فيافردةَ باتتْ تحنُّ إلى فردِ

قال أبو السمراء: فكتبت إلى عبد اللَّه بن طاهر بخبرها. فكتب إلي: أن ألق عليها هذا البيت، فإن أجازته فاشتراها ولو كانت بخراج خراسان. والبيت:

قريبُ صدٍّ، بعيد وصلٍ ... جعلتُ منه لي ملاذا

فقالت:

فعاتبوه، فزادَ شوقاً ... فماتَ عشقاً، فكانَ ماذا

قال أبو السمراء: فاشتريتها بألف دينار وحملتها إليه. فماتت في الطريق، فكانت إحدى الحسرات.

١٨٦ ـ قال الأصمعي: خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبي صفرة من دمشق متنزهين، فمرا بالجبانة، وإذا امرأة جالسة على

---

(١) أرغاهن: الرغاء: هو الصوت والضجيج.

(٢) هو أبو بكر محمد بن القسم بن بشار الأنباري النحوي اللغوي صاحب المصنفات وكان في كل فن إمامه وكان سائر ما يصنفه ويمليه من حفظه لا من دفتر ولا كتاب. توفي سنة ٣٢٨ هـ وعمره ٥٧٥ سنة. انظر: شذرات الذهب: ٢/ ٣١٥.

قبر تبكي، فهبت الريح، فرفعت البرقع عن وجهها، فكأنها غمامة جَلَت شمساً، فوقفنا متعجبين ننظر إليها، فقال لها ابن المهلب: يا أَمَةَ اللَّه، هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت إلى القبر، وقالت:

فإن تسألاني عن هوايَ، فإنهُ ... بملحودِ هذا القبرِ، يا فتيان

وإني لأستحييهِ والتُرب بيننا ... كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون.

١٨٧ ـ قال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم، فقلت: أخرساء هي؟ فقيل لي: لا، ولكنها كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفي، فآلت أن لا تتكلم بعده أبداً.

١٨٨ ـ قال الفرزدق أبقَ لرجل من بني نهشل، يقال له حصن، غلام. فخرجت في طلبه أريد اليمامة. فلما صرت في ماء لبني حنيفة ارتفعت لي سحابة، فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها، فعَدَلْتُ إلى بعض ديارهم وسألت القرا. فأجابوا، ودخلت الدار، وأنخت ناقتي، وجلست. فإذا جارية كأنها طلعة قمر، فقالت: ممن الرجل؟ قلت من بني حنظلة. قالت: من أي حنظلة؟ قلت: من بني نهشل. قالت: فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق:

إن الذي سمكَ السماءَ بني لنا ... بيتاً دعائمُهُ أعز وأطولُ

بيتاً زرارةُ محتبٍ[1] بفِنَائِهِ ... ومجاشعٌ وأبو الفوارسِ نَهْشَلُ

فقلت: نعم. فتبسمت ثم قالت، فإن جريراً هدم قوله، حيث يقول:

أخزى الذي سمك السماء مجاشعاً ... وأحلَّ بيتكَ بالحضيضِ الأسفلِ

قال: فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها، ثم قالت لي: أين تؤم؟ قلت: اليمامة. فتنفست نفساً وصل إليَّ حرُّهُ، فقلت: أذات خِدْر، أم ذات بعل؟ فبكت. فقلت: ما أجبتني عما سألتك. قال فلما فهمت قولي ولم تكن أولاً فهمته من شدة استغراقها، فلما كان بعد ساعة أنشأت تقول:

(١) محتب: أي أدار الثوب على ساقه وظهره وهو جالس على نحو ما سبق ليستند.

يُخَيَّـلُ لـي، أبـا عمـرو بـن كعـب ... بـأنـك قـد حملـتَ علـى سـريـرِ
فـإن يـكُ هكـذا، يـا عمـرُو، إنـي ... مبكـرةُ عليـكَ إلـى القبـورِ

ثـم شهقـت شهقـة فمـاتـت. فقلـت لهـم: مـن هـذه؟ قـالـوا: عقيلـة بنـت الضحاك بن النعمان بن المنذر. قلت: فمن عمرو؟ قالوا: ابن عمها، خطبها ولم يدخل بها. فارتحلتُ من عندهم فدخلت اليمامة، فسألت عن عمرو فإذا به قد دفن في ذلك الوقت من ذلك اليوم.

١٨٩ ـ يـروى عـن سمـاك بـن حـرب [1]: أن زيـد بـن حـارثـة قـال: يا رسول اللّه، انطلق بنا إلى فلانة نخطبها عليك أو عليَّ أن لم تعجبك: فأتيناها فذكر لها زيد رسول اللّه ﷺ، فقالت له: يا رسول اللّه، إني عاهدت زوجي ألاّ أتزوج بعده أبداً، وأعطاني مثل ذلك. فقال لها رسول اللّه ﷺ: «إن كان ذلك في الإسلام فَفِي له، وإن كان ذلك في الجاهلية فليس بشيء».

١٩٠ ـ قال الأصمعي: خرجت إلى مقابر البصرة، فإذا أنا بامرأة على قبر، من أجمل النساء، وهي تندب صاحبه وتقول:

هـل أخبـرَ القبـرُ سـائليـه ... أم قـرَّ عينـاً بـزائـريـه
أم هـل تـراهُ أحـاطَ علمـاً ... بـالجسـدِ المستكـنِّ فيـه
يـا جبـلاً كـان ذا امتنـاع ... وطـوداً عـد لآمليـهِ
يـا نخلـةً طلعُهـا نضيـدٌ ... يقـرب مـن كـفِّ مجتنيـهِ
يـا مـوتُ مـاذا أردتِ منـي ... حققـتِ مـا كنـتُ أتّقيـهِ
دهـرٌ رمـانـي بفقـد إلفـي ... أذمُّ دهـري وأشتكيـهِ
أمّنـك اللّـهُ كـلَّ خـوفٍ ... وكـل مـا كنـت تتقيـهِ
أسكنـك اللّـه فـي جنـانٍ ... تكـونُ أمنـاً لسـاكنيـهِ

---

(١) هو سماك بن حرب الذهلي الكوفي أحد التابعين قال: أدركت ثمانين من الصحابة وذهب بصري فدعوت اللّه تعالى فرده عليّ. قال أحمد العجلي: كان عالماً بالشعر وأيام الناس فصيحاً. توفي سنة ١٢٣ هـ. انظر: شذرات الذهب: ١/١٦١.

قال، فقلت لها: يا أمة اللّه، ما هذا منك؟ قالت: لو علمت مكانك ما أنشدت حرفاً، هذا زوجي وسروري وأنسي، واللّه لا زلت هكذا أبداً أو ألحق به. قلت لها: أعيدي عليّ الشعر. فقالت: هذا من ذاك. فقلت خذي إليك. وأنشدتها الأبيات، فقالت فإن يكن في الدنيا الأصمعي فأنت هو.

١٩١ ـ قال: كان لاشجع بن عمرو السلمي جارية، يقال لها ريم، وكان يجدها وجدا شديداً، وتجد به. وكانت تحلف له أنها أن بقيت بعده لم يحكم عليها رجل أبداً. فقال يخاطبها:

إذا غمضتْ فوقي جفونٌ حفيرةٌ ... من الأرضِ فابكيني بما كنتُ أصنعُ
تعزيكِ عنّي بعدَ ذلك سلوةٌ ... وأنْ ليسَ فيمنْ وارتِ الأرضُ مطمعُ

فأجابته ريم تقول:

ذكرت فراقاً والفراق يصدِّعُ ... وأيُّ حياةٍ بعدَ موتكَ تنفعُ
إذا الزمن الغدَّارُ فرَّق بيننا ... فماليَ في طيبِ من العيشِ مطمعُ
فلو أبصرتُ عيناكَ عينيَّ أبصرت ... شآبيبَ [١] جُدْرٍ [٢] غيثُهَا ليسَ تُقْشَعُ

وقال فيها أيضاً:

وليس لإخوان النساء تطاولٌ ... ولكنَّ إخوانَ الرجال يطولُ
فلا تبخلي بالدمع عني فإنَّ مَنْ ... يَضَنُّ بدمع، عن هوى، لبخيلُ
فما لي إلى ردِّ الشبيبةِ حيلةٌ ... ولا لي إلى دفعِ المنونِ سبيلُ
وإن لداتي قد مضوا لسبيلهمْ ... وإنَّ بقائي بعدَهمْ لقليلُ

فأجابته ريم:

بكى من صُروفِ خطبهُنَّ جليلُ ... ومن ذا به عُمْرُ الحياةِ يطولُ؟
ومن ذا الذي ينعي على حدَثِ الرَّدى ... وللموت في أثر النفوسِ رسولُ

(١) الشآبيب: جمع شؤبوب: وهي الدفعة من المطر.
(٢) جدر: هو نبت تطلع رؤوسه في أول الربيع.

وكلُّ جليلٍ سوف يلقى حمامَه وكلُّ نعيمٍ دائمٍ سيزولُ
ليَ الويلُ، إن عمرتُ بعدكَ ساعةً وإن كثيرَ الويلِ لي لقليلُ
وتزعم أني لا أجودُ بعَبْرةٍ إذا نجمهُ قد حانَ منه أُفول
ومن ذا الذي أبكى له، إن فقدته سواك، ومَنْ دَمْعِي عليه يسيلُ
فلا وقيت ريم، إذاً، ما تخافُه إذا ناب خطبٌ للزمان جليلُ
ولا لقيت يومَ القيامة ربَّها وميزانُها بالصالحاتِ ثقيلُ
إذا ما سخا قلبُ امرىءٍ بمودةٍ فقلبي بودٌ عن سواكَ بخيلُ

ولما مات أشجع، آلت على نفسها أن لا تأكل طعاماً، ولا تذوق شراباً. فعاشت بعده أياماً، ثم توفيت، فدفنت إلى جانبه.

الباب السادس

باب ما جاء في غدر النساء

١٩٢ ـ قال عمر بن الخطاب، رضي اللّٰه عنه: أستعيذوا باللّٰه من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر.

١٩٣ ـ قال عمرو الملك:

إن من غرَّه النساءُ بودٍّ بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين واللسان وفيها كل شيء يجن فيه الضمير

١٩٤ ـ وقال طفيل الغنوي:

إن النساء لأشجار تبين لنا منهن مر، وبعض المر مأكول

إن النساء متى يُنهين عن خلق فإنه واقع لا بسد مفعول

١٩٥ ـ وفي الحديث المرفوع: «أن المرأة خلقت من ضلع عوجاء، فإن ذهبت تقومها كسرتها، فاستمتع بها على عوج فيها».

١٩٦ ـ وكان أبو ذر الغفاري يقعد على منبر رسول اللّٰه ﷺ فينشده:

هي الضِّلَعُ العوجاءُ لستَ تقيمُهَا ألاإنَّ تقويمَ الضلوع انكسارُها

أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى أليس عجيباً ضعفها واقتدارُها؟

١٩٧ ـ وفي الحديث: «شاوروهن وخالفوهن، فإن في خلافهن البركة».

١٩٨ ـ قال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنِّساء فإنّني بصيرٌ بأدواء النساءِ طبيبُ

إذا شابَ رأسُ المرء أو قل ماله فليس لهُ في ودِّهنَّ نصيب

وقال آخر:

تمتع بها، ما سأعفَتْكَ، ولا تكنْ جزوعاً إذا بانت، فسوفَ تبينُ
وإن هي أعطتك الليان فإنها لغيركَ من طُلَّابها ستلينُ
وخُنْها وإن كانتْ تَفِي لك، إنها على قِدَم الأيام سوف تخون
وإن حلفت أن ليس تنقض عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

٢٠٠ ـ وقال أبو عبيدة: حجت امرأة عجير السلولي معه، فأقبلت لا تطرق على شاب في الرفقة إلا وتكشف وجهها، فقال في ذلك:

أيا رب، لا تغفر لعتمة ذنبها، وإن لم يعاقبها العجير، فعاقب
حرام عليك الحجَّ لا تطعمينه إذا كان حج المسلمات الثوائب

٢٠١ ـ وقال أعرابي:

لا تكثري قولاً منحتك ودنا فقولُكِ هذا للفؤادِ مريبُ
تعدين ما أوليتني منك قابلاً وللفارس العجلانِ منك نصيبُ؟

٢٠٢ ـ أراد رجل أن يشتري قينة [1] وقد كان أحبها، فبات عند مولاها ليلة فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه، فأنشأ يقول:

ما رأينا بواسط [2] كسليمى منظراً لو تُزِينُه بعفاف
بت في جنبها وبات ضجيعي جُنُب القلب طاهر الأطراف
فأقيمي مقامنا ثم بيني لست عندي من فتية الأشراف

٢٠٣ ـ وقال آخر:

لا أشتهي رَنْق [3] الحياة ولا التي تخاف وتغشاها المعبدة الحرب
ولكنني أهوى مشارب أحرزت عن الناس حتى ليس في صفوها عيب

---

(١) قينة: هي الأمة صانعة أو غير صانعة وغلب على المغنية.
(٢) واسط: مدينة في العراق تقع بين البصرة والكوفة معجم البلدان (٥/٣٤٧).
(٣) رنق: أي كدر.

٢٠٤ ـ وقال أعرابي أيضاً:

تبعتك لما كان قلبك واحداً ... وأمسكت لما صرت نهباً مقسماً
ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه ... على كثرة الورَّاد أن يتهدما

٢٠٥ ـ وقال أبو نواس:

ومظهرةٌ لخلقِ اللَّهِ حباً ... وتُلقي بالتحيةِ والسلامِ
أتيت فؤادَها أشكو إليه، ... فلم أخلصْ إليه من الزحامِ
فيا من ليسَ يكفيها خليلُ ... ولا ألفاً خليلٍ كلَّ عامِ
أراكِ بقيةً من قوم موسى ... فهمْ لا يصبرونَ على طعامِ

٢٠٦ ـ وكان رجل يحب امرأة فخطب في اليوم الذي ماتت فيه، فقيل له في ذلك فقال:

خطبتُ كما لو كنتُ قدمت قبلها ... لكانت بلا شكٍّ لأوَّلِ خاطبِ
إذا غابَ بعلٌ كانَ بعلٌ مكانهُ ... فلا بدَّ مِنْ آتٍ وآخرُ ذاهبُ

٢٠٧ ـ وعن المطلب بن الوداعة السهمي قال: كانت ضباعة بنت عامر، من بني عامر بن صعصعة، تحت عبد اللَّه، بن جدعان. فمكثت عنده زماناً لا تلد، فأرسل إليها هشام بن المغيرة: ما تصنعين بهذا الشيخ الكبير الذي لا يولد له: فقولي له فليطلقك. فقالت ذلك لعبد اللَّه بن جدعان، فقال لها: إني أخاف إن طلقتك تتزوجي هشام بن المغيرة! قالت له: فإن لك عليّ أن لا أفعل هذا أن قال لها: فإن فعلت، فإن عليك مائة من الإبل تنحرينها وتنسجين ثوباً يقطع ما بين الأخشبين وتطوفين بالبيت عريانة. قالت: لا أطيق ذلك. وأرسلت إلى هشام فأخبرته، فأرسل إليها ما أهون ذلك، وما يكن بك من ذلك، أنا أيسر من قريش في المال، ونسائي أكثر النساء بالبطحاء، وأنت أجمل النساء ولا تعابين في عريك، فلا تأتي ذلك عليه. فقالت لابن جدعان: طلقني، فإن تزوجت هشاماً فعليّ ما قلت. فطلقها بعد استيثاقه منها. فتزوجها هشام، فنحر عنها مائة جزور، وأمر نساءه فنسجن ثوباً يملأ ما بين الأخشبين، ثم طافت بالبيت عريانة. قال

المطلب: فأتبعها بصري إذا أدبرت وأستقبلها إذا أقبلت، فما رأيت شيئاً مما خلق الله منها وهي واضعة يدها على فرجها وقريش قد أحدقت بها، وهي تقول:

اليومُ يبدو بعضُه أو كلُّه وما بدا منه فلا أحلُّهُ

٢٠٨ ـ قال الزبير بن بكار: خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من عمه الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال له: يا ابن أخي، قد انتظرت هذا منك إنطلق معي. فخرج معه حتى أدخله منزله ثم أخرج إليه ابنته فاطمة وسكينة، وقال له: إختر أيهما شئت! فاختار فاطمة، فزوجه إياها. فلما حضرت الحسن الوفاة قال لها: إنك امرأة مرغوب فيك، متشوف إليك لا تتركين، وإني ما أدع في قلبي حسرة سواك. فتزوجي من شئت سوى عبد الله بن عمر بن عثمان. ثم قال لها: كأني قد خرجت وقدمت وقد جاءك لابساً حلته، مرجلاً جمته، يسير في جانب الناس معترضاً لك، ولست أدع من الدنيا هما غيرك. فلم يدعها حتى استوثق منها بالإيمان. ومات الحسن، فأخرجت جنازته، فوافاه عبد الله بن عمر وكان يجد بفاطمة وجداً شديداً، وكان رجلاً جميلاً كان يقال له المطرف من حسنه، فنظر إلى فاطمة وهي تلطم وجهها على الحسن، فأرسل إليها مع وليدة له: أن لابن عمك أربا في وجهك فارفقي به. فاسترخت يدها واحمر وجهها حتى عرف ذلك جميع من حضرها. فلما انقضت عدتها خطبها فقالت: كيف أفعل بإيماني؟ قال لها: لك بكل مال مالان؛ وبكل مملوك مملوكان. فوفي لها وتزوجها فولدت له محمداً. وكان يسمى من حسنه الديباج والقاسم ورقية.

٢٠٩ ـ وقال الزبير: لما حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليه فاطمة بنت القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لها: كأني بك تزوجت طلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر، فحلفت له بعتق رقيقها، وإن كل شيء لها في سبيل الله أن تزوجته أبداً. فلما توفي حمزة بن عبد الله وحلت، أرسل إليها طلحة بن عمر فخطبها فقالت له: قد حلفت. وذكرت يمينها، فقال لها: أعطيك

بكل شيء شيئين. وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين ألف دينار، فأصدقها ضعفها فتزوجته، فولدت له إبراهيم ورملة. فزوج طلحة ابنته رملة من إسماعيل ابن علي بن العباس بمائة ألف دينار وكانت فائقة الجمال والخلق، فقال إسماعيل لطلحة بن عمر: أنت أتجر الناس. قال له: واللّٰه ما عالجت تجارة قط. قال: بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين ألفاً فولدت لك إبراهيم ورملة، فزوجت رملة بمائة ألف دينار فربحت ستين ألفاً وإبراهيم.

٢١٠ ـ وعن هشام بن الكلبي [1] قال: قال عبد اللّٰه بن عكرمة: دخلت على عبد الرحمٰن بن هشام أعوده فقلت: كيف تجد؟ فقال: أجد بي واللّٰه الموت، وما موتي بأشد عليّ من أم هشام، أخاف أن تتزوج بعدي. فحلفت له أنها لا تتزوج بعده فغشي وجهه نوراً، وقال: الآن فلينزل الموت متى شاء. فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن عبد العزيز. فقلت في ذلك؟

فـإن لقيـتْ خيـراً فـلا يُهْنِيَنَّهـا وإنْ تعسـتْ بُـؤْسـاً فللعيـنِ والفـمِ

فلما بلغها ذلك كتبت إلي: قد بلغني ما تمثلت به، وما مثلي ومثلك في أخيك إلا كما قال الشاعر:

وهـل كنـت إلا والهـاً ذات تـرحـةٍ قضـت نحبَهـا بعـدَ الحنيـنِ المـرجِّـعِ
فدع ذكرَ مَنْ قَدْ وارتِ الأرضُ شخصَه ففـي غيـرِ مـن قـد وارتِ الأرض مقنـع

قال: فبلغ مني كل مبلغ. فحسبت حسابها فإذا هي قد عجلت بالتزوج وبقي عليها من عدتها أربعة أيام. فدخلت على عمر فأخبرته فأنقض النكاح.

٢١١ ـ قال الزبير بن بكار: كانت امرأة من العرب تزوجت رجلاً، فكانت تجد به، ويجد بها وجداً شديداً، فتحالفا وتعاهدا أن لا يتزوج الباقي منهما. فما

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي أبو المنذر الأخباري النسابة العلامة، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقعاتها ومثالبها. وتصانيفه تزيد على ١٥٠ مصنعاً. توفي سنة ٢٠٤ وقيل ٢٠٦ هـ. انظر: معجم الأدباء: ١٩/ ٢٨٧.

لبث أن مات بعلها، فتزوجت، فلامها أهلها على نقض عهدها، فقالت:

لقدْ كانَ حَبِّي ذاكَ حبّاً مبرِّحاً ... وحبي لذا إذ ماتَ ذاك شديدُ

وكانتْ حياتي عندَ ذلك جنةً ... وحبي لذا طول الحياة يزيدُ

فلما مضى، عادت لهذا مودتي ... كذاك الهوى بعد المماتِ يبيدُ

٢١٢ ـ حكى الهيثم بن عدي [١] قال: عاهد رجل امرأته وعاهدته أن لا يتزوج الباقي منهما، فهلك الرجل، فلم تلبث المرأة أن تزوجت. فلما كان ليلة البناء بها رأت في أول الليل شخصاً فتأملته، فإذا هو زوجها، وهو يقول لها: نقضت العهد ولم ترعي له. وأصبحت فأتمّت نكاحها.

٢١٣ ـ وروى ابن شهاب: أن رجلاً من الأنصار غزا فأوصى ابن عم له بأهله، فأتى ابن عم الرجل ليلة من الليالي فتطلع على حال زوجة ابن عمه فإذا بالبيت مصباح يزهر ورائحة طيبة، وإذا برجل متكىء على فراش ابن عمه وهو يتغنى ويقول:

وأشعثُ غرةُ الإسلام مني ... خلوتُ بعرسِهِ بدرَ التمامِ

أبيتُ على ترائبها [٢] ويغدو ... على جرداء لاحقةِ الحزامِ

كأنَّ مجامعَ الربلاتِ [٣] منها ... فئامٌ [٤] ينتميـنَ إلى فئامِ

فلم يقدر الرجل أن يملك نفسه حتى دخل عليه فضربه حتى قتله. ورفع الخبر إلى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، فصعد المنبر وخطب وقال: عزمت عليكم إن كان الرجل الذي قتَلَ حاضراً ويسمع كلامي فليقم. فقال: أبعده اللّه، ما كان من خبره؟ فأخبره وأنشده الأبيات، فقال: أضربت عنقه؟ قال: نعم

(١) ١٥١ ـ الهيثم بن عدي بن عبد الرحمٰن أبو عبد الرحمٰن الطائي الكوفي أصله من منبج، ولد بالكوفة قبل سنة ١٣٠ هـ. وكان أخبارياً علاّمة راوية، نقل من أخبار العرب وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً، توفي سنة ٢٠٩ هـ. وعمره ٩٣ سنة. انظر: معجم الأدباء: ١٩/ ٣٠٤.

(٢) ترائبها: الترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين.

(٣) الربلات: جمع ربلة وهي كل لحمة غليظة أو باطن الفخذ.

(٤) فئام: أي جماعة من الناس.

يا أمير المؤمنين. فقال: أبعده اللّٰه فقد هدر دمه.

٢١٤ ـ قال أبو عمرو الشيباني: كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو، وكان يبعث إليها خالد ابن أخيه زهير، فراودت الغلام عن نفسها، فامتنع وقال: أكره أن يبلغ أبا ذؤيب. فقالت له: ما يراني وإياك إلا الكواكب. فبات معها وقال:

مـا ثَـمَّ إلا أنـا والكـواكـبُ ... وأم عمـرٍو فلنعـم الصـاحـبُ

فلما رجع إلى أبي ذؤيب استراب به، وقال: واللّٰه إني لأجد ريح أم عمر ومنك. ثم جعل لا يأتيه إلا استراب به، فقال خالد:

يـا قـومُ مـالـي وأبـي ذؤيـبِ ... كنـت إذا مـا جئتـه مـن غيـبَ
يمـسُّ عطفـي، ويشـمُّ ثـوبـي ... كـأننـي أربتُـهُ بـريـبِ

فقال أبو ذؤيب، وهي من قصيدة من جيد شعره:

دعـا خـالـداً أسـرى ليـالـي نفسِهِ ... يولـي على قصد السبيـلِ أمُورها
فلمـا تـوفَّـاهـا الشبـابُ وغـدرُهُ ... وفي النفس منه غدرُها وفجورُها
لـوى رأسَـه عنّـي، ومـالُ بـودِّهِ ... أغـانيـجُ خـودٍ كـانَ حينـاً يـزورُهـا
تعلَّقهـا منهـا دلالٌ ومقلـةٌ ... يظـلُّ لأصحـابِ السفـاهِ يثيـرُهـا

فأجابه خالد:

فـلا يبعـدنَّ اللّـهُ عقلَـكَ إن غـزا ... وسـافـرَ والأحـلامُ جـمٌّ غَيُـورُهَـا
وكنـتُ إمـامـاً للعشيـرةِ تنتهـي ... إليـكِ إذا ضـاقـت بـأمـرٍ صُـدُورُهـا
وقـاسمَهَـا بـاللّـه جهـداً لأنتـم ... ألـذّ مـن الشكـوى إذا مـا يسـورُهـا
لـم يغـنِ عنه خـدعُـه حيـن أزمعـتْ ... صـريمتُـه والنفـسُ مـرٌّ ضميـرُهَـا

قال: وكان أبو ذؤيب أخذها من ملك بن عويمر وكان ملك يرسله إليها، فلما كبر أخذت أبا ذؤيب، فلما كبر أخذت خالداً. وقال:

تـريـديـنَ كيمـا تجمعينـي وخـالـداً ... وهل يصلحُ السيفانِ، ويحكِ، في غمدِ؟

أخالدُ، ما راعيتَ مني قرابةً   فتحفظني بالغيبِ أو بعضَ ما تبدي

٢١٥ ـ قال أبو عبيدة: كان صخر بن عبد اللّه الشريد يتعشق ابنة عمه سلمى بنت كعب، وكان يخطبها فتأبى عليه، فأقام على ذلك حيناً ثم أغارت بنو أسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب. وأخذت سلمى فيمن أخذ من النساء، وقتل عدد منهم، وأسر آخرون. وأقبل صخر فنظر إلى ديارهم بلقعاً وأخبر الخبر، فشد عليه سلاحه، واستوى على فرسه، وأخذ إثرهم حتى لحقهم، فلما نظروا إليه قالوا: هذا كان شرد من بني سليم، وقد أحب اللّه أن لا يدع منهم أحداً. فجعل يبرز إليه الفارس بعد الفارس فيقتله، فلما أكثر فيهم القتل، حلت أساري بني سليم بعضها بعضاً، وثاروا على بني أسد. ونظر صخر إلى سلمى وهي مع عبد أسود، قد شدها على ظهره، فطعنه صخر فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها. وقد أصابته طعنة أبي ثور الأسدي في جنبه، وتزوج سلمى. وكان يحبها ويكرمها، ويفضلها على أهله. ثم بعد ذلك انتقض جرحه فمرض حولاً، وكان نساء الحي يدخلن إلى سلمى عوائد فيقلن: كيف أصبح صخر؟ فتقول: لا حي فيرجى ولا ميت فينسى. ومر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وأرداف، فقال: أيباع هذا الكَفَل [1]؟ فقالت: عن قريب: فسمعها صخر، ولم تعلم، فقال لها: ناوليني السيف أنظر هل صدىء أم لا؟ وأراد قتلها، فناولته ولم تعلم، فإذا هو لا يقدر على حمله فقال:

أرى أُم صخر ما تَمَلُّ عيادتي   وملَّتْ سليمى مضجعي ومكاني

وما كنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً   عليك ومن يغترُّ بالحدثانِ

فأي امرىء ساوى بأمٍّ حليلةٍ   فلا عاشَ إلاَّ في شقا وهوانِ

أهمُّ بأمرِ الحُزْمِ لو استطيعه   وقد حيل بينُ العيرِ والنزوانِ [2]

لعمري لقد أيقظتُ من كان نائماً   وأسمعتُ من كانتْ له أذنانِ

فلَلموت، خيرٌ من حياةٍ كأنها   محلة يعسوبٍ [3] برأسِ سنانِ

(١) الكَفَل: العجزُ للإنسان والدابة.
(٢) النزوان: أي النكاح.
(٣) اليعسوب: الذكر من النحل أو أمير النحل.

قال: ونتأت في موضع الجرح قطعة فأشاروا عليه بقطعها، فقال لهم: شأنكم. فلما قطعت مات.

٢١٦ ـ قال كان الساطرون والملك، ملك اليونانيين، قد بنى حصناً يسمى الثرثار ولم يكن له باب ظاهر فكل من غزاه من الملوك رجع عنه خائباً حتى غزاه سابور ذو الأكتاف، ملك فارس، فحصره أشهراً لا يقدر على شيء. فأشرفت يوماً من الحصن النضيرة ابنة الملك، فنظرت إلى سابور فهويته، وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة، فأرسلت إليه: إن أنت ضمنت لي أن تتزوجني وتفضلني على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن. فضمن لها ذلك فأرسلت إليه: أن أنثر في الثرثار تبناً واجعل الرجال يتبعونه حتى يروا حيث يدخل. فإن ذلك المكان يفضي إلى الحصن، وفيه بابه. ففعل ذلك سابور، وعمدت النضيرة إلى أبيها فسقته الخمر حتى أسكرته، فلم يشعر أهل الحصن إلا وسابور معهم وهم آمنون، قال: فلما ظفر سابور بالحصن، وقتل الملك أبا النضيرة، وجمع جنده، تزوج بالنضيرة فباتتْ معه مسهرة لا تنام تتقلب من جنب إلى جنب. فقال لها سابور: مالك لا تنامين؟ فقالت: إن جنبي تجافى عن فراشك. قال: ولَم، فواللّه ما نامت الملوك على ألين منه ولا أوطأ، وإن فرشه لزغب اليمام. فلما أصبح سابور نظر إلى ورقة آس. بين أعكانها [1]، فتناولها، فدمى موضعها. فقال لها: ويحك بماذا كان أبوك يغذيك؟ قالت: بالمخ والزبد والبلح والشهد وصفو الخمر. فقال لها سابور: إني لجدير أن لا أستبقيك بعد إهلاك أباك وقومك، وكانت حالك عندهم هذه الحالة التي تصفين، وأمر بإحضار فرسين فربطت إلى أرجلهما بغدائرها ونفراً فقطعاها نصفين. فذلك قول عدي حيث يقول:

والحصنُ صبتْ عليهِ داهيةٌ ... مِنْ قعرهِ أيد مناكبُهَا

من بعدِ ما كانَ وهوَ يعمرُهُ ... أربابُ ملكٍ جزلٌ مواهبُها

٢١٧ ـ ويروى أن وضاح اليمن نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بالمدينة صغيرين فأحبها وأحبته، وكان لا يصبر عنها حتى إذا شبت حجبت عنه،

---

(١) أعكانها: جمع العكنة: وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

فطال بهما البلاء. فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها معه إلى الشام فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء وصار إلى الوسواس خرج إلى مكة حاجاً وقال لعلي: أستعيذ باللّه مما أنا فيه وأدعو اللّه فلعله يرحمني فلما قضى حجه شخص إلى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى في يوم من الأيام جارية صفراء خارجة من القصر تمشي فمشى معها ولم يزل بها حتى آنست به فقال لها: أتعرفين أم البنين بموضعي؟ فقالت: عن مولاتي تسأل؟ قال لها: هي ابنة عمي، وإنها لتسر بموضعي لو أخبرتها، قالت: فأنا أخبرها. فمضت الجارية فأخبرت أم البنين فقالت لها: ويلك أحي هو؟ قالت لها: نعم يا مولاتي. قالت لها: إرجعي إليه، وقولي له كن مكانك حتى يأتيك رسولي، فإني لا أدع الاحتيال لك: واحتالت له فأدخلته في صندوق، فمكث عندها حيناً فإذا أمنت أخرجته فقعد معها، وإذا خافت عين رقيب أدخلته في الصندوق. وأهدي يوماً للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وامض به إلى أم البنين وقل لها: أُهْدِيَ هذا إلى أمير المؤمنين فوجه به إليك. فدخل الخادم مفاجأة ووضاح معها قاعد فلمحه الخادم، ولم تشعر أم البنين، فبادر إلى الصندوق فدخله. وأدى الخادم الرسالة وقال: هبي لي من هذا الجوهر حجراً واحداً. فقالت له. لا أم لك، فما تصنع بهذا فخرج وهو عليها حنق، فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله، فقال له: كذبت، لا أم لك: ثم نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها: يا أم البنين هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه؟ قالت: أنا لك يا أمير المؤمنين، وهي لك، فخذ أيها شئت. قال: ما أريد إلا هذا الذي تحتي. قالت له يا أمير المؤمنين إن فيه شيئاً من أمور النساء. فقال: ما أريد غيره. قالت فهو لك. قال فأمر به فحمل، ودعا بغلامين وأمرهما أن يحفرا حتى وصلا إلى الماء ثم وضع فمه في الصندوق وقال يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقاً فقد خبرك، وإن كان كذباً فما أهون علينا، إنما دفنا صندوقاً. وأمر بالصندوق فألقي في الحفيرة، وأمر بالخادم الذي عرفه فقذف معه، ورد التراب عليهما. قال فكانت أم البنين لا تُرى إلا في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت ذات

يوم مكبوبة على وجهها ميتة.

٢١٨ ـ وروي عن أبي نواس قال حججت مع الفضل بن الربيع فلما كنا بأرض فزارة أيام الربيع، نزلنا منزلاً بفنائهم ذا أرض أريض، ونبت غريض، وقد اكتست الأرض نبتها الزاهر، وبرزت براخم غررها والتحف أنوار زخرفها الباهر ما يقصر عن حسنه النمارق [١] المصفوفة، ولا يداني بهجته الزرابي [٢] المبثوثة. فزادت الأبصار في نضرتها، وابتهجت النفوس بثمارها. فلم نلبث أن أقبلت السماء بالسحاب، وأرخت عزاليها ثم انهمت برذاذ ثم بطش، ثم بوابل [٣] حتى إذا تركت الديم [٤]، كالوهاد انقشعت وأقلعت. وقد غادرت الغدران مترعة برفق، والقيعان [٥] ناضرة تتألق، يتضاحك بأنوار الزهر الغض حتى إذا هممت بتشبيه منظر حسن رددته إليه، وإذا تقت إلى موضع طيب لم يجد في البكاء معولاً إلا عليه. فسرحت طرفي راتعاً في أحسن منظر، واستنشقت من رياها أطيب من ريح المسك الأذفر. فقلت لزميلي: ويحك امض بنا إلى هذه الخيمات، فلعلنا نلقى من نأثر عنه خبراً، نرجع به إلى بغداد. فلما انتهينا إلى أوائلها إذا نحن بخباء على بابه جارية مبرقعة بطرف مريض وسنان النظر قد حشي فتوراً، وملىء سحراً، فقلت لصاحبي: والله إنها لترنو عن مقلة لا رقية لسليمها ولا برء لسقيمها. فقال لي: وكيف السبيل إلى ذلك؟ فقلت: إستسقها ماء. فدنونا منها فاستسقيناها فقالت: نعم، ونعما عين وإن نزلتما ففي الرحب والسعة. ثم قامت تتهادى كالدعص [٦] الملبد. فراعني والله ما رأيت منها، فأتت بالماء فشربت منه، وصببت على يدي، ثم قلت: وصاحبي عطشان أيضاً. فأخذت الإناء ودخلت الخباء ثم جاءت، فقلت لصاحبي: تعرض لكشف وجهها فقال:

---

(١) النمارق: جمع النمرق: وهي الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.

(٢) الزرابي: هي الوسادة تبسط للجلوس عليها.

(٣) وابل: هو المطر الشديد الضخم القطر.

(٤) الديم: هو المطر يطول زمانه في سكون.

(٥) القيعان: جمع قاع وهي: الأرض المستوية المطمئنة عما يحيط بها من الجبال والآكام.

(٦) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة.

إذا بــارَكَ اللّـــهُ فـــي ملبـــسٍ فــلا بــارَكَ اللّـــه فـــي البـــرقـــعِ
تـــريـــكَ عيـــونُ المهـــا غـــرةً وتكشـــفُ عـــن منظـــرٍ أشنـــعِ

فمرت مسرعة وأتت وقد كشفت البرقع وتقنعت بخمار أسود وأنشأت وهي تقول:

ألا حـيَّ ضيفـي معشـرٍ قـد أراهمـا أضــلا ولمّــا يعــرفــا مبتغــاهُمَــا
همـا استسقيـا مـاء علـى غيـر ظمـأة ليستمتعـا بـاللحـظ ممـن سقـاهمـا
يــذمــان تلبــاس البــراقــع ضِلّــةً كمــا ذم تجـرا سلعــة مشتــراهمــا

قال: فشبهت، واللّه، كلامها بعقد در وهي من سلكه. فهو ينتثر بنغمة عذبة رخيمة لو خوطبت به الصم الصلاب لانبجست ماء لرطوبة منطقها، وعذوبة لفظها، بوجه يظلم لنوره ضياء العقول، ويتلف من رؤيته مهج النفوس. فهي كما قال:

فَرَقَّت وجَلَّت واستكرت فأكملتْ فلو جنَّ إنسانٌ من الحسن جنتِ

فلم أتمالك أن خررت ساجداً، فقالت: إرفع رأسك غير مأجور، ولا تذمن بعد ما برقعاً. فكشف البرقع عما يطرد الكرى، ويشغل الهوى، من غير بلوغ أرب، ولا إدراك طلب. وليس إلا الحين المملوب، والقدر المكتوب، والأمل المكذوب. فبقيت واللّه معقول اللسان عن الجواب، حيران لا أهتدي إلى طريق الصواب. والتفت إلي صاحبي لما رأى لهفي فقال: ما هذه الخفة لوجه، إنما برقت لك بارقة لعلك ما تدري ما تحتها. أما سمعت قول الشاعر؟ حيث يقول:

على وجه ميٍّ مسحةٌ من ملاحةٍ وتحتَ الثيابِ العارُ لو كانَ بادياً

فقالت: بئس ما ذهبت إليه، لا أبالك، لأنا أشبه بقول الشاعر حيث يقول:

منعمــةٌ حــوراءُ يجـري وِشــاحُهــا على كَشْحٍ مُرْتَجِ الرَّوادِفِ أهضَم
خُـزَاعِيَّـةُ الأطْـرَافِ كِنْـدِيَّـةُ الحَشَـا فَــزَارِيَّــةُ العَيْنَيْــنِ طــائِيّــةُ الفَــمِ

ثم رفعت ثيابها حتى جاوزت نحرها، فإذا هي كقضيب فضة قد شيب بماء الذهب، يهتز على مثل كثيب؛ ولها صدر كالورد عليه رمانتان أوحُقان من عاج

يملآن يد اللامس؛ وخصر مطوي الاندماج، يهتز في كفل رجراج، لو رمت عقده لانعقد؛ وسرة مستديرة يقصر وهمي عن بلوغ وصفها؛ تحت ذلك أرنب جاثم أو جبهة أسد غادر، وفخذان لفاوان، وساقان خدلجان يحرسان الخلاخيل، وقدمان خمصاوان [١] فقالت: أعارٌ ترى؟ قلت: لا واللّه. قال: فخرجت عجوز من الخباء وقالت: أيها الرجل امضِ لشأنك، فإن قتيلها مطلول لا يؤدي، وأسيرها مكبول لا يفدي. فقالت لها الجارية: دعيه مثله قول ذي الرمة:

وإنْ لَـمْ يَكُـنْ إلاَّ تَمَتُّـعِ سـاعـةٍ قليـلاً فـإنـي نـافـعٌ لِـي قَليْلُهـا

فولت العجوز وهي تقول:

فمـا لَـكَ مِنْهَـا، غيـرَ أنـكَ نـاكِـحٌ بِعينيـك عَيْنَيْهَـا، فَهـلْ ذاكَ نـافـعُ؟

قال: فبينما نحن كذلك إذ ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل، وكرب داخل، ونفس هائمة، وحسرة دائمة. فقلت في ذلك:

رسـمَ الكَـرَى بيـنَ الجفـونِ مَحِيْـلُ عِفَـا عليـهِ بُكَـا عليـكَ طَـويـلُ
يـا نـاظِـراً مـا أقلعـتْ لَحَظَـاتُـهُ حتـى تَشَخَّـصَ بيتَهُـنَّ قَتيـلُ
أحللـتُ مِـن قلبـي هـواهُ مَحِلَّـةً مـا حلَّهـا المشـروبُ والمـأكـولُ
بكمـالِ صـورتـكِ التـي فـي مثلِهَـا يتحيَّـرُ التَّشبيْـهُ والتَّمْثيـلُ
فـوقَ القَصيـرَةِ والطـويلـةُ فـوقَهـا دونَ السميـنِ ودونَهـا المهـزولُ

قال: فواللّه ما انتفعت بحج ولا لقيت أحداً مما كنت تأهبت للقائه. ثم رجعنا منصرفين، فلما كنا بذلك المنزل وقد تضاعف نوّاره، واعتم نبته، وتزايد حسنه، قلت لصاحبي: امض بنا إلى صاحبتنا. فلما مضينا وأشرفنا على الخيام ونحن دونها، سترني روضة أريضة مونقة، عليها جمان [٢] الطل، يغازلها كالأعين النجل، وقد أشرقت بدموعها على قضب الزبرجد، وهبت ريح الصبا فصبت لها الأغصان، وتمايلت تمايل النشوان. فصعدنا ربوة، ونزلنا وهدة، فإذا هي بين

(١) خمصاوان: باطنهما مرتفع عن الأرض.
(٢) جمان: هو اللؤلؤ.

خمسٍ لا تصلح أن تكون خادمة لإحداهن، وهن يجنين من نُوَّار [١] ذلك الزهر، وينقلبن على ما أعشم من عشبه وزهره. فلما رأيننا تقربن، فسلمنا عليهن. وقالت الجارية من بينهن: وعليك السلام، ألست صاحبي آنفاً؟ قلت: بلى، ولكن لحبي كان ذلك. فقلن لها: أو تعرفينه؟ قالت: نعم. فقصصت عليهن القصة كلها ما كتمت منها حرفاً واحداً. قلن لها: ويحك، أفما زودته شيئاً؟ قالت زودته واللَّه موتاً مريحاً، ولحداً ضريحاً. فانبرت لها أنضرهن وجهاً، وأرقهن خداً، وأرشقهن قداً، وأبدعهن شكلاً، وأكملهن عقلاً، فقالت: واللَّه ما أجملت بدءاً، ولا أحسنت عوداً، ولقد أسأت في الرد، ولم تكافئيه بالود، وإني أحسبه إليك وامقاً [٢]، وإلى لقائك تائقاً، فما عليك من إسعافه في هذا المكان ومعك من لا ينم عليك. فقالت لها: يا تعسا إلى ما دعوتني، واللَّه لا أفعل من ذلك شيئاً أو تفعلينه وتشركيني في حلوه ومره، وخيره وشره. فقالت لها: تعساً تلك إذاً قسمة ضيزي. تعشقين أنت فترهبين، وتوصلين فتقطعين، ويرغب فيك فتزهدين، ويبذل لك الود فتمنعين الرفد، ثم تأمريني أن أشاركك فيما يكون منك شهوة ولذة، ومني عناء وسخرة؟ ما أنصفت في القول، ولا أجملت في الفعل. قالت أخرى منهن: قد أطلتنّ الخطاب في غير قضاء أرب؟ فاسألن الرجل عن قصته وما في نفسه من بقيته؟ فلعله لغير ما أنتن فيه. فقلن: حياك اللَّه وأقرَّ بكَ عيناً، من أنت، ومن تكون؟ فقلت: أما الاسم فالحسن بن هانىء الحكمي وأنا من شعراء السلطان الأعظم ومن يتزين بمجلسه، ويفتخر بحمده وشكره، ويتقي لسانه. قصدت لتبريد غلة، وإطفاء لوعة قد أحرقت الكبد، وأذابت الجسد، ثم استبطنت الأحشاء فمنعت من القرار، ووصلت الليل بالنهار. فقالت: لقد أضفت إلى حسن المنطق والمنظر، كريم الخيم [٣] والمخبر، وأرجو أن تبلغ أمنيتك، وتنال بغيتك. فهل قلت شيئاً في صبوتك؟ قلت: نعم. قلن: أنشد فأنشدتهن:

حَججْتُ رجاءَ الفوزِ بالأجْرِ قاصِداً ... لِحَطِّ ذنوبٍ من رُكوبِ الكَبَائِرِ،

(١) نوّار: الزهر.
(٢) وامقاً: أي محباً.
(٣) الخيم: السجية والطباع.

فَــأُبْــتُ، كمــا آبَ الشقِــيُّ بخُفَّــهِ حُنينٍ، فلـم أُوْجَـرْ بتلـكَ المشاعِـرِ
دهَتْنــي بعَيْنَيهـا، وبهجـةِ وجهِهَـا، فتاةٌ، كمِثْلِ الشمسِ أسحرَ ساحِرِ؛
منعمـةٌ، لـو كَـانَ للبـدرِ نـورُهـا، لمـا طلَعَـتْ بيضُ النُّجـومِ الزَّواهِـرِ
فـإنْ بـذلَـتْ، نلـتُ الأمـانِـيَ كلَّهـا، وإن لـم تُنِلْنِـي، زُرْتُ أهـلَ المقـابِـرِ

فقلن: أحسنت، واللَّه. ثم قالت: إنها واللَّه ساعتك الطولي، إن خالفتني! قالت: لقد سمعت جوابي. فقالت أخرى: أجيبيها إلى ما دعت من الشركة لتكن إحداكن في الأمر. فقلن: قد انتصفت، وقد أطلتن الخطاب على أمر فأمضينه قبل انتشار الحي، فالوقت ممكن، والمكان خال. فأجمعن عى ذلك ولست أشك فيما أظهرن، ثم قلت: بمن تبدأ؟ قلت اقترعن. فوقعت القرعة على أملحهن. فصرت إلى باب المغارة هناك، فأدخلتني وأبطأت عني قليلاً، وجعلت أتوق وأنظر إلى دخول إحداهن. فبينا أنا كذلك، إذ دخل عليّ أسود كأنه سارية، بيده أيره وهو منعظ كمثل ذراع البكر. فقلت: ما تريد؟ قال: أنيكك. فأهمتني واللَّه نفسي، فصحت بصاحبي، وكان أجلد مني، فخلصني من الأسود. ولم أكد أخلص منه فخرجت من المغارة فإذا هن ينظرن من الخيمات كأنهن لآلىء ينحدرن من سلك، وهن يتضاحكن حتى غبْنَ عن بصري. فأسرعنا الرجعة إلى رحالنا فقلت لصاحبي: من أين جاء الأسود؟ قال: كان يرعى غنماً عند ربوة من المغارة، فأومأن إليه، فأسرع نحوهن، فأوحين إليه شيئاً فرابني ذلك. فأسرعت نحوك فسبقني ودخل عليك، ولولا ذلك لكان قد تمكن منك الأسود. فقلت: أتراه كان يفعل؟ قال لي: فأنت في شك من هذا؟ فقلت له: اكتم علي. وانصرفت وأنا واللَّه أخزى من ذات النحيين.

٢١٩ ـ قال دعبل بن علي: بينا أنا سائر الكرج وقد استولى الفكر على قلبي فحضرني بيت شعر خطر به لساني من غير النطق به، فقلت:

دُمـــوعُ عينـــي لَهَـــا انبسَـــاطُ ونـــومُ جَفْنِـــي لَـــهُ انقِبَـــاضُ

وإذا جارية معترضة تسمع كلامي فقالت:

وذا قليـــــلٌ لمَــــنْ دَهَتْــــهُ بَلَحْظِهَـا الأَعْيُـنُ المِـرَاضُ

فلم أعلم أني خاطبت جارية أعذب منها لفظاً، ولا أسحر طرفاً، ولا أنضر خداً، ولا أحسن مشياً، ولا أرجح عقلاً. فوددت أن كل جارحة مني عين تنظر، أو قلب يفهم، أو ذن تسمع. فقلت:

أَتَـرَى الـزمـان يسـرُّنَـا بتـلاقِ ويضُـمُّ مُشْتَـاقـاً إلـى مُشْتَـاقِ

مَـا للـزَّمَـانِ يُقَـال فيـه وَإِنَّمَـا أنـتَ الـزَّمـانُ فسُـرَّنَـا بِتَـلاَقِ

قال: فلحظتها، وتبعتني. وذلك حين إملاقي، واختلال حالي. فقلت: مالي إلا منزل صريع الغواني، فأتيته، واستوقفتها، ودخلت إليه. وقلت: ويلك يا مسلم، أجمل لك الحبروجة على الباب تقل له الدنيا وما فيها من عسر وضيقة. قال لي: شكوت إلى ما كدت أبدؤك به الشكوى، ولكن ائت بها على كل حال. فلما دخلت قال لي: واللّه ما أملك إلا هذا المنديل. فقلت له: هو البغية. قال، فأخذته فبعته بثلاثين درهماً، واشتريت خبزاً ولحماً ونبيذاً. وإذا هما يتنازعان حديثاً كأنه قطع الروض ذكرت به قول بشار [1] فقلت:

وحـديـثٌ كـأنَّـه قِطَـعُ الـرَّو ضِ وفيـهِ الصفـراءُ والحمـراءُ

فقال لي مسلم: بيت نظيف، ووجه ظريف، ولا نقل ولا ريحان؟ أخرج فالتمس لنا ذلك. قال، فخرجت وجئت بما طلب، فإذا لا حسّ منهما ولا أثر لهما، فجعلت أُطيل الذكر، وأرجم الظن، حتى إذا جن عليّ الليل وفي قلبي لهيب النيران، ثاب علي عقلي وقلت: لعل الطلب يوقعني على موضع خفي. فوقفت على باب سرداب وإذا هما قد نزلا ومعهما جميع ما يحتاجان إليه فأكلا وشربا ونعما. فدليت رأسي وصحت مسلم ثلاث مرات، فلم يكلمني بأكثر من أن قال لي: محلنا، والنفقة من عندنا، وأنت فضولي، ما هذا الذي تقترح؟ اصبر مكانك حتى يؤذن لك، فبقيت طول ليلتي أتقلى على جمر الغضا لا أعرف أين أنا. فلما انشق الصبح إذا به طلع وطلعت الجارية في أثره، فأسرعت إليه وخرجت تعدو ولم تخاطبني، فكانت أعظم حسرة نزلت بي.

---

(١) هو بشار بن برد البصري الأعمى شاعر العصر وكان أكمه جاحظ العينين فصيحاً مفوهاً وقيل: إنه قتله الخليفة المهدي لزندقته سنة ١٦٧ هـ وعمره ٧٠ سنة. انظر: شذرات الذهب : ١/ ٢٦٤.

الباب السابع

باب ما جاء في الزنا والتحذير من اليم عقابه

٢٢٠ ـ روي عن الأعمش، عن سفيان، عن حذيفة، أن رسول اللّه ﷺ، قال: «يا معشر المسلمين إياكم والزنا، فإن فيه ست خصال: ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة. فأما التي في الدنيا: فزوال البها، ودوام الفقر، وقصر العمر؛ وأما اللواتي في الآخرة. فسخط اللّه جل ثناؤه، وسوء الحساب، والخلود في النار».

٢٢١ ـ وعن الحارث بن النعمان قال: سمعت أنس بن مالك يقول أن رسول اللّه ﷺ، قال: «المقيم على الزنا كعابد وثن».

٢٢٢ ـ وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ليلة أسري بي انطلق بي إلى خلق من خلق اللّه ونساء معلقات بثديهن ومنهن بأرجلهن، منكسات، ولهن صراخ وخوار. فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن، ويجعلن لأزواجهن ورثة من غيرهم».

٢٢٣ ـ وعن أبي الدرداء. أن النبي ﷺ، قال: «أن اللّه عزّ وجلّ ليبغض ثلاثة. الشيخ الزاني، والمُقِلُّ المُختال، والبخيلُ المنَّان».

٢٢٤ ـ وعن عمر بن شرَحبيل، عن عبد اللّه بن مسعود أنه قال: قلت: «يا رسول اللّه، أو قال غيري: أي الذنوب أعظم عند اللّه؟ قال: أن تجعل للّه نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل النفس بغير حق، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. قال: ثم أنزل اللّه في كتابه تصديق ذلك». ثم قال: **﴿والذين لا يدعون مع اللّه إلٰهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم اللّه إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه**

مهاناً﴾ (١).

٢٢٥ ـ وعن عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الزاني بحليلة جاره لا ينظر اللَّه إليه يوم القيامة ولا يزكيه، ويقول أدخل النار مع الداخلين».

٢٢٦ ـ عن أبي هريرة، أنه سمع رسول اللَّه ﷺ، يقول حين نزلت آية الملاتكة. «أيما امرأة أُدخلت على قوم مَن ليس منهم فليست من اللَّه في شيء، ولن يدخلها اللَّه جنته. وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب اللَّه منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين».

٢٢٧ ـ ذكر الزنا عند يحيى بن خالد بن برمك (٢) فقال: الزنا يجمع الخصال كلها من الشر. لا تجد زانياً معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا محافظة على صديق؛ الغدر شعبة من شعبه، والخيانة فن من فنونه، وقلة المروءة عيب من عيوبه، وسفك الدم الحرام جناية من جناياته.

٢٢٨ ـ وحكى ابن الأعرابي قال: كان الحارث بن أبي شمر الغساني إذا اعجبته امرأة ووصفت له، بعث إليها واغتصبها نفسها، فأتاه أبوها فقال له:

يا أيُّها الملكُ المَخُوفُ أَمَا ترى ... ليلاً وصُبْحاً كيفَ يختلفانِ

هل تستطيعُ الشمسُ أن تأتي بها ... ليلاً وهل لكَ بالمليكِ يَدَانِ

فاعلم وأيقنْ أنَّ ملكَكَ زائِلٌ ... واعلمْ بأنكَ ما تَدِينُ تُدانِ

٢٢٩ ـ وعن عدي بن ثابت قال: سمعت عبد اللَّه بن عباس يقول: «كان في بني إسرائيل راهب عبد اللَّه زماناً من الدهر، حتى كان يؤتي بالمجانين يعوذهم فيبرؤون على يديه. وأنه أتي بامرأة من أشارف قومها قد جنت وكان لها أخوة، فأتوه بها، فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها، فحملت، فلما استبان حملها، لم يزل الشيطان يخوفه ويزين له قتلها ودفنها، فقتلها ودفنها، وذهب

---

(١) سورة الفرقان (٢٥)، الآية: ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) هو يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل الوزير السري الجواد، كان سيدي بني برمك وأفضلهم جوداً وحلماً ورأياً، وكان من أكمل أهل زمانه أدباً وفصاحة وبلاغة توفي سنة ١٩٠ هـ في سجن هارون الرشيد في الرافقة. انظر: معجم الأدباء: ٢٠/٥.

الشيطان في صورة رجل حتى أتى بعض إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب، ثم أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول له: والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئاً كبيراً علينا. فأخبر بعضهم بعضاً بما قيل لهم، فأتوا إلى الراهب فقالوا: ما فعلت أختنا؟ قال: خرجت، ولست أدري أين ذهبت. فرفعوا ذلك إلى ملكهم، فسار إليه الناس حتى استنزلوه من صومعته، فأقر لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب على خشبة، وتمثل له الشيطان فقال له: أنا الذي زينت لك هذا والقيتك فيه، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك وأخلصك؟ قال: نعم. قال: تسجد لي سجدت واحدة فسجد له الرجل، ثم قتل. فهذا داخل تحت قول الله عز وجل: **﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾** (١) ولم تزل أشراف العرب في الجاهلية يتجنبون الزنا ويذمونه، وينهون عنه.

٢٣٠ ـ وروى هشام بن عروة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، قالت: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول: «يا معشر قريش إياكم والزنا، فإنه يورث الفقر».

٢٣١ ـ وفي وصية دريد بن الصمة: «إياكم وفضيحة النساء فإنها عقوبة غد، وعار أبد؛ يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها، ولا يزال لازماً ما عاش له عارها».

٢٣٢ ـ وحكى بعضهم قال: وفد عبد المطلب بن هاشم على بعض ملوك حسير فالطف منزلته وأكرمه. وكان ناماً جميلاً، فقال له الملك: يا أبا الحارث، أحب أن ينادمني ابنك. فأذن له أبوه في ذلك. وكان الحميري أجمل ملوك حمير، وكانت زوجته أجمل منه، فكان إذا شرب مع الحارث خرجت زوجته فجلست معهما تسقيهما، فعشقت الحارث زوجةُ الملك، فكلفت به، فراسلته، فاعلمها أنه محصن عن الزنا ولا يخون نديمه. فالحت عليه فكتب إليها:

لا تطمِعِـي فيمـا رأيـتِ فـإنـنـيْ عَـفٌّ منـادَمَتـي عفيـفُ المِئْـزرِ

(١) سورة الحشر (٥٩)، الآية: ١٦.

أسعـى لأُدرِكَ مجـدَ قـومٍ سـادةٍ غمروا فطفَـنَ البيتُ عنـدَ المشْعَـرِ
فـافنـي خَيَـالاً واعلمِـيْ أنـي امْـرُؤٌ أَرْبَـى بنفسِـي أن يُعَيَّـرَ معشَـرِيْ

ثم إنه أخبر أباه، فصوب رأيه وقال له: يا بني إن لنساء الملوك طفاحاً. فلما رأته قد عزفت نفسه عنها قالت: واللّه لا أدعه تتمتع به امرأة أبداً. فدست إليه شربة فشربها وارتحل مع أبيه، فلما قدم مكة مات فجزع عليه عبد المطلب جزعاً شديداً وقال يرثيه:

سَقَـى الإلٰـهُ صـدىً واريتُـهُ بيَـدِي ببطـنِ مكـةَ تعفُـوهُ الأعـاصِيْـرُ
يا حارثَ الخيْرِ قد أورثتَنِيَ شَجَناً فمـا لِقلْبِـي عـن ذِكْـرَاكَ تغييـرُ
فلسـتُ أنسـاكَ مـا هبَّـتْ شـآميَـةٌ ومـا بَـدَا عَلَـمٌ فـي الآلِ معمـورُ

٢٣٣ ـ ولما قتلت بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحارث أبا امرىء القيس دار في إحياء العرب فلم ير منهم ما يحب، فمضى حتى قدم على هرقل ملك الروم، فأقام عنده شهراً فأكرمه ونادمه، وأعجبه كماله وعقله. ثم بعث معه ستمائة من أبناء الملوك ومن تبعهم. ونظرت إليه ابنة الملك فعشقته وأرسلت إليه أن يلقاها قبل خروجه، فجعل يعتذر لها ويعللها ولا يرضى أن يخون أباها فيها مع ما فعله معه. وخرج منصرفاً إلى بلده فقالت بنت هرقل لأبيها: ما صنعت بنفسك وجهت ابناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب؟ لو قد استمكن مما أراد غزاك ونزع ملكك. فوجه إليه الملك بحلة منسوجة بالذهب مسمومة فلما لبسها تنفط جلده، وتساقط لحمه، فنظر إلى جبل فسأل عنه، فقيل له: اسمه عسيب. فقال:

أجـارَتَنَـا إن المـزارَ قـريـبُ وإنـي مقيـمٌ مـا أقـامَ عُسيـبُ
أجـارتَنَـا إنـا غـريبـان هـا هنـا وكـل غـريـب للغـريـب نسيـب

وقيل إنه قال هذا لأنه رأى قبراً عند هذا الجبل فسأل عنه فأخبر أنه قبر امرأة من بنات ملوك الروم. فمات هناك.

٢٣٤ ـ ومما فضل به بسطام بن قيس على عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث بن شهاب. أن بسطاماً كان فارساً عفيفاً جواداً؛ وكان عتبة فارساً عفيفاً بخيلاً؛ وكان عامر فارساً جواداً عاهراً. فاجتمعت في بسطام ثلاث خصال شريفة

فبذلك فضلهما بسطام.

٢٣٥ ـ قال الشعبي: تنافر عامر بن الطفيل بن ملك بن جعفر وعلقمة بن علاثة بن الأحوص إلى هرم بن قطبة بن سنان الذبياني حكيم العرب فقال لعلقمة: بأي شيء أنت أسود من عامر؟ قال: أنا بصير، وهو أعور، وأنا أبو عشرة وهو عقيم، وأنا عفيف وهو عاهر.

٢٣٦ ـ وإنما اطلقت العرب حديث الرجال إلى النساء لما كانوا يرون من النقص في الريب، ويأخذون أنفسهم بحفظ الجيران، وما يعرف بعضهم من بعض من استعمال الوفاء، والتحرز من العار. لأن الرجل منهم كان يصون حرمة جاره وصاحبه كصيانة الإبنة والأخت والزوجة من حرمه. لا يرى أحد منهم لنفسه رخصة في إضاعة ذلك، وإنما يتحمل الغدر، ويرخص نفسه فيه، من باين البوادي، وخالط الحضر، لأنه رأى أجناس العبيد، وأخلاط العوام، وقد نشأوا على عادة فجروا عليها ولن يستوي مَن كَرُم طبعه وصَحَّت بنيته وترك الفواحش وجانبها تنزها عنها ولأنها محظورة عليه وغير مباحة له. وأحب شيء إلى الإنسان ما منع عنه. فترك الأول طبع، وترك هذا تكلف. وأما العوام وأخلاط الناس فلا يكادون يتورعون عن محرم، ولا يستحيون من عار، وهم أكثر العالم غدراً.

٢٣٧ ـ قال المسيح عليه السلام: «لا يزني طرفك بما غضضت بصرك».

٢٣٨ ـ ونظر أشعث إلى ابنه يوماً وهو يديم النظر إلى امرأته فقال له يا بني اظن نظرك إليها قد أحبلها. أخذ هذا بعض الشعراء فقال:

ولـي نظـرةٌ لـو كـان يُحبـلُ نـاظـرٌ بنظـرتِـه أُنثـى لقـد حَبِلَـتْ منـي

٢٣٩ ـ مرت امرأة بقوم من بني نمير فرشقوها بأبصارهم وأداموا النظر إليها، فقالت: قبحكم اللّه يا بني نمير، فواللّه ما أخذتم بقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**﴾ [1]. ولا بقول الشاعر:

فَغُـضَّ الطَّـرْفَ إنَّـكَ مـن نُمَيْـرٍ فـلا كَعْبـاً بلغْـتَ ولا كِـلاَبَـا

فخجل القوم مما قالت وأطرقوا.

(١) سورة النور (٢٤)، الآية: ٣٠.

٢٤٠ ـ وكان يقال: أربع لا يشبعن من أربع: عينٌ مِن نظرٍ، وأُذُنٌ من خَبَر وأرضٌ من مَطَر، وأنثى من ذَكَر.

٢٤١ ـ قال إسحاق بن بهيل: رأيت رجلاً في طريق مكة وعديله في المحمل وجارية قد شد عينيها وكشف سائر وجهها فقلت له في ذلك، فقال: إنما أخاف عينيها لا عيون الناس.

٢٤٢ ـ وكان عند بعض القرشيين امرأة عربية فدخل عليها خصي لزوجها وهي واضعة خمارها تمشط شعرها، فحلقت شعرها، وقالت: لا يصحبني شعر نظر إليه غير ذي محرم مني.

٢٤٣ ـ وقال رجل لأعرابي: ما الزنا عندكم؟ قال: النظرة، والقبلة. قيل له: ليس هذا الزنا عندنا! قال: وما هو؟ قال: أن يجلس بين شعبها الأربع ثم يجهد نفسه. قال: بأبي أنت، ليس هذا زانياً هذا طالب ولد!

٢٤٤ ـ قيل لأبي الطمحان القيني: أخبرنا عن أقبح ذنوبك؟ قال: ليلة الدير. قيل: وما ليلة الدير؟ قال: نزلت على نصرانية فأكلت طفشلا بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها، ومضيت.

٢٤٥ ـ وقال الجاحظ [(١)]: قرأ قارىء: **﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾** [(٢)]. فقال إبراهيم بن عزوان: لا واللّه ما سمعت بأعدل من هذه الفاسقة، أما واللّه لو تمرست بي ما استعصمت.

٢٤٦ ـ بات أعرابي ضيفاً لبعض الحضر فرأى امرأته، فهَمَّ أن يأتي إليها في الليل فمنعه الكلب؛ ثم أراد ذلك مرة أخرى، فمنعه ضوء القمر؛ ثم أراد ذلك في السحر، فإذا عجوز قائمة تصلي. فلما رأى ذلك قال:

لـم يَخلُـقِ اللّـهُ شيئـاً كُنـتُ أَبغضـهُ ... غيـرَ العجـوز وغيـرَ الكلـبِ والقمـرِ

---

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الكناني الفقمي الجاحظ من أهل البصرة وهو من أصحاب النظام وكان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيها شديد الضبط لحدوده، وله كتب كثيرة جليلة في نصرة الدين، توفي سنة ٢٥٥ هـ. انظر: معجم الأدباء: ١٦/ ٧٤.

(٢) سورة يوسف (١٢)، الآية: ٣٢.

هـذا يَبُـوح، وهـذا يُسْتَضَـاء بـه، وهـذه سُبْحَـةٌ قَـوَّامـةُ السَحَـرِ

٢٤٧ ـ وصف أعرابي رجلاً ماجناً فقال: والله لو أبصرته عيدان القيان لتحركت أوتارها، ولو رأته مومسة لطار خمارها.

٢٤٨ ـ وحكى خريدة بن أسماء، قال: حججنا، ونحن في رفقة، إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحية على عنقها لا تضرها بشيء، فلم يجترىء أحد منا أن ينحيها عنها، فلم تزل كذلك حتى ابصرت الحرم فانسابت ومضت عنها، فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا، ورأى الغريض المغني المرأة وقد سمع الحديث وما تحاكاه الناس عنها فقال لها: يا شقية ما فعلت حيتك؟ قالت: في النار. قال: ستعلمين من في النار. قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما أراد وارتحلنا منصرفين حتى إذا كنا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحية حيث انسابت وتطوقت عليها، فلما تأملت المرأة عرفتها، ثم صفرت الحية، فإذا الوادي يسيل علينا من جنباته حيات، فنهشتها حتى بقيت عظاماً ونحن نرى ذلك. ثم انصرفنا جميعاً فقلنا للجارية التي معها: ويحك خبرينا بخبر هذه المرأة، فقد والله رأينا منها عجباً؟ قالت: نعم بَغَت ثلاث مرات، تلد في كل مرة غلاماً، فإذا وضعته حمت تنوراً ورمته فيه وتكتم خبره. قال: فقلت سبحان الله ما أعجب هذا. وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من في النار، فزادنا ذلك تعجباً منها.

٢٤٩ ـ قال أحمد بن يحيىٰ: كان مرثدَ، عم عمرو بن قميئة الشاعر، عنده امرأة جميلة، وكان قد كبر، وكان يجمع بني أخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم. وكان عمرو بن قميئة شاباً جميلاً، وكانت إصبع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين. فخرج مرثد يرمي بالقداح، فأرسلت امرأته إلى عمرو بن قميئة: «ابن عمك يدعوك». فجاءت به من دبر البيوت، فلما دخل عليها لم يجد عمه فأنكر أمرها، فراودته عن نفسها، فقال لها: لقد جئت بأمر عظيم، وما كان مثلي يدعى لمثل هذا! قالت: لتفعلن ما أقول لك أو لأسوأنك. قال: إلى المساءة دعوتني! ثم إنه قام فخرج. وأمرت بجفنة فكبت على أثر رجله فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها: ما لك؟ قالت: إن رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت. قال: ومن هو؟ قالت: أما أنا

فلا أسمية، ولكن قم فاقتف أثره تحت الجفنة. فلما رأى الأثر عرفه فاعرض عنه وجفاه، ولم يزده على ذلك، وكان أعجب الخلق إليه. وعرف ابن قمية ذلك وكره أن يخبره فقال:

لعمركَ ما نفسيْ بجِدٍّ رشيدةٍ ... تُؤَامِرُنِي شَرًّا لأَصْرِمَ مَرثَدَا
عظيمٌ رماةُ القَدَرُ لا مُتَعَبِّسٌ ... ولا مُؤْيِسٌ منها إذا هو أخمدا
فقد ظهرتْ منه بوائقُ جمَّةٌ ... وأفرعَ في لومي مراراً وأصْعَدا
على غير ذنبٍ أَنْ أكونَ جنيتُهُ ... سوى قولِ باغٍ جاهدٍ فتهجَّدَا

ويلغت الأبيات مرثداً فكشف عن الأمر حتى تبين له، فطلق امرأته وعاد على ما كان عليه لابن أخيه.

٢٥٠ ـ وذكر هشام بن محمد الكلبي، عن الحصين بن لبيد قال: كان الحطيئة نازلاً في بني المسند من بني ضبة فرأى لبنة بنت قرطة أخت العلاء، وكانت فاسدة، فأعجبته فكلمها فأجابته، فوقع عليها فحملت منه. ثم ارتحل الحطيئة، فلما بأن حملها، زوجها العلاء بن غالب بن صعصعة فولدت الفَرَزْدَقَ على فراشه فنسب إليه. ففي ذلك يقول جرير بن الخطفى [١]:

كان الحيطئةُ جارَ أمكَ مرةً ... واللَّهُ يعلمُ شأنَ ذاكَ الجارِ
لا تفخَرَنَّ بغالبٍ ومحمدٍ ... وأفخرْ بعبْسٍ يومَ كلِّ فَخَارِ

٢٥١ ـ قال: وقدم الفرزدق [٢] على عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فأكرمه وأحسن ضيافته. فبلغه أنه زان فأراد أن يختبر ذلك، فقال لجارية له: انطلقي إلى الفرزدق، وعمر في حجرة له ينظر ما يصنع الفرزدق، فأتته الجارية بالغسل والدهن، وذهبت لتغسل رأسه، فوثب عليها فركضته وقالت: لعنك الله

---

(١) هو جرير ابن الخطفي القميمي وهو شاعر الإسلام وقد أشتهر شعره بالفخر والمدح والهجاء والتشبيب وقد مدح الخلفاء توفي سنة ١١٠ هـ. انظر: شذرات الذهب: ١/ ١٤٠.

(٢) الفرزدق هو همام بن غالب التميمي المجاشعي من سراة قومه وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس. وهو شاعر مدح الخلفاء وله مع جرير شعر النقائض. توفي سنة ١١٠ هـ. انظر: شذرات الذهب: ١/ ١٤١.

من شيخ. ثم خرجت فأتت عمر فأخبرته فنفاه من المدينة. وقال جرير:

نفاكَ الأعرُّ بنُ عبد العزيز وحقُّك تُنفَى من المسجدِ

فقال الفرزدق:

فأوعَدَني وأجلّني ثلاثاً كما وُعِدَتْ بمهلِكِهَا ثمودُ

٢٥٢ ـ ودخلَ الفرزدقُ يوماً على سليمان بن عبد الملك، وهو خليفة، فقال: أنشدني يا أبا فراس! فأنشده قصيدته حتى بلغ إلى قوله:

خرجْنَ إليَّ لم يطمثْنَ قبلي فهِلن أصحّ من بيضِ النَّعامِ

فبتْنَ بجانِبيْ مُصَرَعَاتٍ وبتُّ أفُضُّ أغلاقَ الخِتَامِ

فقال له سليمان: ما أظنك يا أبا فراس إلا قد أحللت نفسك، أقررت عندي بالزنا، وأنا إمام، ولا بد من إقامة الحد عليك. فقال: يا أمير المؤمنين، ما أحللت نفسي إن كنت تأخذ بقول اللّه وتعمل به. قال سليمان: فبقول اللّه نأخذ عليك الحد. قل الفرزدق: فإن اللّه يقول: **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾**[1]. وأنا، يا أمير المؤمنين، قلت ما لم أفعل. فتبسم سليمان، وقال: تلافيتها يا أبا فراس، ودرأت الحد عن نفسك. وخلع عليه، وأمر له بجائزة.

٢٥٣ ـ قال أبو عبيدة: هوى أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل فراسلها فأعلمت زوجها، فقال لها: أطمعيه. فأطعمته، ثم قال: أرسلي إليه فليأتك. فأرسلت إليه، فأتاها، وجلس زوجها إلى جانبها، فقال لها أبو العباس: إنك وصفت لنا فألمسنا فأخذت يده فجعلتها على أير زوجها وقد أنعظ، فنثر يده وعلم أنه قد كيد، فخرج من عندها وقال:

أتيتكِ زائراً فوضعتُ كفِّيْ على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ

عليَّ أليَّةٌ ما دمتُ حياً أمسك طائعاً ألاّ أعودُ

فخيرٌ منكَ مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ وخيرٌ من زيارتِكُم قعود

---

(١) سورة الشعراء (٢٦)، الآية: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

٢٥٤ ـ وكان بشار الأعمى يرتع، فبلغ امرأته ذلك، فعاتبته مراراً فحلف لها، وأنها سألت عن المكان الذي يمضي إليه فدلت على امرأة تجمع بين النساء والرجال، فبذلت لها شيئاً وسألتها إذا جاءها بشار أن تبعث إليها. ففعلت، وقالت: أبشار قد وقعت اليوم أمرأة من أجمل النساء ووصفتها له فطرب إليها، فلما خلا بها وخالطها ضربت بيديها في لحيته وشتمته، وقالت: أين إيمانك الفاجرة؟ فقال لها: لعنك اللّه إلا تركتني حتى أقضي حاجتي، فواللّه ما رأيت أبرد منك حلالاً، ولا أطيبَ منك حراماً!!

٢٥٥ ـ قال إسحاق بن إبراهيم: كان مخارق يهوى «البهار» جارية أم جعفر وشغف بها حتى أفضى غايته في حبها. فبينما هو منصرف ذات ليلة من دار المأمون في دجلة، وقد عمل الشراب فيه، وأم جعفر جالسة في دارها على دجلة إذ رفع عقيرته يعني شعر عباس بن الأحنف:

إن يمنعوني مَمَرِّي قربَ دارِكُم، فسوفَ أنظُرُ من بُعدٍ إلى الدارِ
ما ضرَّ جيرانكم، واللَّهُ يكلؤُهُمْ، لولا شَقَائي إقبالي وإدباري
لا يقدِرونَ على مَنْعِي، وإن جَهِدُوا إذا مررتُ، وتسليمي بإجهاري

فسمعت أم جعفر صوته فأمرت خدامها فصاحوا بملاحة فقدم وصعد إليها، فدعت له بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب، وخلعت عليه وقالت لجواريها: اضربن معه. فكان أول ما تغنى به:

أغيبُ عنكِ بودٍّ لا يغيرهُ نأيُ المَحَلِّ ولا صَرْفٌ من الزَمَنِ
فإنْ أَعِشْ فلعلَّ الدَّهْرَ يجمعُنَا وإنْ أُمُتْ فبطولِ الشَّوقِ والحَزَنِ
قد حَسَّن الحبُّ في عينيّ ما صنعتْ حتى أرى حسناً ما ليس بالحُسْنِ

قال فاندفعت «البهار» تباريه في الصوت وتغني:

تعتلُّ بالشغْلِ عنَّا لا تكلِّمُنَا والشغلُ للقلبِ ليسَ الشغلُ للبدَنِ

فضحكت أم جعفر، وقالت، ما رأيت ولا سمعت قط بأحسن من هذا. ووهبت له الجارية فأخذها وانصرف.

٢٥٦ ـ قال إبراهيم بن الخطيب: حدثني مخارق قال: كنت عند الرشيد فلما أراد الإنصراف قال لي: يا مخارق بكر علي. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. فلما أصبحت بكرت أريد ما ذكره، فإذا جارية راكبة وهي أحسن الناس عينين في النقاب، فنظرت إليها، ونظرت إلي، فلم أملك نفسي وتعشقتها وتبعتها حتى دخلت منزل المعبدي الهاشمي، فقلت لغلماني: إذا كان المغرب فصيروا إلي، فإذا كنت في الدنيا خرجت إليكم، وإذا كنتُ مت فقد قضيت وطراً. قال: واقتحمت ودخلت الدار، فإذا جماعة مجتمعون وقد أحضروا طعاماً فأكلت معهم، وأحضر الشراب، وغنت الجارية فإذا هي أحذق الناس وأطيبهم، فغنيت، فقال المعبدي: ما أحسنه وأبهاه، فمن هو؟ فقال له القوم: ما نعرفه. فقال: ما أظرف هذا يدخل منزلي بغير أمري ابغوا إلى صاحب الشرطة. وكل ذلك بمسمعي، قالت الجارية: يا مولاي لا تفعل، لعل له عذراً. فبحياتي هب لي جرمه فقد رحمته، وأحسب أن هذه صناعته. قال: فطابت نفسي فلما خرجت قال لي: يا فتى تغني؟ فقلت: نعم. فغنيت، فطرب القوم وقال المعبدي: إن كان في الدنيا مخارق فأنت هو! قلت: نعم أنا مخارق وحدثته حديثي والسبب في دخول منزله، فسر وفرح ودعا بدواة وقرطاس وأقبل يكتب ويعود إليه الجواب، ثم وزن مالاً ووجه به، فلما كان بالعشي قال: يا غلام هات تلك العتيدة: فأحضر عيتدة مملوءة طيباً، وقال: هات ذلك التخت. فاحضره إياه، فقال: أتدري ما نحن فيه: قلت: لا. قال: قد اشتريت لك الجارية بأربعين ألف دينار، وهذه عتيدة فيها طيب، وتحت ثياب. فأخذت بيدها وانصرفت بها عروساً، فلما أصبحت بكرت على الرشيد فقال لي: يا ابن الفاعلة أين كنت؟ فحدثته الحديث فسر به، وقال: ما توهمت أن في أهلي مثل هذا. وأمر من ساعته أن يحمل إليه أربعون ألف دينار.

٢٥٧ ـ وكان ليوسف بن القاسم، وهو أبو أحمد بن يوسف، وزير المأمون، غلام أسود متأدب نشأ في الأعراب فهوى جارية لرجل قرشي، فشكاه القرشي لمولاه، فضربه وحبسه، وحلف أن لا يطلقه إلا بعد شفاعة من شكاه، فقيل له: ويحك أتحبك كما تحبها؟ فقال:

كلانا سواءٌ في الهوى غيرَ أنَّها تجلَّدُ أحياناً وما بي من تجلُّدِ

تخافُ وعيدَ الكاشحينَ وإنما ... جنوني عليها حين أنهي وأوعد

فبلغ مولاه شعره فقال: وإن فيه لهذا الفضل! فركب من وقته إلى القرشي فقال له: أسألك أن تبيعني هذه الجارية بأي ثمن شئت. فقال: ما أفعل حتى أعرف السبب في ذلك. فعرفه الخبر وأنشده البيتين، فقال: أشهدك أني قد وهبت له الجارية، وأنا أعطي اللّه عهداً إن أخذت لها ثمناً أبداً، لشفاعتك وأدب الغلام. ووجه الجارية معه فدفعها إلى الغلام.

٢٥٨ ـ قالوا كان المتوكل جالساً يوماً في القصر الذي يقال له المختار إذ مر خادم أسود لفتيحة مبادراً يريد الدخول إلى دار النساء، فسقط منه كتاب مختوم، فأمر من جاءه بالكتاب وفتحه فإذا فيه مكتوب:

أكثري المَحْوَ في الكتابِ ومحُه ... بريقِ اللسانِ لا بالبَنَانِ

وأمرّي الختامَ فوق ثنايا ... كِ العَذَابِ المفلَجَاتِ الحِسَانِ

إنّني كلما مررتُ بحرفٍ ... فيه محوٌ لطعْتُه بلساني

فأراها تقبيلةً من بعيدٍ ... أهديت لي وما برحتُ مكاني

فقال: يا فتح ما ترى؟ لقد اجترأ علي من كتب هذا الشعر! علي بالخادم. فأتي به، وقد علم الخادم أن الكتاب سقط منه فطار عقله خوفاً ورعباً، فقال له: من دفع هذا الكتاب إليك وأنت آمن؟ فإن صدقت نجوت، وإن لم تصدق ضربت عنقك. قال: يا مولاي إن لمولاتي فتيحة وكيلاً يتصرف في أمرها من أبناء البرامكة وهو يحب جاريتها نسيم الكاتبة، وأنا أسعى بينهما بالكتب التي يتكاتبان بها. فقال له: امض بلا خوف عليك. ثم قام المتوكل فدخل على فتيحة وقال لها خذي في أمر جاريتك نسيم الكاتبة فإن قد زوجتها من فلان وكيلك وأنقدت عنه عشرة آلاف درهم. وأمر بإحضار الوكيل فقال له: هل لك في نسيم؟ فذهب عقله، وطار قلبه، وخاف خوفاً شديداً، فقال له: تكلم وأنت آمن، فقد زوجتك بها، ومهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لك بعشرة آلاف تؤلم بها. وسأل فتيحة تعجيل زفافها إليه ففعلت.

٢٥٩ ـ وحكى الهيثم بن عدي، عن ابن عباس، قال: كانت عاتكة بنت

يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان، وكان يجد بها ويحبها حباً شديداً، فغضبت عليه، فطلب رضاها بكل أمر، فأبت حتى أضرّ به ذلك وشكا إلى خاصته. فقال له عمر بن الأسدي: مالي إن أرضيتها؟ قال له: حكمك. قال، فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكي. فقالت له حاضنتها: ما لك يا أبا حفص؟ قال: قد جئت إلى بنت عمي في أمر مهم عظيم، فاستأذني لعلها تقضي حاجتي. فقالت: ما بالك؟ فقال لها: قد عرفتِ حالي مع أمير المؤمنين عبد الملك، ولم يكن لي غير ابنين، فتعدى أحدهما على الآخر فقتله. فقلت: أنا ولي الدم وقد عفوت. فقال أمير المؤمنين: ما أُحب أن أعوِّد رعيتي هذا. وهو قاتله بالغداة فنشدتك اللّه ألا كلمته فيه، وسألته في إبقائه لي، فإنك تجمعين في ذلك إحياءه وإحياء نفسي. فإنه إن قتله قتلت نفسي. فقالت: ما أكلمه. فقال لها: ما أظنك تكسبين شيئاً أحب من إحياء نفسين وبكى بكاء شديداً: فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت. علي بثيابي. فلبست، وكان بينها وبينه باب قد ردمته فأمرت بفتحة ثم دخلت. فأقبل أحد الغلمان فقال: يا أمير المؤمنين هذه عاتكة. قال: ويلك رأيتها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. وإذا هي قد أقبلت وعبد الملك على سريره. فسلمت، فسكَتَ، فقالت: أما واللّه لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت، ولا أتيتك واللّه. إن عدا أحد بنيه على الآخر فقتله، وهو الولي وقد عفا عنه، لتقتله؟ قال: أي واللّه، وهو راغم. قالت: أنشدك اللّه أن لا تفعل. فدنت فأخذت بيده، فأعرض عنها، فأخذت أرجله فقبلتها، فأكبّ عليها وضمها إلى نفسه ورفعها إلى سريره، وقال: قد عفوت عنه. فتراضيا.

وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة، فدخل عمر بن بلال، فقال: يا أبا حفص ألطفت الحيلة في القيادة فلك حكمك! فقال: يا أمير المؤمنين، ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة. قال: هي لك. قال: ومرابض لولدي وأهل بيتي. قال: وذلك كله لك. . . وبلغ عاتكة الخبر فقالت: ويلي على القوّاد خدعني.

٢٦٠ ـ ويروى أن معاوية بن أبي سفيان، رحمه اللّه، رأى، كاتباً له يكلم جارية لامرأته، فاختة بنت قريظة، في بعض طُرُق داره، فقال له: أتحبها؟ قال:

أي واللَّه، يا أمير المؤمنين. قال: اخطبها من فاختة. فخطبها. وكلّم معاوية فاختة فأجابته، فزوجها منه، فدخل معاوية وبين يديه عتيدة من العطر لعرس جاريتها، فقال: هوني عليك يا بنت قريظة، إني أحسب الاتفاق كان بعد حين.

٢٦١ ـ قال عمر بن شبّة [١]: كان الأحنف بن قيس يوماً جالساً مع معاوية، إذ مرت بهما وصيفة فدخلت بيتاً من البيوت، فقال معاوية: يا أبا بحر، أنا واللَّه أحب هذه الجارية وقد أمكنتني منها لولا الحياء من مكانك. فقال الأحنف: فأنا أقوم. بل تجلس لئلا تستريب بنا فاطمة. فقال الأحنف: شأنك. فقام معاوية إليها. فبينا هو يماجنها إذ خرجت بنت قريظة فقالت للأحنف: يا قواد، أين الفاسق. فأومأ الأحنف إلى البيت الذي هو فيه، فأخرجته ولحيته في يدها، فقال لها الأحنف: ارفقي بأسيرك، رحمك اللَّه. فقالت: يا قواد، وتتكلم أيضاً؟ فقال معاوية: يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام.

٢٦٢ ـ قال ابن شبة: كانت بالمدينة امرأة يقال لها صهباء، من أحسن الناس: وكانت من هذيل. وكانت رتقاء [٢]. فتزوجها ابن عم لها. فمكثت حيناً لا يقدر عليها لشدة ارتقاقها، فابغضته بغضاً شديداً، فطلبت منه الطلاق فطلقها. ثم إنه أصاب أهل المدينة مطر شديد، في الخريف، وسيل عظيم. فخرج أهل المدينة، وخرجت صهباء مع أهلها، وخرج ابن جحش وأصحاب له للنزهة. فلما انتصف النهار وخلا الوادي، خرجت صهباء واستنقعت في السيل، وخرج ابن جحش ولم تشعر به صهباء، فرآها وأحبها وتهالك عليها. وكان بالمدينة دلالة على النساء يقال لها قطبة. وكانت تداخل القرشيين بنسائهم: فلقيها ابن جحش فسألها عن صهباء فقال: اخطبيها علي. قالت: قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد اللَّه، وأنعم له بها أهلها ولا أراهم يتخطون عيسى إليك. . فشتمها ابن جحش وقال. كل مملوك لي حر لوجه اللَّه إن تحتالي فيها حتى أتزوجها، لأضربنك ضربة

(١) هو عمر بن شبة بن عبيدة أبو زيد مولى بني نمير واسم شبة زيد، وقد كان راوية للأخبار عالماً بالآثار، أديباً فقيهاً صدوقاً وله من التصانيف كتاب الشعر والشعراء والنسَب وغيرهم كثير توفي سنة ٢٦٢ هـ وعمره ٩٠ سنة. انظر: معجم الأدباء: ١٦/ ٦٠.

(٢) رتقاء: أي المرأة التي انسدت فلا تؤتى.

بالسيف. ـ وكان مقداماً جسوراً ـ ففزعت منه فدخلت على صهباء وأهلها، فتحدثت معهم، ثم ذكرت ابن عمها، فقالت لعمة صهباء: ما باله فارقها؟ فأخبرتها خبره فأصغت إلى عمتها فقالت لها، وأسمعت صهباء: أما واللّٰه لو كان ابن جحش لنقبها نقب اللؤلؤة. ثم خرجت من عندهم.

فأرسلت إليها صهباء أن مري ابن جحش فليخطبني. فلقيت قطبة ابن جحش فأخبرته الخبر. فخطبها، فأنعمت له، وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة. وأتت صهباء إلى ابن جحش فتزوجها وأفتضها من ساعته. وفيها يقول:

دارُ الصهبــاء الــذي لا ينتهـــي ... عـن ذكـرهـا أبـداً ولا ينسـاهـا
صفـراءُ يطـويهـا الضجيـجُ لطـافـةً ... طـيَّ الجمـانـةِ ليِّنـاً مَتْنـاهـا
نعَـم الضجيـجُ إذا النجـومَ تغـوّرتْ ... بـالقـربِ أُخـراهـا علـى أولاهـا

٢٦٣ ـ قالوا: كان رجل من تجار أهل المدينة من ذوي النعمة، في ليلة من شهر رمضان، في المسجد يصلي إذ عرض له في منزله بعض الأمر. فانصرف من التراويح فأصاب بابه مفتوحاً، وإذا رجل مع ابنته في محلها يحدثها. فأخذ بيده وذهب به إلى منزل ابن أبي عتيق. فدق عليه، فأشرف عليه، فقال: أردت أن أكلمك، جعلت فداك. قال، فانحدر إليه فقال له: إن هذا الفتى وجدته في منزلي على حال كذا. فسألته فزعم أنه ابنك. فأقبل ابن عتيق فأخذ بيد التاجر فشكره وجزاه خيراً، وقال: لن يعود إلى شيء تكرهه أبداً إن شاء اللّٰه. فأخذ الفتى ولكزه وشتمه. فلما ولى الرجل قال للفتى: من أنت ويلك؟ قال: أنا ابن فلان التاجر وابتليت بابنة هذا التاجر فدخلت عليها هذه الليلة أتحدث عندها. فما راعني إلا أنه واقف على رأسي. فلم أجد ملجأ إلا أن اعتزيت إليك، لما علمت من قدرك وشرفك وكرمك. قال: أخبرني عن الجارية، أتحبك؟ قال: نعم. قال: فهل يمكنك أن تأتي بها إلى منزلي هذا؟ قال: نعم. قال: فعدها وأت بها. وأمر غلاماً له، وقال: إذا جاءت المرأة التي يأتيك بها هذا الفتى فأدخلها، واجلس أنت مع الفتى، وأرسل إليّ من يعلمني. ففعل الفتى، وأتى بالجارية إلى المكان. وأرسل إلى ابن أبي عتيق فعرفه. فأرسل إلى أبي الجارية: إنك قد اصطنعت إلى فتانا يداً، وقد أحببنا أن نصنع إليك مثل ذلك في فتاتكم.

فأدخله عليها، فلما رآها استرجع، فقال له ابن أبي عتيق: ما هذا؟ أهون عليك هذا الأمر وأقبل وصية رسول اللّه ﷺ، حين قال: «الحقوا النساء بإكفائهن». إن هذا الفتى ليس واللّه بولدي، ولكن هو قد انتسب إلي لما أدرك من النجاة منك، وهو فلان بن فلان التاجر، وهو من نظرائها وأكفائها. فهل لك أن تزوجه إياها وأصدقها عنه من مالي مائة دينار؛ قال: نعم.

ولم يبرحوا حتى زوجها منه وأصدقها وأخرج المهر من عنده، وسأله التعجيل بزفافها إليه.

٢٦٤ ـ وحكي عن ابن أبي ورقاء الجبلي قال: خرجت من الكوفة أريد بغداد. فلما صرت بأول مرحلة نزل غلماننا ففرشوا بسطهم، وهيئوا غداءهم، ونزلت. ولم يجيء أحد بعد. فرمانا الطريق برجل حسن الهيئة، فارة[1] البرذون[2] فصمت بالغلمان. فأخذوا دابته. ودعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم. وجعلت لا أكرمه بشيء إلا قبله. وكنا كذلك ساعة، إذ جاء غلمانه. ثم تناسبنا فقال الرجل: أنا طريح بن إسماعيل الثقفي. فلما ارتحلنا كنا في قافلة لا تدرك طرقها. فقال لي طريح: ما حاجتنا إلى زحمة الناس، وليست بنا إليهم وحشة ولا مخافة. فتأخر بنا بعد القوم. فنزلنا إلى جانب نهر مظلل بالشجر فتغدينا ثم قمنا إلى النهر نستنقع فيه. فلما نزع ثيابه إذ آثار داهية في جنبيه يلج فيها الكف، فوقع في نفسي منه شيء، فنظر إليَّ وفطن وتبسَّم، وقال لي: قد رأيتُ عجباً منك لما رأيتَ ما بي وأنا أحدثك حديثه إذا سرنا العشية.

فلما ركبنا قلت له: الحديث؟ قال: نعم، قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وما فيها، وركبت إلى يوسف بن عمر، مع قرابتي منه، فملأ يدي. فخرجت من عنده إلى الطائف. فلما اشتد بي الطريق، وليس يصحبني فيه خلق، عنّ لي أعرابي على قعود له، وهو حسن الحديث قد روى الشعر، وأنشدني لنفسه. فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: لا أدري واللّه. قلت: فإلى أين يممت؟ قال: لا أدري واللّه. قال، فقلت: ما قصتك؟ فقال: أنا عاشق بجارية من قومي، قد أفسدت

---

(١) فارة: نشيط خفيف.

(٢) البرذون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال.

عيشي وتلفت، فأنا أستريح بأن انحدر في الطريق مع منحدريه، وأصعِّد مع مصعِّديه. قال، فقلت له: وأين هي؟ قال: غداً تنزل بإزائها. وأخذ يحدثني بحديثه معها. فلما جئنا إلى الموضع قال لي: انزل ذلك المكان فإنها عنده منقطعة. فأدركتني أريحية الحداثة، وأخذت منه علامة ما بينهما، وقصدت حيث أشار لي. فإذا ببيت جديد على الطريق، وإذا امرأة جميلة حديثة ظريفة. فذكرته لها ووريت رسالته وأمارته. فزفرت زفرة كادت تتفتت اضلاعها، وقالت: أوَ حيٌّ هو؟ قلت: نعم تركته في رحلي وراء هذا الجبل ونحن بايتون ومصطحبون. قالت: فإني أرى لك وجها يدل على الخير، فهل لك في الأجر؟ فقتل: فقير إليه. قالت: فالبس ثيابي وأدخل في أريكتي ودعني حتى اتيه. فإنك تحيي نفسين، وتغنم أجراً عظيماً. قلت: افعل ما تريدين. قالت: إنك إذا أصبحت أتاك زوجي في هجعته فقال يا فاجرة، فأوسعك شتماً، فأوسعه صمتاً ولا تجعل إنك سمعته فإنه يقول في آخر كلامه: اقمعي سقاك يا عدوة. فضع المقمع في هذا السقاء الآخر فإنه منخرق. قال: ومضت. فجاء زوجها ففعل ما قالت. وقال اقمعي سقاك فحبيني اللّه إن تركت الصحيح وقمعت الواهي، فما شعر إلا واللبن يتسيب بين رجليه. فعدا إلى زاوية البيت فتناول حبلاً ثم ثناه على اثنين فصار على ثمان، فجعل لا يتقي به رأساً ولا وجهاً ولا جنباً فخشيت أن يبدو له وجهي فألزمته الأرض، فعمل بجنبي وظهري ما ترى، ومضى عني.

فلما كان الصباح جاءت فرأت ما حل بي من الشر فاكبتْ علي وقالت: بأبي أحييت نفسي بقتل نفسك. ودخلت تعتذر وتتلهف لما بي، وتدعو لي وتتضرع. فأخذت ثيابي وانصرفت ولا يعدل ظفرهما عندي شيء.

(قد قدمنا في أخبار قيس بن ذرَيح كيف كان سبب تطليقه لبني وندمه عليها) ثم ساءت حاله، وتلف عقله، واشتد مرضه، وأشرف على حتفه. فقال أهله: لو زوجتموها إياه ليئس منها، وسلا عنها. فخطبها رجل من قريش وحكم أباها في المهر. فزوجه إياها، فحملها معه إلى المدينة. فقال قيس:

وقالوا تَرَاها فتنةً كنتَ قبلها بخيرٍ، فلا تَنْدم عليها وطلِّقِ

وكلِّفتُ خوضُ النار سبعينَ حجة ... وكنتُ على أثباج [١] بحر مغرّق
كأني أرى الناس المقيمين بعدها ... نُقاعةَ ماءِ الحنظل المتغلّفِ
وتكره عيني بعدها كلَّ منظرٍ ... ويكرهُ سمعي بعدها كلَّ منطقِ

قال: وخرج أبو عتيق يريد العمرة. فنزل بحي قيس بن ذريح فسألهم عنه، فقال: دلوني عليه. فدلوه فلما رآه قيس أقبل عليه ورحّب به وقال: من أنت، حياك اللّه وعافاك؟ قال، فانتسب له ابن عتيق وقال له: بيِّن حديثك لي تجدني معيناً لك على أمرك إن شاء اللّه. فاستحى قيس من ذلك وامتنع ساعة، ثم جعل يحدثه حتى بلغ إلى خبر القرشي. فقال: يا هذا، إني خرجت من منزلي أريد العمرة التماساً للثواب. وقد عزمت، عندما سمعت، أن أترك ما خرجت إليه فارجع معك احتساباً للأجر؛ فبكر فامض معي أيها الرجل، واكتم شأنك، ولا يعلم أحد من أهلك. فحمله معه وأقبل راجعاً نحو المدينة فاستقبله أهله وإخوانه يسألونه عن سبب رجوعه. فجعل يعتذر وهو يقول لهم: عاقني عن ذلك عائق. وأخفى قيساً في منزله أياماً ثم سأل عن منزل القرشي فدل عليه. فبعث مولاة له عجوزاً إلى لبني تخبرها بقيس وبما صار له من عشقها. فقالت: يعز عليّ، وما حيلتي له. أطاع أباه وفارقني في غير جرم. وقد صرت الآن عند غيره ولا سبيل لي على نفسي. وإن كبدي عليه لحرا، وإن عيني لغبرا مذ فارقته وإنها لما علمت بمكانه اشتد ولهها حتى أنكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيئاً تنكره. فجعلت لا تجيب جواباً. وجعل يعتذر إليها، فقال لها: ما أراك إلا ذكرت قيساً. فقالت له: هيهات وأين أنا من قيس، وأين قيس مني؟ ألْهُ عن هذا الحديث.

قال: وبلغت العجوز ابن أبي عتيق ما سمعت من لبنى فقال لها: عودي إليها فقولي لها: إن كنت على العهد فإنك ستصلين إلى ما تريدين. قالت: أي واللّه لا أزال على عهده مقيمة أو يفارق روحي جسدي؛ ولا أكافئه بسوء فعل كان منه إليّ.

(١) أثباج البحر: أي وسطه.

قال: وأقبل ابن أبي عتيق ومعه جماعة من إشراف قريش وغيرهم حتى أتوا منزل القرشي زوج لبني فأكبر مجيئهم. فقالوا: إنا جئناك في حاجة ولا سبيل إلى ردنا عنها. قال لهم: قضيت حاجتكم. قال ابن عتيق: كائنة ما كانت؟ قال له: نعم. قال فإن حاجتنا أن تجعل أمر لبني في يدي. قال القرشي: وهل رأيت أحداً سأل مثل هذا؟ قال: فهي حاجتنا، وقد جئت إليها. قال: فإني قد فعلت. قال: فيشهدون عليك أن أمرها في يدي؟ قال: نعم. قال ابن عتيق: فاشهدوا أنها طالق ثلاثاً. قال: قد أجزت:

قال: فما برحوا حتى نقلها ابن أبي عتيق إلى منزله. فلما انقضت عدتها زوجها من قيس وأصدق عنه وجهزها بأحسن جهاز، وحملها معه إلى منزله. فما لبث عنده إلا يسيراً حتى نهشته الأفعى ـ كما قدمنا في حديثه فمات وماتت بعد.

(هكذا رواه أحمد بن أبي طاهر. ولست أدري صحة هذا الحديث، لأنا كنا قدمنا في حديثه ما يخالف هذا من أنه لم يتزوج بها ثانياً).

٢٦٥ ـ حكى الهيثم بن عدي، عن الكلبي قال كان مُلك النعمان بن المنذر أربعين سنة لم ير منه في ملكه سقطة غير هذه:

وذلك أنه ركب يوماً فنظر إلى امرأة خارجة من الكنيسة فاعجبه جمالها وحسنها وهيئتها فقال: علي بعدي بن زيد، وكان كاتبه وخاصته ـ فقال له: يا عدي، قد رأيت امرأة لئن لم أظفر بها إنه هو الموت. فلا بد في أن تتلطف في الجمع بيني وربينها. قال: ومن هي؟ قال: قد سألت عنها فقيل لي امرأة حكم بن عوف، رجل من أشراف أهل الحيرة. قال: فهل أعلمت بذلك أحداً؟ قال: لا فاكتمه، فإذا أصبحت فجد بكل كرامة لنزيلك، يريد حكم بن عوف. فلما أذن الناس بدأ به وأكرمه وأجلسه معه على سريره. فاعجب الناس حاله، وتحدثوا به. فلما أمسى فأذن للناس بدأ به فأكرمه وأجلسه معه وكساه وجمله. ففعل به ذلك أياماً. ثم قال له عدي: أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق أقلهن عندك منزلة ثم قل له فليتزوجها ففعل. فلما دخل عليه قال له: يا حكم إني قد طلقت فلانة لك فتزوجها. فقال حكم لعدي: ما صنع الملك بأحد ما صنع بي ولا أدري بما أكافئه؟ فقال له عدي طلق امرأتك كما طلق امرأته. ففعل. وحظي عدي بها عند الملك:

وعلم الرجل أنه مكر به في امرأته. وفيها يقول بعض أهل الحيرة:

ما في البريَّة من أنثى تعادلُها إلا التي أخذَ النعمانُ من حَكَمِ

٢٦٦ ـ وحدَّث الزبير أنه كان فتى من عذرة يقال له عمرو بن عود، وكان عاشقاً لجارية من قومه تسمى ريَّا بنت المركين. فتزوجها رجل منهم يقال لهم دهيم. فأبت ريا إلا حب عمرو بن عود، وأبى إلا حبها وقول الشعر فيها، والوجد بها حتى أتى اليمن فنزل في بني الحارث بن كعب فطلبها عمرو، فخفي عليه أمرها ولم يعلم لها خبراً ولا موضعاً. فمكث حيناً لما به، يبكي له من عرفه، لولهه وشدة ما أصابه. فخرج به أهله إلى مكة لعله يتعلق بأستار الكعبة عسى أن يرحمه ربه ويذهب ما في قلبه من حبها. فلما كان بمنى نظر إليه فتى من بني الحارث بن كعب فتعجب مما به، وجلس يتحدث معه، وسأله عن حاله، فشكى إليه عمرو وجده بها، وأنشد ما قال فيها، فرق له الفتى ورحمه. وسأله عن صفتها وصفة زوجها. فوصفها له. فقال له الفتى: عندي خبر هذه المرأة وهذا الرجل منذ سنين قليلة. فخر عمرو ساجداً ثم سأله عن حالها، فأخبره أنها سالمة وأنها باكية حزينة لا يهنيها شيء من العيش. قال عمرو: فهل لك في صنيعة عندي؟ فقال له الفتى: إذن افعل ما بدا لك. قال: تتخلف عن أصحابك، وأتخلف عن أصحابي حتى لا يكون عند أحد منهم علم، ثم أمضي معك متنكراً حتى تخفيني في موضع؛ ثم تعلمها بمكاني. فقال الفتى: لك ذلك في عنقي.

فلما كان السفر، تخلف كل واحد منهما عن أصحابه. فجهد أصحاب عمرو أن لا يتخلف وأن يمضوا به فأبى عليهم فودعوه ومضوا. ثم مضيا حتى وصل به الفتى فأدخله مع أخته وامرأته في سترهما. ومضى إلى ريا فأخبرها. فكانت تجيء إليه كل يوم فيشكوان ما كانا فيه من البلاء، ويتحدثان. فاستراب زوجها غشيانها ذلك البيت. ولم تكن تغشاه ولا تعرف أهله، واستراب أيضاً تطبيب نفسها وأنها ليست كما كانت. وخرجت رفقة له إلى حران فأخبرها أنه خارج معها. فخرج وأقام ليلتين مختفياً في موضع. وأقبل راجعاً في الليلة الثالثة، وقد أمناه وظناً أنه قد خرج، فأتى عمرو إلى ريا فبسطت له بساطاً قدام البيت وتحدثا حتى غلبهما النوم، وهي مضطجعة إلى جانب البساط وعمرو إلى الجانب الآخر. وأقبل الرجل

حتى وجدهما على تلك الحال. فنظر في وجه عمرو، فانتبه فزعاً. فقال له: ويلك يا عمرو، وما ينجيني منك بر ولا بحر! فقال: يا ابن عمي، ما أنا واللَّه على ريبة، ولا يسألني اللَّه عن أهلك عن قبيح؛ ولكن نشأت أنا وهي وألفتها ونحن صبيان، ولست أستطيع عنها صبراً، وما بيننا أكثر من هذا الحديث الذي ترى. قال: أما أنا فلم أهرب إلى هذا البلد إلا منك.

فانصرفا راجعين وهي معهما حتى قدما على وطنهما، فأقاما بعده بيسير.

٢٦٧ ـ حكى سنة بن عقال، عن الشعبي قال: حدثني رجل من بني أسد، قال: إني لذات يوم في الحي إذ أقبل فتى نظيف الثوب، حسن الوجه، حتى وقف بي، فقال: يا فتى، هل نزل بك حي من بني عذرة؟ قال، قلت: نعم، وتيك بيوتهم. قال: وهل أحسست لي بكرة صفتها كذا وكذا؟ قال، قلت: لا. فنزل ثم قال: أأنت منشدها لي في أبيات الحي؟ قال فخرجت وأنا أنشدها حتى مررت بالبيوت وأنا أنشد. فقالت لي جارية: عند الأكمة. فأشرفت على الأكمة فلم أر شيئاً فأخبرته، فأخرج سفرة معه ودعاني فأكلنا، ثم نام. وجعلت أراعيه حتى ظن أني قد نمت. فأخرج من رحله فلبسها، ثم اشتمل على سيفه وخرج حتى أتى الأكمة وأنا أتبعه من حيث لا يراني. فإذا بها قاعدة كأنها مهرة عربية. فسلم عليها وسلمت عليه ثم قال لها: يا بثينة قلت فيك كذا، ولقيت فيك كذا.

ولم يزل يحدثها وينشدها، وتحدثه حتى إذا كان في السحر وضع رأسه في حجرها فنام ساعة. فلم يشعر إلا بالفجر قد برق. فقالت: قم يا جميل، لا يفضحنا الصبح.

قال: فرجعت مبادراً حتى رميت بنفسي في الرحل. وجاء فأيقظني، ثم عمد إلى ثوب من ثيابه فكسانيه، فلم يزل جميل يغشاني في كل نهار وليل، فأطير إلى الحي وآتيه فآخذ ميعاد بثينة إلى موضع يجتمعان فيه ويتحدثان إلى أن فطن بعض الحي بأمري. فقالت لي بثينة. انج بنفسك، فإن الحي قد شعروا بك، وقل لجميل موعدك «وسكن البطن»[1]. وأتيته فأخبرته، فمضى وانقطع عني خبره.

---

(١) سكن البطن: مكان خارج المدينة.

٢٦٨ ـ وروي عن يحيى بن خالد بن برمك قال: كنت أهوى جارتي دنانير، وهي لمولاتها زهراء، فلما وضع المهدي الرشيد في حجري اشتريتها؛ فلم أسر بشيء من الدنيا مثل سروري بها وبملكها، فما لبثت إلا يسيراً حتى وجه المهدي ابنه الرشيد غازياً إلى بلد الروم، فخرجت معه، فعظم علي فراقها، فأقبلت لا أتهنأ بطعام ولا شراب صبابة بها وذكراً لها. فأنا ليلة في مضربي، وقد أصابني برد شديد وثلج كثير، وأنا أتقلب على فراشي أذكر الجارية، إذ سمعت غناء خفياً وصوت عود بالقرب مني. فأنكرت ذلك وجلست على فراشي فأشجاني الصوت من غير أن أفهم حتى أبكاني. فقمت، ولم أوقظ أحداً من العسكر، حتى انتهيت إلى خيمة صغيرة من خيام الجند، فإذا فيها سراج، فدنوت منها، فإذا فتى جالس، وإذا بين يديه ركوة فيها شراب وفي حجره عود يضرب عليه ويتغنى بهذا الصوت.

ألا يا لَقَومي أطلقوا غِلَّ مُرْتَهَنْ ... ومنُّوا على مستشعر الهمِّ والحَزَنْ

ألم ترها بيضاءَ، روداً شبابها ... لطيفةَ طيِّ البطنِ كالشَّادنِ [1] الأَغَنِّ [2]

قال: فكلما غنى بيتاً بكى وتناول قدحاً فصب فيه من ذلك الشراب، وشرب، ثم يعود إلى مثل ذلك.

قال: فأقمت طويلاً أرى ما يفعل وأبكي لبكائه، ثم سلمت فرد السلام، واستأذنت فأذن لي فدخلت، فلما رآني اجلني وأوسع لي. فقلت: يا فتى خبرني بخبرك، وما أنت فيه، وما سبب هذا البكاء؟ قال: أنا فتى من الأبناء، لي ابنة عم قد نشأنا جميعاً فعلقتها وعلقتني، ثم بلغنا فحجبت عني، فسألت عمي ليزوجنيها فأجاب، فمكثت حيناً احتال لمهرها حتى تهيأ فأديته، فدخلت بها، فلما أن كان يوم سابعها ضرب علي البعث وخرجت وبي من الشوق إليها ما لا أجده، فحملت معي هذا العود، فإذا أصبت شراباً في بعض هذه القرى أخذت منه شيئاً، ثم افعل ما ترى تذكاراً إليها.

فقلت: فهل تعرفني؟ فأنكرني، فما أدري أتعمداً أم حقيقة.

---

(١) الشادن: هو ولد الظبية.

(٢) الأغن: أي كان في صوته غنّة.

قال فقلت له: أنا يحيى بن خالد. فلما قلت له ذلك نهض قائماً. فقلت: اجلس، فإذا كان غداً فالقني، فهذا مضربي بالقرب منك، فإني أصير منك إلى ما تحب.

قال: ووافق ذلك رسولاً قد هيأناه إلى المدينة، فما كان أسرع شيء حتى دنا الصبح وتهيأ الناس للرحيل، فأول من لقيني ذلك الفتى، فأثبت وجهه وقلت له: من أنت، وفي قيادة من أنت؟ فخبرني، فمضيت حتى دخلت على الرشيد ومعي المؤتمرات، فكنت آمرها على سمعة من عنوان يكون له فيها، فقلت وفتى من الأبناء فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرة آلاف درهم معونة له ويصحب فلاناً الرسول ففعل ذلك وانصرف إلى أهله.

٢٦٩ ـ وحكى إبراهيم بن إسحاق الموصلي عن أبي السائب المخزومي قال: تعشق العرجي امرأة من قريش فجعلني رسولاً إليها، فأتيتها برسالة وأخذت موعدها لزيارته إلى موضع سماه، ثم بكرت أنا فأتت على أتان ومعها جارتيها، وجاء على حمار ومعه غلام. فتحدثنا ساعة ثم قمت عنهما، فوثب عليها، ووثب الغلام على الجارية، والحمار على الأتان، وقعدت أسمع النخير من كل ناحية.

قال، فقال لي العرجي: يا أبا السائب، هذا يوم غابت عواذله. قال أبو السائب: فما لي حسبة أرجو ثوابها رجائي لذلك اليوم وثوابه.

٢٧٠ ـ وقال: كان عمر بن أبي ربيعة يتعشق امرأة يقال لها أسماء، فوعدته أن يزورها، فتهيأ لذلك يوماً فأبطأت عليه، فنام، فلم يلبث أن جاءت ومعها جارية، فضربت الباب فلم يستيقظ، فانصرفت وحلفت أن لا تأتيه حولاً. فقال عمر فيها قصيدته التي أولها:

طَالَ ليلِي وتَعَنَّانِي الطربْ ... واعترانِي طولُ همٍّ ونَصَبْ

أُشهِدُ الرَحمانَ لا يَجْمَعُنا ... سقفُ بيتٍ رَجَباً حتى رَجَبْ

فَبَعثنا طبَّةً عالمةً ... تخلط الجد مراراً باللعب

ترفع الصوتَ إذا لانت لها ... وتراخى عند سوراتِ الغضبْ

فـأجـابـتْ يـا فتـى وابتسمـتْ … عن مُنيفِ اللون صافٍ كالثغبْ [1]

فلما سمع ابن أبي عتيق هذه الأبيات قال له الناس في طلب إمامٍ مثل قيادتك هذه مذ قتل علي، فما يقدرون عليه.

٢٧١ ـ قال حماد الراوية: استنشدني الوليد بن يزيد شعراً كثيراً فما استعادني إلا هذه الأبيات. وقال لي: يا حماد اطلب لي مثل هذه وأرسلها إلى سلمى.

٢٧٢ ـ ويروى عن حماد قال: أتيت مكة فجلست إلى جماعة في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي، وإذا هم يتذكرون العذريين وعشقهم وصيانتهم، قال عمر: أحدثكم عن بعض، وذلك: أنه كان لي خليل من بني عذرة، وكان مشتهراً بحديث النساء فيتشبب بهن وينشد فيهن، على أن لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يوافي الموسم في كل سنة، فإذا أبطأ ترجمت له الأخبار وولفت له الأشعار حتى يقدم فيتحدث حديث محزون كئيب. وإنه راث ـ ذات سنة، حتى قدم وفد عذرة، فأتيت القوم وأنا أنشد عن صاحبي وإذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال: عن أبي المسهر تسل؟ قلت: نعم عنه سألت. قال: هيهات هيهات أصبح واللّه أبو المسهر لا ميؤوساً فيهمل ولا مرجواً فيعلل؛ أصبح واللّه كما قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مـا حبـي لأسمـاء تـاركـي … صحيحـاً ولا أقضِـي بـه فـأمـوتُ

قلت له: وما الذي به؟ قال لي: هو ميت موله! قلت: ومن أنت يا ابن أخي؟ قال: أنا أخوه. قلت وما يمنعك أن تركب طريق أخيك الذي ركبه، وتسلك مسلكه. ألا إنك وأخاك كالوشي والنجار لا ترفعه ولا يرفعك.

ثم انصرف وأنا أقول:

أرائحـــةٍ حجـــاجَ عـــذرة روحـــةً … ولما يَرُحْ في القوم جَعْدُ بن مَهْجَعِ

خليـلانِ نَشكـو مـا نُـلاقـي مـن النـوى … متـى مـا يَقُـل أسْمَـع، وإن قـال يَسمـع

فـلا يُبْعَـدَنْـك اللّـه خـلاً، فـإننـي … سألقى كما لاقيتُ في الحب مصرعي

فلما كان في العام الآتي وقفت في الموضع الذي كنا نقف فيها بعرفات، فإذا

(١) الثغب: هو الغدير في ظل جبل.

شاب قد أقبل وقد تغير لونه، وساءت هيئته فما عرفته إلا بناقته، فأقبل حتى اعتنقني وجعل يبكي. قلت: ما هذا وما دهاك وما غالك؟ قال برح الغرام وطول السقام. وأخذ يشكو إلي فقلت: يا أبا مسهر، إنها ساعة عظيمة، فلو دعوت اللّه كنت تظفر بحاجتك. فجعل يدعو حتى إذا بدت الشمس للغروب وهمَّ الناس إن يفيضوا، سمعته يهمهم بشيء، فاصغيت إليه مستمعاً فجعل يقول:

يــا ربُّ كــلِ غــدوةٍ وَرَوْحَــة
مِـنْ مُحـرِمٍ بعـد الضُّحـى واللَّـوحَـة
أنـتَ حسيـبُ الخطـبِ يـومَ الـدوحـةْ

قلت: يا أخي، وما الدوحة؟ قال سأخبرك إن شاء اللّه. فلما قضينا حجنا وأحللنا قلت له: حدثني بخبرك! قال: نعم، أعلمك أني امرؤ ذو مال كثير من نعمٍ وشاءٍ، وإني خشيت على مالي التلف فأتيت أخوالي فأوسعوا لي عن صدرِ المجلس فكنت في عز أخوالي، فخرجت يوماً إلى مالي وهو ببعض مياههم، وركبت فرسي، وعلقت معي شراباً أهدي إليّ. فانطلقت حتى إذا كنت بين الحي ومرعى النَّعَم رفعت لي دوحة عظيمة فقلت: لو نزلت تحت هذه الشجرة وتروحت مبرداً! فنزلت وشددت فرسي بغصن من أغصانها، ثم جلست وقدمت شرابي، فإذا بغبار قد سطع من ناحية الحي فبدت لي ثلاث شخوص، وإذا فارس يطرد عنزاً وأتاناً، فلما قرب مني إذا عليه درع أصفر وعمامة خَزٍّ سوداء، وإذا فروع شعره تنال كعبه. فقلت في نفسي: غلام حديث السن راكب على فرس أعجلته لذة الصيد، فأخذ ثوب امرأته ونسي ثوبه. فما لبث أن لحق بالعنز فطعنه ثم عطف على الأتان فقتلها، ثم قال:

نطعنهـم سلكـاً [١] ومخلـوجـة [٢] كـركَّ الأميـنِ علـى نـائـلِ

فقلت له: إنك قد تعبت وأتعبت فرسك، فلو نزلت. فثنى رحله، وشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة، ثم أقبل حتى جلس قريباً مني فجعل يحدثني حديثاً كأنه الدر، ذكرت به قول الشاعر:

(١) سلكاً: أي الطعنة المستقيمة.

وإن حـديثـاً منـكِ لـو تبـذلينَـه جنى النحلِ في ألبانِ عوذٍ مطافلِ

قال: فبينما هو كذلك إذ نقر بالسوط على ثنيته، فرأيت واللّه خلل السوط بينهما فما ملكت نفسي أن قبضت على السوط وقلت: أخاف أن تكسرهما فإنهما رقيقان. وقال: وهما مع ذلك عذبتان. قال ثم رفع عقيرته وجعل يغني:

إذا قَبَّـلَ الإنسـانُ ممـنْ يُحَبُّـهُ ثنـايـاهُ لـم يـأثَـمْ وكـانَ لـهُ أجـراً
فـإنَّ زادَ زادَ اللّـهُ فـي حسنـاتـهِ مثـاقيـلَ يمحـو اللّـهُ عنـه بهـا وِزْرَاً

ثم قال لي: ما هذا الذي علقت على سرجك؟ قلت: شراب أهداه إلي بعض أهلي، فهل لك فيه؟ قال: وما أكره منه؟ فأتيت به فوضعته بين يديه. فلما شرب منه نظرت إلى عينيه كأنهما عينا مهاة قد أضلت ولداً فأذعرهما قانص. فعلم نظري فرفع عقيرته وجعل يغني:

إنَّ العيـونَ التـي فـي طـرْفهـا حَـوَرٌ قتلننـا ثـمَّ لـم يحيينَ قتـلانـا
يصْرَعنَ ذا اللبِّ حتى لا حراكَ بهِ وهُـنَّ أضعـفُ خلـقِ اللّـهِ إنسـانـاً

فقلت له: من أين لك هذا الشعر؟ قال: وقع رجل منا باليمامة فأنشدنيه.

قال: ثم قمت لأصلح شيئاً من أمر فرسي، فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه، فإذا غلام كأنما وجهه الشمس حسناً، فقلت: سبحانك اللّهمَّ ما أعظم قدرتك، وأجل صنعك. قال: فكيف؟ قلت له: مما راعني من نورك وبهرني من جمالك. قال: وما الذي يروعك من رهن تراب ورزق دواب ثم لا تدري أينعمُ بعد ذلك أم لا؟ قلت: بل يصنع اللّه بك خيراً إن شاء اللّه.

ثم أقبل على فرسه؛ فلما أقبل برقت لي بارقة من الدرع، فإذا ثدي كأنه حقٌ، فقلت: نشدتك اللّه امرأة؟ قالت: أي واللّه امرأة تكره العهر وتحب الغزل. فقلت: وأنا واللّه كذلك. فجلست واللّه تحدثني ما أفقد من أُنسِها شيئاً حتى مالت على الدوحة سكرى، فاستحسنت، واللّه يا ابن أبي ربيعة، الغدر، وزين في عيني، ثم إن اللّه عصمني. فما لبِثتْ أن انتبهت مرعوبة، فلاثت عمامتها برأسها وأخذت رمحها وجالت في متن فرسها، فقلت: زوديني منك زاداً. فأعطتني ثوباً من ثيابها، فشممت منه كالروض الممطور. ثم إني قلت: أين الموعد؟ فقالت: إن

لي إخوة شوساً [١] وأباً غيوراً؛ واللّه لأن أسرّك أحبُّ إليّ من أن أضرَّك.

قال: ثم مضت فكان واللّه آخر العهد بها إلى يومي هذا. فهي التي بلغت بي هذا المبلغ، وأحلتني هذا المحل. قلت له: واللّه يا أبا المسهر، واللّه ما كان يحسن الغدر إلا بك. فإذا به قد اخضلَّتْ لحيتُه بدموعه باكياً. فقلت: واللّه ما قلت هذا إلا مازحاً. ودخلتني له رقة. فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد وحملت غلاماً لي على بعير وحملت عليه قبه أدم [٢] حمراء كانت لأبي ربيعة، وأخذت معي ألف دينار ومطرفاً [٣] ثم خرجنا حتى أتينا كلباً فسألناه عن الشيخ فإذا هو في نادي قومه، فسلمت فقال: وعليك السلام، من أنت؟ قلت: عمر بن أبي ربيعة المخزومي. قال: المعرف غي المنكر؛ فما الذي جاء بك؟ قلت: خاطباً. قال: أنت الكفء الذي لا يرغب عن حسبه، والرجل الذي لا يُردّ عن حاجته. قلت له: إني لم آتك عن نفسي، وإن كنت موضع الرغبة، ولكن أتيتكم في ابن أخيكم العذري. وقال: واللّه إنه لكفءُ الحسبِ، غير أن بناتي لا يقعن إلا في هذا الحي من قريش. فعرف الجزع في نفسي وتبين له في وجهي، وقال: أنا أصنع لك شيئاً لا أصنعه لغيرك. قلت: ما هو؟ قال: أخبرها لأنك أنت تختار لغيرك. فأومأ إليّ صاحبي أن آمره أن يخبرها. فقلت: افعل. ثم مضى الشيخ وقد أتى وقال لي أنها قالت: إن الأمر أمرك والرأي للقرشي يختار لي ما رأى. فحمدت اللّه عزّ وجلّ وصليت على نبيه، ﷺ وقلت: قد زوجت الجارية بجعد بن مهجع، وأصدقتها ألف دينار، وهي هذه، وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف فقبله، وسألته أن يبني بها من ليلته، فأجابني إلى ذلك. وضربت القبة في وسط الحي وأهديت إليه ليلاً. وبت عند الشيخ خير مبيت.

فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة، فخرج إلي، فقلت له: كيف كنت بعدي؟ وكيف هي؟ فقال: أبدت لي كثيراً مما أخفت يوم رأيتها. فقلت: عليك

---

(١) شوساً: أي شجعان.

(٢) أدم: الجلد.

(٣) [illegible]

أهلك، بارك اللّه لك فيهم. وانطلقت إلى أهلي وأنا أقول:

كَفَيْتُ أخي العذريَّ ما قد أصابَهُ ... ومثلي لأثْقالِ النوائبِ أحملُ
أما استحسنت منّي المكارمَ إنها ... إذا عرضتْ إني أقولُ وأفعلُ

٢٧٣ ـ وحكى المدائني: أن رجلاً من بني عقيل كان يسمى صخراً، وكانت له ابنة عم تدعى ليلى، فكان بينهما حب مبرح ولم يكن أحدهما يصبر عن الآخر ساعة واحدة، وكان لهما مكان يجتمعان فيه للحديث في كل ليلة. ثم إن أبا صخر زوج صخراً لامرأة من الأزد، وصخر لذلك كاره؛ فلما بلغ ليلى الخبر قطعته، فمرض مرضاً شديداً. فكان أهله يقولون سحرته ليلى، لما كانوا يرونه يصنع بنفسه. وكانت ليلى أشد وجداً به وحباً له. فأرسلت جاريتها إليه وقالت لها: إذهبي إلى مكاننا وانظري هل تري صخراً، فإذا رأيته فقولي له:

تعساً لمنْ بغير ذنبٍ يَصْرُمُ ... قد كنتَ، يا صخرُ، زماناً تَزْعُمُ
إنكَ مشغوفٌ بِنَا مقيمُ ... حتى بدا منك لنا المجمجمُ (١)

قال: فأتته الجارية فأبلغته قولها، ووجدته كالشنِّ البالي وجداً وحزناً، فقال: قولي لها:

فهمتُ الذي عَيَّرتِ، واللّهُ شاهدٌ ... لَمَا كان عن رأيي ولا كانَ عن أمري
فإن كنتُ سُمِّيتُ صَخراً فإنني ... لأضعف عن حمل القليلِ من الهجرِ
ولستُ، وربِّ البيتِ، أبغي سِواكمُ ... حبيباً ولو عشنا إلى ملتقى الحشرِ

فقالت له الجارية: يا صخر، إن كنت كارهاً لتزويج أبيك لك فاجعل أمر امرأتك بيدي لتعلم ليلى أنك لغيرها قال ولعهدها راع، وأنك مكرهاً. قال: قد فعلت. قالت: فهي طالق منك ثلاثاً. وأخبرت ليلى، فأظهرت من ذلك جزعاً وتراجعا إلى ما كانا عليه من اللقاء، والجارية تختلف بينهما. ولم يُظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له أبوه: يا صخر ألا تبتني بأهلك؟ قال: وكيف وقد بانت مني في يمين حلفت بها. فاعلم أبوه أهل المرأة فقالت المرأة تهجو ليلى:

---

(١) المجمجم: المخفي كلامه.

ألا بَلِّغَا عني عقيلاً رسالةً   فما لعقيلٍ من حَياءٍ ولا فضلِ
نساؤكم شرُّ النساء، وأنتمُ   كذلكَ، إن الفرعَ يجري على الأصلِ
أما فيكمُ حُرٌّ يَغَارُ بأختِه؟   وما خيرُ حرٍّ لا يغارُ على الأهلِ!

قال: وهجتها ليلى حتى شاع خبرها، وسعت الجارية إلى أهل صخر وأهل ليلى وما هما عليه، وإنهما يخاف عليهما من لؤم الفعل. ولم تزل حتى جمعت بينهما وتزوجها.

٢٧٤ ـ وحكى الأصمعي قال: خرج المهدي حاجاً، حتى إذا كنا ببعض الطريق، إذا أعرابي يقول: يا أمير المؤمنين، جعلني اللّه فداك، أنا عاشق. ـ وكان المهدي يحب ذكر العشاق وحديثهم ـ موكل به بعض الغلمان. فلما نزل أمر بإحضاره، قال: أنت المنادي؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين. قال له: ما اسمك؟ قال: أبو ميَّاس. قال أمير المؤمنين: مَن عشيقتك؟ قال له: ابنة عمي، وقد أبى عليَّ أبوها أن يزوجنيها. قال: لعله أكثر منك مالاً؟ قال: أنا أكثر منه مالاً! قال له: فما قصتك؟ قال له: أذنِ رأسك مني. فجعل المهدي يضحك، وأصغى إليه برأسه. قال له: إني هجين. قال له: ليس يضرك ذلك أخو أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء! ثم قال له وابن عمك؟ قال له: على ثلاثة أميال.

قال: فأرسل أمير المؤمنين في طلبه فجيِءَ به فقال له: ما لك لا تزوج أبا مياس، فإني أرى عليه نعمة؟ قال: متاع سوء، وليس مثلي يزوج مثله. قال: فإنّ الذي كرهت ليس مما يعاب به عندنا، وأنا معط صداق ابنتك عشرة آلاف درهم، ومعوضك مما ذكرت عشرة آلاف درهم! قال: فذلك لك! قال فخرج أبو مياس وهو يقول:

واتَّبعتُ ظبيةً بالغَلاء وإنما   يعطي الغلاءُ لمثلِها أمثالي
وتركتُ أسواقَ القِبَاحِ لأهلها   إنَّ القِبَاحَ وإنْ رخصنَ غَوالي

٢٧٥ ـ قال سعيد الصغير: كان المنتصر باللّه في أيام إمارته وجهني إلى مصر في بعض أمور السلطان، فاعترضت عند بعض النخاسين جارية تامة المحاسن حاذقة بالغناء. فأبى مولاها أن يأخذ مني إلا ألف دينار، ولم تكن تحضرني،

ولا وجدت أن أقرضها، وأزعجني الشخوص، وقد علقها قلبي، وأخذني المقيم المقعد من حبها. فلما قدمت إلى المنتصر وعرفته ما بعثني فيه؟ سألني عن حالي وخبري. فأخبرته بمكان الجارية وكلفي بها، وقصتي مع مولاها. فأعرض عني وصار ما بي يزداد. ولم أملك صبراً. وجعل المنتصر، كلما دخلت وخرجت من عنده، يذكرها ويهيج أشواقي إليها، ويعيُّرني بقلة الصبر عنها. وكان قد أمر ابن الخصيب أن يكتب إلى مصر في شراها وحملها إليه من حيث لا أعلم ولا أدري.

فلما سارت إليه، وعَرَضتُ عليه أمرَها، فغنت وعذرني، فأمر قيمة جواريه فأصلحت من شأنها. فلما ذهب عنها ألمُ السفر استجلسني يوماً وهو على فراشه. فلما غنى جواريه كانت آخرهن. فلما سمعتها عرفتها وكرهت أن أعلمه حتى ظهر عليَّ ما كتمت، وغلب علي الصبر، فقال لي: ما لك يا سعيد؟ قلت: خيراً أيها الأمير!

قال، فاقترح عليها صوتاً كنت أعلمته أني سمعته منها فاستحسنه من غنائها، فغنته، فقال: هل تعرف هذا الصوت؟ قلت: أي واللَّه أيها الأمير، فما تكون المعرفة وقد كنت أطمع في صاحبته! فأما الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده، وجالب حتفه إلى حياته. قال: واللَّه يا سعيد ما اشتريتها إلا لك، وما يعلم اللَّه أني رأيت لها وجهاً إلا الساعة اليت أدخلت علي، وأنا تركتها حتى استراحت من تعب السير، وهي لك.. فأكبيت على رجليه، ودعوت له بما أمكنني من الدعاء؛ وشكره عني من حضر من الجلساء، وأمر بها فحملت إلى منزلي. فما أحد أحظى عندي منها، ولا لي ولد أحب من ولدها.

من أحاديث المؤلفين

من أحاديث المؤلفين:

٢٧٦ ـ ما حكاه أبو الحسن المدائني، قال: كان بمكة سفيه يجمع بين النساء والرجال على أقبح الريب؛ وكان من قريش، ولم يذكر اسمه، قال: فشكا أهل مكة ذلك إلى الوالي فنفاه إلى عرفات. فأخذ بها منزلاً، ودخل مكة مستتراً. فلقي

حرفاءَه من الرجال والنساء فقال لهم: وماذا يمنعكم مني؟ قالوا له: وأين بك وأنت بعرفات! قال لهم: حمار بدرهمين وقد صرتم إلى الأمن والنزهة والخلوة واللذة.. قالوا: نشهد بأنك صادق. فكانوا يأتونه، فكثر ذلك حتى أفسد علي أهل مكة أحداثهم وسفهاءهم، فعادوا بالشكاية على أميرهم، فأرسل وراءه، فأُتي به فقال: أي عدو اللَّه، طردتك من حرم اللَّه عز وجل فصرت إلى المشعر الأعظم تفسد وتجمع بين الخبائث!! فقال: أصلح اللَّه الأمير يكذبون علي ويحسدونني. فقالوا للوالي: بيننا وبينه واحدة تجمع حمير المكارين وترسلها نحو عرفات، فإن قصدت داره لما اعتادت من السير إليها، فالقول كما قلنا، وإلا فالقول كما قال... فقال الوالي: إن في ذلك دليلاً. وأمر بحمير المكارين فجمعت ثم أرسلت فقصدت نحو منزله، وجاءه بذلك أمناؤه. فأر بتجريده. فلما نظر إلى السياط بكى، فقال له: ما يبكيك يا عدو اللَّه؟ قال: واللَّه، أصلح اللَّه الأمير، ما من الضرب جزعت، ولكن يسخر منا أهل العراق ويقولون إن أهل مكة يجيزون شهادة الحمير. فضحك الوالي وأمر بتخليته.

٢٧٧ ـ قال المدائني: كان مزيد يسبق الحجاج في كل عام إلى الحج، وكان يأتي إلى المدينة في ثلاثة أيام على راحلته. فتأخر مرة عن وقته الذي كان يجيء فيه لعلة أصابته، وكان لامرأته صديق صوَّاف. فلما تأخر ظن الصواف أنه قد مات فأقام عندها ولم يبرح، وجاء مزيد فدخل على الوالي فأخبره ودنا إلى منزله. فلما رأى أنه قرب من الباب تطلع من كوة وإذا الصواف مع امرأته في البيت، فلم يستفتح. فمضى إلى المخنثين فدعاهم، فأتوا معه، فوقفوا على بابه، وأمرهم فضربوا طبولهم وزمروا، فاجتمع الناس من كل ناحية، فأقبلوا يقولون له: يا أبا إسحاق، أشيء حدث؟ فيقول لهم: تزوجت امرأتي. فقالوا له: ما بك: وما هذه القصة؟ فلم يخبرهم بشيء. فوقف الصواف خلف الباب وقال: يا أبا إسحاق أُدن أكلمك. فدنا منه فقال: إتق اللَّه في الفضيحة، وأنا أفتدى منك. فقال له: أردد علي مهرها ونفقتي عليها فقد أفسدتها. قال: وكم ذلك؟ قال: خمسون ديناراً. فكتب رقعة إلى غلامه في السوق فبعث بها من قبض المال وجاء به. فقال: أي بنى تفرقوا. إنما كنت أزح. فقنَّع رأس الصواف وأنزله، وقعد مع امرأته وسكت.

٢٧٨ ـ قال أبو عثمان الجاحظ: كان عندنا بالبصرة مخنث يجمع بين الرجال والنساء في منزله. وكان بعض المهالبة يتعشق غلاماً. فلم يزل المخنث يتلطف له حتى أوقعه. قال: فلقيته من غد، وقد بلغني الخبر، فقلت له: كيف كانت وقعة الجعرانة، فقد بلغني خبرها؟ قال: لما تدانى الأقوام وقع الإلتزام، ورقَّ الكلام، والتفَّت الساق بالساق، ولطخ باطنها بالبصاق، وجعلت الرماح تمور، وقرع البيض بالذكور، وشفيت حرارات الصدور، ومال كل واحد فأصيب مقاتل كل هجر، وانعقد الوصل واتصل الحبل. فلو كان أعد هذا الكلام لمسألتي قبل ذلك بدهر كان قد أجاد ومَلُح.

٢٧٩ ـ وحكى محمد بن سلام[1]، عن يونس، قال: حج سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة بألف دينار، وكان اسمها العالية، فلما رحل بها قال الحارث بن خالد المخزومي:

ظَعَـن الأميـرُ بـأحسـنِ الخَلْـق وغـدا بليـلِ مطلـعُ الشـرقِ
وبَـدَت لنَـا مـن تحـتِ كِلَّتهَـا كـالشمـسِ أو كغمـامـةِ البـرقِ

قال: وبلغ خبرها يزيد بن عبد الملك فقال: لقد هممت أن أحجر على سليمان. فبلغ سليمان ذلك فاتقاه وردها على مولاها، فاشتراها رجل من أهل مصر من مولاها بأربعة آلاف دينار ورحل بها إلى مصر، وكانت في نفس سليمان إلى أن ولي الخلافة. فقالت له يوماً سعدى بنت عبد اللّه بن عمر بن عثمان زوجته: يا أمير المؤمنين، هل بقي في نفسك شيء تتمناه؟ قال: نعم حبابة. فأرسلت سعدى رجلاً إلى مصر فاشتراها بخمسة آلاف دينار وسار بها إلى سعدى، فاستأذنت سليمان أن تتنزه في بستانه بالغوطة، وأن يزورها إذا استزارته. فأذن لها، فصيَّغت حبابة وهيأتها وأعلمتها بمكانها من قلب سليمان، وضربت له قبة وشي وفرشتها. ثم أرسلت إلى سليمان تستزيره، فزارها. وقد أجلست حبابة وراء سرير وقالت له: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه؟ قال: نعم، حبابة.

---

(١) هو محمد بن سلام بن عبد اللّه الجمحي البصري أبو عبد اللّه كان من أعيان أهل الأدب، وألف كتاباً في طبقات الشعراء وله غريب القرآن، وله علم بالشعر والأخبار وهما من جملة الأدب، وتوفي سنة ٢٣٢ هـ وقيل ٢٣١ هـ. انظر: معجم الأدباء: ٨/ ٢٠٤.

قالت: يا أمير المؤمنين إني قد أخذت لك جارية ذكرت أنها قد أخذت عن حبابة، فهل لك أن تسمعها؟ فقال: إن شئت. قالت: غني يا جارية. فغنت سليمان صوتاً كان سليمان قد سمعه منها بالمدينة.

قال: فلما سمعه قال: حبابة ورب الكعبة. فقالت: هي حبابة، ولك اشتريتها، فشأنك بها. فقامت وانصرفت وخلتهما، فكان سليمان لا يزال يشكر سعدى على ذلك.

٢٨٠ ـ وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى [١]: أن علياً عليه السلام ولّى زياداً فارساً حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب بعضهم ببعض حتى غلب عليها، وما زال يتنقل في كورها حتى أصلح أمر فارس. ثم ولاه على اصطخر [٢]، وكان معاوية يتهدده، ثم أخذ بشر بن أرطأة ابنته وكتب إليه يقسم عليه لقتلها إن لم يدخل في طاعة معاوية. وتوفي علي عليه السلام، فكتب معاوية يدعوه إلى طاعته وأن يقره على عمله ويستخلفه إذا كان أبو مريم السلولي شهد عنده أنه جمع بين أبي سفيان وسمية في الجاهلية على الزنا. وكانت سمية من الزانيات بالطائف تؤدي الضريبة إلى الحارث بن كلدة. وكانت تنزل بموضع ينزل فيه البغايا بالطائف. فقال له: كره ترك المشورة من العي. فشاور زياد المغيرة بن شعبة قال: إرم الغرض الأقصى ودع عنك الفضول، فإن هذا الأمر لا يمد أحد إليه يداً إلا الحسن بن علي. وقد بايع لمعاوية، فخذ لنفسك، وانقل أصلك إلى أصله، وصل حبلك بحبله، وأعِر الناس منك أذناً صمّاء، وعيناً عمياء. فقال له زياد: يا ابن شعبة، لقد قلت قولاً لا يكون غرسه في غير منبته، لا أصل يغذيه ولا ماء يسقيه. وعزم على ذلك، وقبل رأي المغيرة، وقدم على معاوية. فأرسلت إليه جويرية، عن أمر معاوية، فأتاها ودنت له وكشفت شعرها بين يديه وقالت: أنت أخي، أخبرني بذلك أبي.

(١) هو معمر بن المثنى أبو عبيدة البصري مولى بني تيم، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وهو أولى من صنّف غريب الحديث، وهو عالماً بالشعر والغريب وله مصنفات كثيرة تقارب المئتين توفي سنة ٢٠٨ هـ انظر: معجم الأدباء: ١٩/ ١٥٤.

(٢) اصطخر: بلدة بفارس. (١/ ٢٢١)

ثم أخرجه معاوية إلى المسجد وجمع الناس، فقام أبو مريم السلولي فقال: أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف، وأنا خمار في الجاهلية، فقال: إبغني بغياً فأتيته فقلت له: لم أجد إلا سمية جارية الحارث بن كلدة! فقال: إئتني بها على ذفرها وقذرها. فقال زياد مهلاً، إنما بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً. فقال أبو مريم: لو كنتم أبغضتموني كان أحب إلي، فما شهدت إلا بما عاينت ورأيت، فواللّٰه لقد أخذ بكمّ درعها وأغلق الباب عليها، وقعدت، فلم ألبث أن خرج علي يمسح جبينه، فقلت: مَه يا أبا سفيان؟ فقال: ما أصبت مثلها يا أبا مريم، لولا استرخاء من ثديها وذفر مرفقيها. فقال زياد: أيها الناس، هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم، ولست أدري حق ذلك من باطله، ومعاوية والشهود أعلم بما قالوا. فقام يونس بن الثقفي فقال: يا معاوية، قضى رسول اللّٰه ﷺ، بالولد للفراش؛ وشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان. فقال معاوية: واللّٰه يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة يطيب وقوعها، هل إلا إلى اللّٰه أقع، قال: نعم، فاستغفر اللّٰه. فقال ابن مفزع، ويقال أنها لعبد الرحمٰن بن أم الحكم ونحلها ابن مفزع:

ألا أبْلِغْ معاويةَ بن صَخْرٍ مُغَلْغَلةً على الرَّجُلِ اليَماني

أتَغْضَبُ أن يُقالَ: أبوك عَفٌّ وتَرْضى أن يُقالَ: أبوكَ زانِ

فأشهدُ أنّ آلكَ من زيادٍ كآل الغيل من وُلْدِ الأتانِ

٢٨١ ـ وروى الهيثم بن عدي أن الحسن بن علي تزوج حفصة بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق رضي اللّٰه عنه، وكان المنذر بن الزبير يهواها، فبلغ الحسن عنها شيئاً أنكره فطلقها، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه، وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجته، فرمى إليه المنذر بن الزبير عنها شيئاً فطلقها، وخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه فدس لها امرأة من قريش، فأتتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر، وأعلمتها أنه قد شهر بحبها، فقالت: قد خطبني فآليت أن لا أتزوجه قالت: ولم ذلك؟ فواللّٰه إنه لفتى قريش وشريفها وابن شريفها. قالت: شهرني وفضحني! قالت لها: والآن ينبغي أن تتزوجيه ليعلم الناس أن كلامه كان باطلاً. فوقع في نفسها كلامها، وجاءت المرأة إلى المنذر فقال: اخطبها فقد أصلحت لك قلبها. فخطبها فتزوجته، فعلم الناس أنه كان يكذب عليها.

وكان في نفس الحسن منها شيء، وكان إنما طلقها لما أبلغه عنها الزبير. فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق؟ قال: نعم. فعدل الحسن إلى منزل حفصة فدخل عليها، فتحدثا طويلاً، ثم خرج، ثم قال لابن أبي عتيق يوماً آخر: هل لك في العقيق يا ابن أبي عتيق؟ فقال له: ألا تقول هل لك في حفصة فتصير إليها على علم، وأسعى لك منها فيما تحب؟! فقال الحسن: استغفر اللّه.

٢٨٢ ـ ويُروى أن عبد اللّه بن أبي بكر الصديق، رضي اللّه عنه، تزوج عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل فعشقها وأحبها حباً شديداً حتى منعته عن حضور الصلوات في جماعة. فأمره أبو بكر، رضي اللّه عنه، بطلاقها، ففارقها، فوجد عليها وجداً عظيماً، فأمره أن يراجعها، فراجعها وكانت عنده حتى توفي عنها. وكان قد أخذ عليها يميناً أن لا تتزوج بعده، فجاءها عمر بن الخطاب، رضي اللّه عنه، فأفتاها أن تنكح، فقالت: لست أقبل في هذا كلامك وحدك. ـ لأنه قد بلغها أنه يريد أن يتزوجها ـ فجاءت بعلي بن أبي طالب، رضي اللّه عنه، فأفتاها بذلك، فخطبها عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فتزوجته، فبعث إليها بعشرين ديناراً كفَّرت بها عن يمينها، ثم توفي عنها فخطبها طلحة بن عبيد اللّه، فلقي الزبير بن العوام هناد بن الأسود، وكان لهناد امرأة كانت صديقة لعاتكة فقال له الزبير: ما أنا عنك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد. قال، فحلف هناد لامرأته إن هي لم تزوج لزبير لعاتكة ليجلدنها مائة جلدة. فانطلقت امرأة هناد لعاتكة، وكانت عندها حتى آتاها رسول طلحة بن عبيد اللّه فقالت له: فديتك ومن يردّ طلحة لقدمه وشرفه وسخائه؟ ولكن ردي رسوله اليوم فإنه سيزيدك ضعفاً ما أراد أن يعطيك. فردته، فقالت امرأة هناد لهناد: إلقَ طلحة فقل له: أما تستحي أن عاتكة ردتك وحلفت أن لا تتزوجك؟ ففعل ذلك، فقال طلحة: لا أتزوجها أبداً. فأمرت الزبير أن يرسل إليها، فجاءها رسوله وهي عندها فقالت لها امرأة هناد: قد بلغك ما في حق الزبير من الشدَّة؛ أما واللّه لو تزوجته ثم غلبت عليه ليكونن لك بذلك الشرف في نساء قريش.

ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير. وسنذكر بقية خبرها بعد هذا إن شاء اللّه.

٢٨٣ ـ قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: كان ابن زهير المدائني مخنثاً، وكان يؤلف بين الرجال والنساء، وكانت له قبة خضراء وكان فتيان قريش يقولون من يدخل قبة ابن زهير لم يصنع في الفتوة شيئاً.

قال: فواعد رجل صديقة له إلى قبة ابن زهير فجاءت بعد العتمة، وجاء الرجل، فتعشيا، فقالت المرأة: أشتهي نبيذاً. فقال صاحبها لابن زهير: أطلب لنا نبيذاً. قال: من أين لنا النبيذ في هذه الساعة؟! قال: لا بدّ منه. فلما ألح عليه عمد إلى حضض فضربه بماء وصيره في قنينة ثم جاءه به فقال: واللّه ما وجدنا غير هذا فصب الرجل منه في قدح فذاقة فوجده مرّاً فكره أن يعيبه فيكرهه إليها فشرب ثم صب فسقاها. فلما صار في بطنه تحرك. فقال لابن زهير: أين المخرج، فصعد إلى أن حركها بطنها فصعدت إلى أن تحرك بطنه فصعد، فلم يزالا كذلك ليلتهما. فقال ابن زهير: امرأته طالق إن كان التقيا إلا على الدرجة حتى أصبحا مما يختلفان، وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لأنهما يطلبان النبيذ في منزل ابن زهير القواد بعد العتمة.

٢٨٤ ـ وكان جميل أيضاً لما اشتهر في بثينة توعده أهلها، فكان يأتيها سراً فجمعوا له جميعاً يرصدونه، فقالت بثينة: يا جميل، إحذر القوم. فاستخفى وقال في ذلك:

ولــو أنّ ألفــاً دون بثنـــة كلّهـــم غَياري وكلُّ حَارِب مُزْمِعٌ قَتْلي؟
لحــاولتُهــا، إمَّــا نهــاراً مجــاهِــراً وإمــا سَرَى ليـلٍ وإن قطَّعـوا رجلـي

فالتقى جميل وكُثَيِّر فشكا كل واحد منهما إلى صاحبه أنه محصور لا يقدر أن يزور. فقال جميل لكثير: أنا رسولك إلى عزَّة. قال: فَأْتِهِم فَأَنْشِدْهُمْ ثلاثَ نوق سود مررن بالقاع، ثم احفظ ما يُقال لك. قال فأتاهم جميل ينشدهم فقالت له جاريتها: لقد رأينا ثلاثاً سوداً مررن، عهدي بهن تحت الطلحة [١] فانصرف حتى أتى كثير فأخبره. فأقاما، فلما نَصَفَ الليل أتيا الطلحة فإذا عزة وصاحبة لها. فتحدثا طويلاً، وجعل كثير يرى عزة تنظر إلى جميل. وكان جميل جميلاً وكان

(١) الطلحة: هي شجر عظام من شجر العضاة ترعاه الإبل.

كثير دميماً فغضب كثير وغار، وقال لجميل: انطلق بنا قبل أن نصبح. فانطلقا: ثم قال كثير لجميل: متى عهدك ببثينة؟ قال في أول الصيف، وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم [١] فخرجت معها جارية ترخص [٢] ثياباً.

قال، فخرج كثير حتى أناخ بآل بثينة فقالوا: يا كثير حدثنا كيف قلت لزوج عزة حين أمرها بسبك قال كثير: خرجنا نرمي الجمار فوجدني قد اجتمع الناس بي فطالعني زوجها، فسمع مني إنشاداً، فقال لعزة: اشتميه. فقالت: ما أراك إلا تريد أن تفضحني! فألح وحلف عليها، فقالت مكرهة: المنشد يعِضُّ بظر أُمِّه: فقلت:

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ ... لِعَزَّةَ من أعراضِنَا ما استحلتِ

فقالت بثينة: أحسنت يا كثير. وقلت أبياتاً لعزة أعاتبها فيهن وأنشدتها:

فقلتُ لها يا عزُّ أرسلُ صاحبي ... على بُعْد دار والموكَّلُ مُرْسَلُ

بأن تجعلي بيني وبينَكِ موعداً ... وأن تأمريني بالذي فيه أَفْعَلُ

وآخرُ عهدِ منكِ يوكَ لقيتُكُمْ ... بأسفلَ وادي الدَّومِ والثوبُ يُغْسَلُ

فقالت بثينة: يا جارية، أبغنا حطباً من الدومات لنذبح لكثير غريضاً [٣] من البهم: فراح إلى جميل فأخبره.

ثم إن بثينة قالت لبنات خالتها، وكانت اطمأنت إليهن وتطلعهن على حديثها: أخرجن بنا إلى الدومات فإن جميلاً مع كثير وقد وعدته. فخرج جميل وكثير حتى أتيا الدومات، وجاءت بثينة وصواحبها. فما برحن حتى بَرَق الصبح. وكان كثير يقول: ما رأيت مجلساً قط أحسن من ذلك المجلس، ولا فهماً أحسن من فهم أحدهما من صاحبه، ما أدري أيهما كان أفهم!

٢٨٥ ـ قال أبو عثمان الجاحظ: إذا ابتلى الرجل بمحبة امرأة لنظرة نظر إليها، ولمحة منها، لم يكن يزوَّج مثله مثلها وكانت ممتنعة، فالحيلة في ذلك أن يرسل إليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال منهن: أن تكون كتومة السر؛ وأن

---

(١) وادي الدوم: اسم مكان انظر معجم البلدان (٢/ ٤٨٧).

(٢) ترخص: أي تُلين وتُنعِّم.

(٣) [illegible]

تكون خدّاعة لها معرفة بالمكر؛ وأن تكون فطنة متيقظة؛ وأن تكون ذات حرص؛ وأن تكون ذات حظ من مال ولا تحتاج إلى الناس ولا ينكر الناس اختلافها ودخولها عليها، بأن تكون إما بياعة طيب، أو قابلة، أو صانعة لآلة العرائس، وتقدم إليها أرق وألطف ما تقدر عليه، ولا تدع شيئاً من الشكوى واللطف، وتخبرها أن نفسه في يدها، وأنها متمثلة بين عينيه، وأنه لا ينسى ذكرها، وأنه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه، وأنه إن لم ير منها نظرة أو خلوة هلك، وأنه لم يمنعه من خطبتها إلا خشية الامتناع من أهلها إن كان دونهم في الحسب والجاه والمال، وخوف التمنع منها هي أيضاً. فإنها إذا سمعت هذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع أن تمكنه بمال إن قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها، فإذا شاوروها في ذلك. رضيت، وقد تمكن قوله من قلبها، توصل منها إلى ما أراد بحلال التزويج دون حيلة من حيل الحرام.

٢٨٦ ـ وقال هارون بن المنذر: رأيت عُطيطاً المفتي يضرب جواريه على أنه ليس لهن من يعشقهن. فقلت له: ويحك، أما تتقي اللّٰه؟ أي ذنب لهن في هذا؟ ما أهون عليك! قال: إذا أردتُ أن أشتري كسوتهن أين؟ قلت: تكسوهن لأنك مولاهن! فقال: وما لهن الزواني ألا تجعلن كسوتهن عليهم؟! فقلت: إنكن سمعتن ما قال؟ قلن: نعم، واللّٰه، ونجعل له أولاداً! قال: فتنفس وقال: يقولون ما لا يفعلون!

٢٨٧ ـ قال الزبير بن بكار: خرج أبو السائب المخزومي وعبد اللّٰه بن جندب إلى موضع يتنزهان فيه، فلقيا ابن المولى الشاعر، فصاح به ابن جندب. فقال: ما شأنك؟ وأنشد:

وأبكي فَلاَ ليلى بَكَتْ من صَبَابةٍ ... لِمَا بي ولا ليلى لِذِي الودِّ تَبْذُلُ
وأخضعُ للعُتْبَي إذا كنتُ مذنباً ... وإني إذ نبتْ كنتُ الذي أتَنَصَّلُ
وقد زعمتْ أني سَلَوتُ وأنني ... ثباتي عن إتيانها مُتَعَلَّلُ

قال ابن جندب: من ليلى هذه؟ امرأته طالق إن لم أفدها. قال: هي واللّٰه يا أخي فرسي سميتها ليلى.

٢٨٨ ـ قال الزبير بن بكار: قال عمر بن ربيعة المخزومي:

أحُـنُّ إذا رأيـتُ جِمَـالَ سُعْـدَى ... وأبكـي إن سَمِعْـتُ لهـا حنينـا

وقـد أزِفَ المسيـرُ فَقُـلْ لسعـدى ... فـديتُـك أخبـري مـا تـأمـرينَـا

قال، فسمعه ابن أبي عتيق فخرج حتى أتى الحيان من أرض غطفان، ثم أتى خيمة سعدى، فاستأذن عليها وأنشدها البيتين ثم قال لها: ما تأمريه به؟ قالت: آمره بتقوى اللّه.

٢٨٩ ـ أبو غسان المهدي قال: مرَّ أبو بكر الصديق، رضي اللّه عنه، في خلافته بطريق من طرق المدينة، فإذا جارية تطحن وتنشد:

وعَشِقْتُـه مـن قَبْـلِ قطـع تمـائمـي ... مُتَمـايِسـاً مِثْـلَ القضيـبِ النـاعـمِ

وكـأنّ نـورَ البـدرِ سُنَّـةُ وجهِـه ... يُنْمِـي وَيُصْعِـدُ فـي ذُؤَابَـةِ هَـاشـمِ

فدق عليها الباب فخرجت إليه، فقال: ويلك أحرة أم مملوكة؟ قالت: مملوكة يا خليفة رسول اللّه. قال: فمن هو؟ قال فبكت ثم قالت: يا خليفة رسـول اللّـه بحق الغيـر ألا انصـرفـت عنـي؟! قـال: وحقـه لا أُريـم [1] مكـانـي أو تعلميني!. فقالت:

وأنـا التـي لَعِـبَ الغـرامُ بقلبهَـا ... فَبَكَـتْ بحـبِّ محمـدِ بْـنِ القـاسـم

قال: فسار إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه: وبعث إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب، رضي اللّه عنه، وقال: هؤلاء فِتَنُ الرجال، فكم مات بهن كريم، وعَطب عليهن سليم!!.

٢٩٠ ـ وكان فتى من أهل الكوفة عاشقاً لجارية، وكان أهلها قد أحسوا به فتوعدون ورصدوه، فلم يقدر على الوصول إليها فواعدها في ليلة مظلمة أن تسير إليه. وأتى فتسور عليها حائطاً. فعلم به أهلها فأخذوه وأتوا به خالد بن عبد اللّه القسري وقالوا له: إنه لصٌّ تسوّر علينا من الحائط. فسأله خالد عن ذلك فكره أن يجحد السرقة فيفضح الجارية، فقال: أسارق أنت؟ قال: نعم، أصلح اللّه الأمير.

(١) [illegible]

فأمر بقطع يمينه. وكان للجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطَّلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الأبيات:

أخالدُ قد، واللَّه، أُوطئتَ عشوةً[1] وما العاشقُ المظلومُ فينَا بسارقِ
أقَـرَّ بمَـا لَـمْ يجـنِ عَمْـداً لأنـهُ رأى القطعَ خيراً من فَضِيحَةِ عاشقِ
ولولا الَّذي قد خِفْتُ من قَطْعِ كفِّهِ لألفيتُ في أمرِ الهوى غيرَ ناطقَ
إذا مدَّت الغابات في السبق للعلى فـأنـت ابـن عبـد اللَّـه أوَّلُ سـابـقِ

ثم حذف الرقعة فوقعت في حجر خالد فقرأها ثم أمر بالفتى إلى السجن، وصرف القوم. فلما خلا مجلسه دعا به فسأله عن قصته فعرَّفه، فبعث إلى أبي الجارية فقال: قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه؟ قال: خوفُ العار. قال: لا عار عليك في ذلك، والعار أن لا تزوجه فتكشف أمره!. فسأله أن يزوجه ففعل، فدفع إليه عن الفتى خمسة آلاف درهم، وأمره بتعجيل إهدائها إليه.

٢٩١ ـ سأل رجل بعض العلماء عن الواصلة، فقال: إنك لمنفر. قال، قالت عائشة، رضي اللَّه عنها: ليست الواصلة كما تعْنُون، لأنهم كانوا يقولون: الواصلة هي أن تكن المرأة بغياً في شبيبتها فإذا شابت وصلته بالقيادة. وكانت «كلمة» التي يضرب بها المثل في القيادة صبية في الكتّاب تسرق أقلام الصبيان فلما شبت قادت، فلما أقعدت اشترت تيساً وكانت تنزيه بين يديها.

٢٩٢ ـ ذكر المدائني: أن بعض عمال البصرة كان لا يزال يأخذ قوادة فيحبسها، فيأتي من يشفع فيها فيخرجها. فأمر صاحب شرطته وكتب رقعة يقول فيها: فلانة القوادة تجمع بين النساء والرجال، لا يتكلم فيها إلا زان. فكان إذا كلمه فيها أحد قال: اخرجوا قصتها. حتى إذا قرئت قام الرجل مستحياً.

٢٩٣ ـ وحكى يقظان بن عبد الأعلى قال: رأيت القين يضرب جاريته سلمى المغنية ويقول: جئتني بهدية، حنتني بخلعة قط، هل هو إلا هذا الكرى؟ فهبك لم تقدري على شيء، فما تقدرين على ولد؟. فقالت: هذه المرَّة أجيئك بابن. فقال: يا زانية إن لم تصدقي لأضربنك ألف سوط. فرأيتها بعد ذلك ولها ابن متحرك

(١) العشوة: هي ما بين أول الليل إلى ربعه.

تخدمه. فقلت لها: وقد وفيت لمولاك؟ قالت: نعم، ولكن ما ناكني رجل حتى جاءني هذا الولد! فقال مولاها: صدقت، فهل ينبت الحب إلا أن يزرع؟ فعجبتُ من كشخنة المولى وطيب نفس الجارية.

٢٩٤ ـ وهذا باب، أعزك اللّه، أكثر من أن يحاط به. ولكني اختصرت لك من مِلَح أحاديثهم ما فيه مستمتع. وستقف في الأخر التي أفردناها من أخبار القيان على كثير منه. وقد قالت الشعراء في الرسلِ في الجاهلية والإسلام. ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي:

خليليَّ إنّي مُشْتَكٍ ما أصابني   لِتَسْتَيقِنَا ما قَدْ لقيتُ وتعلمَا
أمِنْتُكُما، إن الأمانةَ من يَخُن   بها يحتمل يوماً من اللّهِ مَأْثَما
فلا تفْشِيا سِرِّي، ولا تخذلا أخاً   أَبَثّكُما منهُ الحديثَ المكتَّما
لتتَّخِذَا لي، باركَ اللّهُ فيكما،   إلى أَهلِ ليلى العامرية سُلَّما.
فإن كانَ ليلاً، فألوناه هُدِيتُما،   وإن خفتما أن تُعرفا فتُلَثَّمَا
وقولا: خرجنَا تاجرَيْنِ فأبطأتْ   ركابٌ تركناها بشدٍ قُيَّما.
فإن أنتما أطمأننتما وأمِنْتُما   وأخلَيْتُما ما شئتما فتكلَّمَا،
وقولا لها: ما تأمرينَ بصاحبٍ   لنَا قد تركتِ القلبَ منهُ متيَّما؟
أبيني لنا إنا رَحَلْنَا مَطِيَّنَا   إليك، وما نرجوكِ إلا تَوَهُّمَا
ألا هَلْ صَدَا، أمٌ الوليد مُكَلِّمٌ   صداي، إذا ماكنت رمساً [١] وأعْظُما

٢٩٥ ـ وقال المأمون لرسول بعث به:

بَعَثْتُك مُرتاداً، ففزتَ بنظرةٍ   وأغفلتَني، حتى أسأتُ بك الظنّا،
وناجيتَ من أهدي وكنتَ مقرباً.   فيا ليت شعري، عن دنوِّك ما أغنى؟
وردَّدت طرفاً في محاسن وجهها،   ومَتعْتَ باستمتاع نغمتِها الأُذْنا.
أرى أثراً منها بعينيك لم يكن،   لقد سرقت عيناك من وجهها حُسْنا.

(١) [illegible]

فيـاليتني كنتُ الرسـولَ فـأشتفـي، وكنتُ الذي يعصي وكنتُ الذي أدنى

٢٩٦ ـ وقال أبو الطيب المتنبي في مثل ذلك:

مـا لَنَـا كلُّنَـا جَـوٍ، يـا رسـولُ، أنـا أهـوَى، وقلبُـكَ المَتبُـولُ [1]

كلمـا عـادَ مَـنْ بعثـتُ إليهـا، غـارَ منـي، وخـانَ فيمـا يقـولُ.

أفْسَـدَتْ بيننـا الأمـانـاتِ عيناها وخـانـتْ قلـوبَهـنَّ العقـولُ

وإذا خـامـرَ الهـوى قلـبَ حـبٍّ فعليـه لكـل عيـنٍ دليـلُ

٢٩٧ ـ وقال بعض المحدثين:

يا سوء مُنْقَلَبِ الرسولِ مخبِّراً بخلاف ظَنِّي
إنِّي أُعيذك أنْ تكونَ شغلتَني وشُغِلْتَ عني

٢٩٨ ـ وأنشد لأبي نواس:

يـا مَـن أتـى مِـن دون حـاجتـه بـابـاً، وأحـرَاسٌ بـه وُكلـوا:

شمِّـر ثيـابـك، قـد شُغلـتَ بمـا لـو عَـمَّ خلـقَ اللّـهِ لاشتغلـوا،

وانظـرُ رسـولاً ذا مـلاطفـةٍ لـولا مـرارةُ غَمِّـه عَسَـلُ

مِمَّـن عليـه غبـاوةٌ، وتَـرَى أفعـالـه كـالنـار تشتعـلُ

لا يحفِلـونَ بـه إذا خـرجـوا الابتـذالَ ولا إذا دخلـوا

٢٩٩ ـ وأنشد أحمد بن عيسى الأهوازي في قوَّادة:

تَكـادُ لـو لـم تكـنْ إنسيَّـةً تجـري مـن الإنسـان مجـرى الـدَّمِ

لا يَعْصِـمُ المِقْـدارَ مـن كيـدهـا محلُّـه فـي المـوضـع الأعْظَـمِ

٣٠٠ ـ وأنشد لآخر أيضاً:

إذا أردتَ أن تُنـاجـيَ غـادةْ مـن الغـوانـي صعبـةَ المنقـادةْ

فـادسـس لهـا عجيـزاً قـوَّادة أدَبَّ فـي الظلمـاء مـن جَـرَادة

قـد انْحَنَـت مـن شـدَّة العِبَـادَة تلـوح فـي جبينهـا السَّجـادة

(١) المتبول: أي المحب أو السقيم.

كـالحسـن البصـري، أو قتـادة ... فـي يـدهـا سُبْحَتُهـا الصيَّـادَة
قـد أَحْكَمَـت مـن شـدَّةِ المـرادة ... قـد ألفـتْ غـرائـبَ القِيـادة
فـإنَّها تَـدْخُـلُ، كـالمـرتـادة، ... بـذكـر كـلِّ غـافـل مَعَـادة
وتَصِـفُ الشقـاءَ والسَّعـادة ... حتـى إذا نُصِبَـتْ لهـا الـوسـادة
ولا حظـتْ عُقْلَـةً وقَّـادة ... ثـم خَلَـت بـالغـادةِ المُـرادة
تـروضهـا بـاللُّجُـمِ المُقَـادَة ... حتـى تـرى طـاعتَهـا سعـادة

٣٠١ ـ وقال أحمد بن أبي طاهر:

فـأرسلتُهـا أمْضَـى مـن السيف مَقْدَمـاً ... وأسـرعَ مـن سيـلٍ بليـل إذا احتفـلْ
تـدبُّ دبيـب النمْـل فـي كـل مَفْصـلِ ... لطـافتُهـا فـي الـرأي والقـول والحيَـلْ
يَـذِلُّ لهـا الصعـب الجمـوحُ قيـادَه ... وتهـدي إلـى طُـرق الضـلال فـلا تَضلْ
يـرى الفَطِـنُ الـداهـي عليهـا عبـادة ... إذا مـا رآهـا وهـي أخْتـلُ مـن ختـل [1]
يـؤلِّـفُ بيـن الأُسْـدِ والشـاءِ لطفُهـا ... ويستنزلُ العَصْماءَ من شعَفِ [2] القِلَل [3]
ولـو أنهـا شـاءت، بـأهـون سعيهـا، ... لألَّفـتِ الـذئـبَ الأزل مـع الحَمَـلْ
ولـو جَبَـلٌ رامـت إزالـةَ ركنـهِ ... بِـرِقْيَتِهـا يـومـاً لـزالَّ بهـا الجَبَـل
يغـرُّ العيـونَ زهـدُهـا وخشـوعهـا ... وتسبيحُهـا عنـد الشـروق وفـي الأَصَـل
تُسَهِّـل مـا قـد كـان وعـراً طـريقـه ... وتفتـح مـا قـد كـان غلْقـاً ومـا قَفَـلَ

٣٠٢ ـ وأنشد لابن بشير:

وزولـةُ فـي الـذي رامـتْ يتـاحُ لهـا ... مـن التَّجـارِبِ أسبـابُ المقـاديـرِ
لا تحـزر الخَـوْدُ منهـا أن تـدبَّ لهـا ... مشيَّـدَ محكـمَ البنيـانِ والسـورِ
كـأن فـي قلـب مـن يصغـي لمنطقهـا ... مـن حَـرِّ مـا نَعَثَـت لسْـبُ الـزنـابيـر

---

(١) ختل: أي خدع.
(٢) مشعف: أي أعلى الجبل.
(٣) القلل: جمع قلالة وهي قمة الجبل.

أخفى من الروح في تأليف مَعْصِيةِ إذا تـأملـتَ مـن لطـف وتقـديـر
قد ناطَتِ الدهرَ مصباحاً بمعصمها تُشيمُهـا بـذوات البـر والخِيـر
خَلَت بـواضحـةِ الخـديـن مُخطفـةٍ كغصـن بـانٍ رشيـقِ القـدِّ ممطـورِ
بـاتـتْ تعلِّمهـا فـي طـول ليلتهـا تقـاربَ الخطـو فـي مَيـل وبـاطيـرِ
رفقـاً، وتقليبَ عين عنـد كـل فتًى يـرنـو بمقلتهـا أنفسـاً مبهـور
مـا زلـتُ أسـألُهـا حظـاً وتـرفـعُ لـي في السَّوم، حتى أجابت بعد تعسيرِ
لبـذل أصغَـر، دهـراً كنـت أذخُـره، أزهـو بـرؤيتـه زهْـوَ الميـاسيـر

٣٠٣ ـ وأنشد لإسحاق بن خلف البصري:

لـو أن رُقْيَتَهـا فـي صخـرةٍ نَطَقـتْ أو أذن خرساء أضحت غيرَ خرساء
أخفى من الروح إذ دبَّت لحاجتها ولـو تشـاءُ مشـتْ رفقـاً علـى المـاء

٣٠٤ ـ وأنشد الخمّار:

ظَلَـمَ النـاسَ، حسبُنـا، ورمـوه بـالكبـائـر
مـا لَـهُ عيـبٌ سـوى، إصـلاحِـه بيـنَ العشـائـرْ

٣٠٥ ـ وأنشد لعبد بن وهب:

قالوا ابنَ عثمةَ قوادٌ. فقلت لهم: كـذبتُـم، مـا أبـو حفـصٍ بقـوّادِ
لكنـه رجـلٌ يُخْليـكَ منـزلَـه بـالـدرهميـن ومـا يَبْقَـى مـن الزَّادِ

٣٠٦ ـ وأنشد ابن الأعرابي:

هـل مـن رسـول لطيـفِ إلـى غـزالٍ عنيـفِ
لـه سـريـرةُ ذئـبٍ وسَمْـتِ قِـسٍّ عفيـفِ
تَكَـامَـلَ الظُّـرفُ فيـه ففـاق كـلَّ ظـريـفِ

٣٠٧ ـ ومن ملح ما قيل في هذا المعنى قول ابن الدمينة:

خليلـيَّ سِيـرا مسعـديـن فَسَلِّمـا على حـاضـرِ المـاءِ الـذي تَـردان
ومُرَّا فقـولا: نحـن نطلـبُ حـاجـةً ومـرَّا فقـولا: نحـن منصـرفـان

الباب الثامن

باب ما جاء في النساء

٣٠٨ ـ إذا كانت المرأة ضخمة في تعمّد وعلى اعتدال فهي: رمجلة. فإذا زاد ضخمها ولم تُقبح فيه: مَسبحلة. فإذا كانت طويلة قيل: جارية سبطة وعيطبول. فإذا كانت بها مسحة من جمال فهي: جميلة ووضيئة. فإذا أشبه بعضها في الحسن بعضاً فهي: حَسَّانة. فإذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي: غانية. فإذا كات لا تبالي أن تلبس ثوباً حسناً ولا قلاة فاخرة فهي: معطال. فإذا كان حسنها ثابتاً كأنها وسمت به فهي وسيمة. فإذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي: قسيمة.

وقالوا:

وقال الصباحةُ في الوجه الوضاءة في البشرة. الجمال في الأنف. الحلاوة في العينين. الملاحة في الفم. الظرف في اللسان. الرشاقة في القدّ. اللباقة في الشمائل. كمال الحسن في الشعر.

والمرأة الرعبوبة: البيضاء. الزهراء: التي يضرب بياضها إلى صفرة كلونُ القمر والبدر. والهجان: الحسنة البياض.

والمرأة طفلة ما دامت صغيرة؛ ثم وليدة إذا تحركت؛ ثم كاعب إذا كعب ثديها؛ ثم ناهد إذا زاد؛ ثم مِعصر إذا أدركت؛ ثم خود إذا توسطت الشباب.

والزجَّاء: الدقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما خطا بقلم. والبلج: أن يكون بينهما فرجة، وهو يستحب، ويكره القرن وهو اتصالهما. والدعج: أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة. والبرج: شدة سوادهما وشدة بياضهما. والنجل: سعتهما. الكحل: سواد جفونهما من غير كحل. الجور: اتساع سوادهما.

الشنبُ: رقة الأسنان واستواؤها وحسنها. الرتل: حسن تنضيدها واتساقها. التفليج: تفرج ما بينها. الشتت: تفرقها في غير تباعد في استواء وحسن يقال منه، ثغر شتيت. الأشر: تحديد في أطراف الثنايا يدل على الحداثة. الظَّلم: الماء الذي يجري على الأسنان من البريق. الجيد: طول العنق. التلعُ: إشرافها.

وإذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي: خُود. فإذا كانت جميلة الوجه حسنة المعري فهي: بهكنة. فإذا كانت دقيقة المحاسن فهي مملودة. فإذا كانت حسنة القد، لينة العصب: فهي: خرعبة. وإذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضاً فهي: مبتلة. فإذا كانت لطيفة البطن فهي خمصانة. فإذا كانت لطيفة الكشحين فهي: هضيم. فإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي: ممشوقة. فإذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي: عطبول. فإذا كانت عظيمة العجيزة فهي: رداح. فإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهي خدلجة. فإذا كانت سمينة ترتج من سمنها فهي مرمادة. فإذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة فهي برهرهة: فإذا كانت كأن الماء يجري في وجهها فهي: رقراقة. فإذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي: بضة. فإذا عرفت في وجهها نضرة النعيم فهي: نظرة. فإذا كان فيها فتور عند القيام لسمنها فهي: أناة ووهنانة. فإذا كانت طيبة لريح فهي بهنانة. فإذا كانت عظيمة الخلق مع جمال فهي عرهرة. فإذا كانت ناعمة جميلة فهي: عبقرة. فإذا كانت مثنية للين وتعمُّد فهي: غيداء وغادة. فإذا كانت طيبة الفم فهي: رشوف. فإذا كانت طيبة ريح اليد فهي: أنوف. فإذا كانت طيبة الخلوة فهي: رصوف. فإذا كانت لعوباً ضحوكاً. فهي: شموع. فإذا كانت تامة الشعر فهي: فَرعاء. فإذا لم يكن لمرفقيها حجم من سمنها فهي: دَرماء. فإذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها فهي: لفَّاء.

فإذا كانت حييّة فهي: خَفِرَة وخرِّيدة. فإذا كانت منخفضة الصوت فهي: رَخِيمة. فإذا كانت محبة زوجها متحببة إليه فهي: عَروب. فإذا كانت نفوراً من الريبة فهي: نَوَار. فإذا كانت تجتنب الأقذار فهي: قذُور. فإذا كانت عفيفة فهي: حِصان. وإذا كانت عاملة الكفين فهي صَنَاع.

فإذا كانت كثيرة الوُلْد فهي: بَنُون. فإذا كانت قليلة الولادة فهي: نَزُور. فإذا

كانت تلد الذكور فهي: مِذْكار. فإذا كانت تلد الإناث فهي: مِئْناث. فإذا كانت تلد مرة ذكراً ومرة أنثى فهي: مَهَاب. فإذا كانت لا يعيشُ لها ولد فهي: مِقلات. فإذا كانت تلد النجباء فهي: مِنْجاب. فإذا كانت تلد الحُمَقاء فهي: مُحْمِقَة.

فإذا كانت يغشى عليها عند الجماع فهي: رَبُوخ. والممكورة: المطوية الخلق. واللَّدنَة: الليِّنَة الناعمة. والمُقصدَةُ: التي لا يراها أحد إلا أعجبته. والخبرنجة: الجارية الحسنة الخَلق في استواء. والمُسَبطِرَّة: الجسيمة. والعَجزَاء: العظيمة العجيزة. والرُّعبُوبة: الرطبة. والرَّجرَاجَة: الدقيقة الجلد. والرتكة: الكثيرة اللحم؛ والطفلة الناعمة. والرُّود: المتثنية اللينة. والأملُود: الناعمة: ومثلها الخرع ـ مأخوذ من نبت الخروع وهو نبت لين ـ والبارقة: البيضاء الثغر. والدهثمة: السهلة. والعاتق: التي لم تتزوج. والبَلهاء: الكريمة، والمفضَّلة عن السُّرة الغريرة. والعَيطمُوس: الفَطِنة الحسناء. والسلهبة: الخفيفة اللحم، والمجدولة الممشوقة. والسُّرعُوفَة: الناعمة الطويلة. والفيصاء والعفَّاء: الطويلة العنق. والتهنانة أيضاً: الضحاكة المتهللة. والغَيلَمُ: الحسناء. والخليقُ: الحسنة الخلُق؛ وقال الفرَّاء هي أحسن الناس حيث نظر ناظر، أي هي أحسن الناس وجهاً. وقال أبو عمرو: ويقال للمرأة إذا كانت حسناء: كأنها فرس شرهاء ـ والشرهاء: الحديدة النفس ـ وامرأة حسنة المعارف ـ ومعارفها: وجهها ـ والمتحرية: الحسنة المشية في خيلاء. والشموس: التي لا تطمع الرجل في نفسها، وهي الذّعُور. وامرأة ظمياء: إذا كانت سمراء وشفة ظمياء كذلك. ويقال إنها لحسنة العَطل أي الجسم. ويقال عَبِقةٌ أي التي يشاكلها كل الناس.

ونذكر اختلافات الناس في الثدي والعجز والمجدولة من النساء والضخمة الطويلة، والغضيضة. واختلاف شهواتهم في الممسوحة والمفلكة والكاعب والناهد والمنكسرة، ومن استحسن الثدي الضخم الذي يملأ الكفين، ومن ذم ذلك.

٣٠٩ ـ وممن وصف الشحم عبد بني الحسحاس حيث يقول:

تُوَسِّدُني كفاً وترفعُ مِعْصَمَاً … عليّ وتحنو رجلها من ورائيا

أميلُ بها مَيل النزيف، وأتّقي … بها القطر، والشقّان مِنْ عَنْ شماليا

فسحيم لم يتخذها هدفاً تستر عنه الريح والقطر إلا وهي في غاية الضخم.

٣١٠ ـ **وقال أبو عبيدة:** دخل مالك الأشتر على علي بن أبي طالب، رضي اللّٰه عنه، في صبحة بنائه على نسائه فقال: كيف وجد أمير المؤمنين أهله! قال كالخير من امرأة، لولا أنها خنَّاء قبَّاء قال: وهل يريد الرجال من النساء إلا ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: كلا، حتى تدفىء الضجيع، وتروي الرضيع.

٣١١ ـ وهذا يدل على العجب بالضخم والشحم. وأكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدّمون المجدولة، فهي تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة مع جودة القدّ وحسن الخرط [١]. ولا بد أن تكون كاسية العظام. وإنما يريدون بقولهم مجدولة جُدولةَ العصب وقلة الاسترخاء، وأن تكون سليمة من الزوائد والفضول، لذلك قالوا خمصانة وسيفانة، وكأنها جَدل عنان وغصن بان وقضيب خيزران.

والتثني في مشية المرأة أحسن ما فيها. ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة. ووصفوا المجدولة فقالوا: أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب.

وقال بعض الأعراب:

لها قسمةٌ من خَوْطِ بانٍ ومن نَقىً ... ومن رَشَأ الغزلانِ ومَذْرَفُ
يكادُ كليلُ الطَّرْفِ يَكَلُمُ خدَّها ... إذا ما بدت من خِدْرها حين تطرِفُ

وقال آخر:

ومجدولةٍ جدلَ العنانِ إذا مَشَت ... تَنُوءُ بِخَصْرِيها ثِقَالُ الروادف

وقال آخر:

ومجدولةٌ، أما مجال وِشاحِها ... فَغَضٌّ، وأما رِدْفها فكثيب؛
لها القمرُ الساري نصيبٌ، وإنها ... لَتَطْلَعُ أحياناً له فيغيب

وقال أبو نواس. وقد أحسن ما شاء:

---

(١) الخرط: هو نحافة الجسم.

أَحْلَلْتُ من قلبي هواكِ محلَّةً ... ما حَلَّها المشروب والمأكولُ

بكمالِ صورتِك التي في مثلها ... يتحيَّرُ التشبيهُ والتمثيل

فوق القصيرة، والطويلةُ فوقها؛ ... دُونَ السمين، ودُونها المهزول

وأما قولُ الأعشى حيث يقول:

غَرَّاء فَرْعَاء [1] مصقولٌ عوارضُها ... تمشي الهُوَيْنا كما يمشي الوجي الوجلُ

كأنَّ مِشْيَتَها من بيتِ جارتِها ... مرَّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقد وصفها كما ترى بالضخم، ولكنه يذكر أفراطاً.

وقال الأحوص:

من المُدْمَجاتِ اللحمِ جَدْلاً كأنها ... عنانٌ ضاع أنعمَتْ أن تُجَوَّدا

٣١٢ ـ قال أبو عثمان الجاحظ: كان أبو معمر بن هلال يقول: عذرت الرجلَ الطويل الأير حتى يتمناها ضخمة. ولكن ما عذر الصغير الأير في ذلك؟

٣١٣ ـ وفي اختلافهم في الثدي، أنشد للمرار بن سعيد:

صلبةُ الخَدّ طويلٌ جيدُها ... سَجْمَةُ الثدي [2] ولَمّا ينكسر

وقال النابغة في النهود:

يَخطُطْنَ بالعيدان في كل مقعدٍ ... ويَخْبَأْنَ رمان الثَّدِيِّ النواهد

وأنشد لمسلم بن الوليد:

فأقسمتُ أنْسَى الداعياتِ إلى الصِّبَا ... وقد فَجَأْتْها العينُ والشرُّ واقع

فغطَّت بأيديها ثمارَ صدورها ... كأيدي الأساري أثقلتها الجوامع

٣١٤ ـ وذم أعرابي امرأة فقال: واللّه ما بطنها بوالد، ولا شعرها بوارد، ولا ثديها بناهد، ولا فوهها ببارد.

٣١٥ ـ وكتب الحجاج بن يوسف إلى الحكم بن أيوب قال: إخطِب على

---

(١) فرعاء: كثيرة وغزيرة الشعر.

عبد الملك امرأة جميلة من بعيد، مليحة من قريب، شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، أَمَةٌ لبعلها. فكتب إليه: أصبتها، وهي خولة بنت مسمع، لولا عِظَم ثدييها! فكتب إليه الحجاج: لا يحسن بدنُ المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفي الضجيع، وتروي الرضيع.

٣١٦ ـ وقال آخر يذم عِظَم الثدي:

لعمــري لَبِيــضٌ يَختَلِلْــنَ بقفــزةٍ ... لَطَائِفُ ثدي الصدرِ غِيْدُ [١] السوالفِ [٢]

أحــبُّ إلينــا مــن ضخــامٍ بطــونُها ... لآبــاطها تحــت الثُّــدِيِّ تعــاطــفِ

٣١٧ ـ وقال آخر في الممسوحة التي لم يبد بصدرها شيء:

وعُلِّقتُ ليلى وهي بِكْرٌ خَرِيدَةٌ ... ولم يَبْدُ للأترابِ من ثديها حجمُ

صَغِيرَيْن نَرْعَى ٱلْبَهْمَ، يا ليت أنني ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البَهْمُ

وقال نصيب:

ولــولا أن يُقــال: صَبَــا نصيــبٌ. ... لقلــت: بنفســيَ النُّشْــوُ الصغــارُ

بنفســي كــلُّ مهضــومٍ حَشَــاهــا ... إذا ظلمــت فليــسَ لهــا انتصــارُ

إذا مـا الـزُّلُّ [٣] ضـاعفـنَ الحشَـايـا ... كفَــاهــا أنْ يُــلاثَ بِهــا الإزارُ

وقال ذو الرمَّة:

بعيــداتٌ مهــوى كــلِّ قــرطٍ عقــدْنَــهُ ... لطافُ الحشا تحت الثُّدِيِّ الفوالك [٤]

وذكر آخر ابتداء النهود فقال:

نَظَـرْتُ إليهـا نظـرةً وهـي عَـاتِـقٌ ... علـى حيـن شبَّتْ واستبـانَ نُهُـدُهَـا

٣١٨ ـ وليس في الحيوان شيء واسع الصدر غير الإنسان. ولا في جميع الحيوان أنثى في صدرها ثدي إلا المرأة والفيلة، وكذلك الرجل. والعرب تمدح

(١) غيد: هو تمايل وتثني في لين ونعومة.
(٢) السوالف: جمع سالفة وهي جانب العنق.
(٣) الزل: من قل لحم عجيزها وفخذها.
(٤) الثدي الفوالك: أي الثدي المستدير.

الرجال والنساء بطول الأعناق. قال الشاعر:

ومن كلِّ شيءٍ قد قَضَيْتُ لُبَانتي سوى ضخم أعجازٍ ثِقَال الروادفِ
وهَضْـرِيَ أعنـاقـاً تليـنُ وتنثنـي كما كانَ خيطانِ الأراكِ الصَعَائفِ

٣١٩ ـ **وقيل لإبراهيم بن النظام**: أي مقادير الثدي أَحْمَدُ؟ قال: وجدت الناس يختلفون في الشهوات، وسمعت اللّٰه تبارك وتعالى حين وصف حور العين جعلهن كواعب أتراباً، ولم يقل فوالك ولا نواهد. وقالت العرب: يسار الكواعب. ولم تقل يسار النواهد ولا يسار الفوالك.

ولم أرَهم يختلفون في مدح عظم الركب كما اختلفوا في مقادير الثدي في طول الأعناق. يقول الشمردل.

ويُشْبِهُـون ملـوكـاً فـي مهـابتِهـمْ وطـولُ أنْصِبـةِ الأعنـاقِ والأُمَـمِ [1]

وقال آخر:

طِـوالُ أنْصِبَـةِ الأعنـاقِ لـم يجـدُوا ريـحَ الإمـاءِ إذا رَاحَـتْ بـأذْفـارِ

٣٢٠ ـ وهو حَسَنٌ ما لم يطل جدّا، فإذا أفرط كان عيباً. كما عيب بذلك واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فسمي عنق نعامة، وعيب بذلك جعفر بن يحيى البرمكي، وكذلك قال فيه الحسن بن هانيء:

ذاكَ الـوزيـرُ الـذي طـالـتْ عِـلاوتُـه كـأنَّـه نـاخـرٌ فـي السيـفِ بـالطُّـولِ

وقد زعموا أنه أول من اتخذ هذه الأطواق العراض، فاستحسنها الناس بعده، فاتخذوها.

٣٢١ ـ وفي صفة الأعكان يقول يزيد بن معاوية:

لهـا عُكَـنٌ بيـضٌ كـأنَّ غضـونَهـا إذا شفَّ عنها السابريُّ [2] فداحُ [3]

وقال أبو الطيب المتنبي:

---

(١) الأمم: هو الحسن القامة.
(٢) السابري: الثياب الرقيقة الجيدة.

يَضمُّها المسكُ ضمَّ المستهامِ بِها حتى يصيرَ على الأعكانِ أعكانَا

وقال آخر:

غرَّاءُ واضحةٌ أقرابَ خرعبةٍ [(١)] طوعَ العِناقِ فلا بِكْرٌ ولا نَصَفُ

وقال النابغة الذبياني:

والبطنُ ذو عَكِنٍ لطيفِ طيُّه والنحرُ ينفجُهُ [(٢)] بِثَدْيٍ مُعَقَّدِ

محطوطةَ المتنينِ غيرَ مفاضةٍ ريَّا الروادفِ بِضَّةَ المتجرِّدِ

وإذا لمسْتَ، لمسْتَ أَجْثَمَ جاثِماً مُتَحَيِّزاً بمكانِهِ ملءَ اليدِ

وإذا نَزَعْتَ، نَزَعْتَ عن مستحصَفٍ نَزْعَ الحزوَّر بالرِّشاء المَحْصَّدِ [(٣)]

وأنشد لأعرابي آخر:

لما رأتْ أنَّ الرحيلَ قد حانْ قامت تَهادى في رقيقِ الكتَّانْ

بواضحِ الوجهِ قليلِ الخيلانْ وَعُكْنٍ مثلَ متونِ الغزلانْ

وقال الفرزدق:

إذا بَطَحَتْ فوق الأثافي رَفعْتُهَا بثَدْيَيْنِ في صدرٍ عريضٍ وَكَعْثَبِ

فزعم أنها إذا بَطحت على وجهها لم تمس الأرض بشيء من سائر جسدها إلا نهود ثدييها وعظم رَكبها فصارت لبدنها كأثافي القِدر.

وقال عبد بن الحسحاس:

من كلِّ بيضاءَ لها كعثبٌ مثلُ سَنَامِ البكرةِ المائلِ

٣٢٢ ـ وحَلف ابن مطيع الليثي الشاعر أن جاريته خردانة كانت تستلقي على ظهرها فتشخص كتفاها ومنكباها حتى لقد كان يتدحرج الرمان الأترج من تحت خصريها.

---

(١) خرعبة: هي المرأة الشابة الخَلْق الناعمة.

(٢) ينفجه: يرفعه.

(٣) المحصد: أي الملين.

٣٢٣ ـ قالوا: كانت الزباء بنت عبد اللّه تصب جرّة الماء على رأسها فلا يصيب فخذيها للبد عجيزتها.

وقال الشاعر:

نَفْـج الجفينـةِ لا تَـرى لِكُعُـوبَهـا حَجْماً وليسَ لِسَاقها ظُنْبُوبُ [1]

عَظُمَـت روادفُهـا وسَهَّـل وجهُهـا والـوالـدانِ نَجِيبَـةٌ ونَجِيـبُ

٣٢٤ ـ ومن مليح ما قيل في هذا، قول الأعرابي:

أبَـتِ الـروادفُ والثُّـدِيُّ لقَمْصِهَـا مَـسَّ البطـونِ وأن تمـسَّ ظُهُـورَا

وإذا الـريـاحُ مـعَ العِشـيِّ تنـاوحَـتْ نَبَهْـنَ حـاسـدةً وهِجْـنَ غَيُـورا

٣٢٥ ـ والعرب تمدح الملوك بسعة العيون كما يصفون ذلك النساء ويستحسنونه قال ذو الرمة:

ومختلـقٌ للملـكِ أبيـضَ قـد غَمَـزْ أشَـمَّ أَلَـجَّ العَيْـنِ كـالقمـرِ البـدرِ

لما أُنشد بشار بن برد قولُ الشاعر:

ألا إنمـا ليلـى عَصَـا خَيْـزَرَانَـةٍ إذا لَمَسُـوهَـا بـالأكـفِّ تليـنُ

ضحك بشار في قوله: «عصا خيزرانة» وقال: لو زعم أنها عصا رند أو عصا نَدّ لهجنَّها وكان ذلك خطأ بعد أن جعلها عصاً. فهلاّ قال كما قلت:

إذا قـامـتَ لسُبْحَتِهَـا تَثَنَّـتْ كـأَنَّ عِظَـامَهَـا مِـنْ خَيْـزَرَانِ

٣٢٦ ـ وكانت ميمونة عند هشام بن عبد الملك، خلف عليها بعد العزيز قال. لو أن رجلاً ابتلع ميمونة ما اعترض في حلقه منها شيء للينها. وقال بشار:

إذا مشـتْ نحـو بيـتِ جـارتِهَـا خلـتْ مِـنَ الـرَّمْـلِ خَلْفَهَـا حُقَـفُ

يـرتـجُ مـن مِـرْطِهَـا مـوزرهـا وفـوقَـه غُصْـنُ بَـانَـةٍ قَصِـفُ

٣٢٧ ـ وقد قيل في الضخمة:

قليلـةُ لحـم النَّـاظـريـنَ يَـزِيْنُهَـا شَبَابٌ ومخفوضٌ من العيش باردُ
أرادتْ لتَنْتَـاشَ الـرُّواقَ فلـم تَقُـمْ إلَيْـهِ وَلَكِـنْ طَـأْطَـأَتْـهُ الـوَلاَئِـدُ

وقال آخر أيضاً:

ضـوءُ بـرقٍ بـدا لعينيـك أم شبَّت بـذي الأثـل مـن سـلافَـة نـارُ
أوْقـدتُهـا المِسـكِ والعنبـرِ اللـدن فتـــاة يضيـــقُ عنْهَـــا الإزارُ

وأنشد أيضاً:

وتُـبْـدِي على المتْنِ مِنْ شَعْرِهَـا عـنـاقيـدَ كَـرْمٍ تَـدَلَّـينَ سُـودَا
ويجـري السِّـوَاكُ عَلَـى بـاردٍ لـذيـذٍ مِـنَ الـدُّرِ يُبْـدِي نَضِيـدَا
ومـا زَانَهـا العِقْـدُ لكنَّهَـا تَـزِيـنُ بِـالنَّحْـرِ مِنْهَـا العُقُـودَا
كشَمْـسِ الضُّحَـى بيـنَ أَتْـرَابِهَـا مـوافيـنَ يـومـاً ليشْهَـدْنَ عِيـدَا
فكـم مـن قتيـلٍ بتلـكَ العيـونِ وَكَـمْ مِـنْ قَتَيـلٍ تـولَّـى عَمِيْـدَا
فـإن يـكُ عنـي قَسَـا قلبُهـا فلـم يجعـل اللَّـهُ قلبـي حَـدِيـدَا
أُعِيـذُكِ بـاللَّـه أن تُشْمِتـي بنـا واشيـاً أو تطيعـي حَسُـودَا

٣٢٨ ـ وقال جران العود، وقد تزوج فلقي منها برحاً، وكانت حسنة الشعر فقال:

ألاَ لا يَغُـرَّنَّ امـرؤٌ نـوفليَّـةً على الرأسِ منها أو تَارئبُ وُضَّحُ
ولا فـاحـمٌ يشفـي الـدهـانَ كـأنـه أسـاودَ يـزهَـاهَـا بعينيـكَ أفطـحُ

وأنشد لآخر:

لا تَنْـهِ قلبـكَ أن يتـوقَ إلـى الحِمـا إن القلـوبَ إلـى سعـادَ تتـوقُ
فَـرْعـاءُ تَسْحَـبُ مـن قيـامٍ شعـرَهـا وتغيـبُ فيـه وهـو جَثْـلٌ مُـوِنـقُ
فكـأنَّـه ليـلٌ عليهـا مُغْـدِفٌ وكـأنَّهـا فيـهِ نهـارٌ مُشْـرِقُ

وأنشد آخر:

مَقْـدُورَةٌ مـا أنْ لهـا مِثْـلُ لـي عنـدهـا العَبْـراتُ والخَبْـلُ

فلِشعرِها مِنْ شعرِها زَجَلٌ ولعينها من عينها كَحَلُ
إن شئتَ قلتَ، إذا هي انصرفت، بين الروادفِ والحَشا نَصَلُ

٣٢٩ ـ وأنشد لآخر وذكر طول العنق:

وأعجبتي فيها غَداة لَقِيتُها تَبلبلُ أرداف لها ومَحَاجِرُ
وجيدٍ كأملود الرخامي رعايةً بمنهلّه صبت عليه الغدائرُ

٣٣٠ ـ وقد وصفوا الأفواه والريق والشفاه قال بعضهم:

ومُقَبَّلٍ عذبِ المذاق كأنه بَرَدٌ تحدَّر من غَمامٍ ماطر
هنَّ الدواء لدائنا، وشفاؤنا كن كل داء باطنٍ أو ظاهرِ

وقال ذو الرمّة:

لمياءُ في شفتيها حوةٌ لعس وفي اللّثاة وفي ينابها شَنَبُ

٣٣١ ـ والعرب بزعمون أن أطيب الأفواه أفواه الظباء؛ كما أن أبعارها أطيب رائحة من سائر الأباعر. ويزعمون أن ليس في السباع أطيب أفواهاً من الكلاب، وفي الناس أطيب أفواهاً من الزنج. ويزعمون أن علة ذلك كثرة الريق، لأن علة الخلوف، جفوف الريق، والبخر [1] يحدثه الكبر وقد اعترى اشرافاً من الناس.

٣٣٢ ـ قال: سارر أبو الأسود الدؤلي عبيد اللّه بن زياد، فلما أدنى فاه من أنف عبيد اللّه خمر أنفه عبيد اللّه فجذب أبو الأسود يده فنحاها، وقال. إنك واللّه لن تسود حتى تصير لسرار الشيخ البخر. فعجب الناس من جلده ومراسه. والأفواه الموصوفة بالنتن أفواه الأسود وأفواه الصقور.

٣٣٣ ـ والشعوبية وغيرهم ينهون عن السواك. وقالوا: إنما يعتري الخلوف من يستاك، والمرة [2] من يكتحل والشعث من يدَّهن. وزعموا السواك يقلل الأسنان ويأكل ما عليها من اللحم، أعني اللثة، ويذهب العمور التي بينها ويرخيها.

---

(١) البخر: نتن رائحة الفم.

وقال حسين بن مطير [١]:

بمرتجَّة الأرداف هِيْفٍ خُصُورُها ... عِذَابٌ ثناياها عِجَافٌ قيودها

يريد أنها صلاب عجاف غير وارمة ولا مسترخية والسواك يوهنها ويزيلها عن أماكنها.

٣٣٤ ـ وزعموا أن السواك يجلب ماء الوجه فيغني على الأيام نضرة اللون وحمرة الوجنات، كما يصنع طول رضاع الطفل في لبِة المرأة وفي لون وجهها فإذا تحلب الماء المستكن في الغلاصم [٢] والأفواه أعقب ذلك في الأفواه جفوفاً، فإذا جفت لعدم الريق أورثها خلوفاً. فقال من ردّ على هؤلاء: قد علمنا أن من أعظم الأمم التي عليها مدار الأمور في العقل والعلم والرضا قد اجتمعوا على السواك والخضاب فلو كان السواك يورث البخر لم تكن هاتان الأمتان مع ما فيهما من بعد الغور وشدَّة الغزل بالنساء والتقرب إلى قلوبهن والاستهتار بهن ليجهل هذاالقدر من العيب الفاحش. فمن أحب أن يعرف إفراط العرب في الغزل والصبابة بالنساء فليقرأ أشعارهم وأحاديثهم الإسلامية، وليقرأ كتب الهند في الباه. ولو تتبعت أشعارهم في استعمال النساء للسواك لطال به الكتاب.

٣٣٥ ـ وعن عمر بن دينار، قال: سمعت الحسن بن علي، عليهما السلام يقول لذريح بن سنة: حَل لك إن فرقت بين قيس ولبني! أما إني سمعت عمر بن الخطاب، رضي اللّه عنه، يقول: ما أبالي مشيت إلى الرجل بالسيف أو فرقت بينه وبين امرأته!

٣٣٦ ـ قال الزبير بن بكار: دخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت: أقسمت عليك بأي شيء وعدت كثيراً حيث يقول:

قضى كلُّ دَيْنٍ فوفّى غريمَهُ ... وعَزَّةَ ممطولٌ مُعَنى غريمُها

(١) هو: الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي، مولىٰ بني أسد بن خزيمة، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، فصيح متقدم في الرجز والقصد، من فحول المحدثين انظر: معجم الأدباء: ١٦٦/١٠.

(٢) الغلاصم: جمع غلصمة وهو الحلق.

قالت لها: وعدته فمطلته سنة، فلما ألح في التقاضي هجرته، فضمني وإياه طريق بعد حين فاستحييت منه فقلت: حياك اللّه يا جمل، ولم أحيه، فقال:

حَيَّتْكَ عزَّةَ بعد الهجر وانصرفت   فَحَيي ويْحَكَ من حَيَّاك يا جَمَلُ

ليت التحيةَ كانت لي فأجعلَها   مكان: يا جملٌ؛ حيَّاك يا رَجُلُ

وهو على تقاضيه إلى اليوم. قالت: أقسمت عليك، ألا قضيته إياه وإثمه في عنقي؟

٣٣٧ ـ أبو عبيدة قال: كان بأرض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابن عم لها فبذل لها أربعة آلاف درهم، فأبى أبوها أن يزوجها منه، وأجدبت البادية، فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا إليه ما يلقى. فقال له. قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهم، فأعطنا إياها، فأنت أحب إلينا لقرابتك. قال له: أجلني شهراً. فأجله، ولم يكن مع الفتى إلا ناقة، فركبها ومضى إلى عبد الملك بن مروان فطلب الإذن فلم يؤذن له. فقال: إني رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز. فأدخل عليه من ساعته. قال: معك كتاب من فلان؟ قال: لا، قال: فرسالة؟ فانشأ يقول:

ماذا يقولُ أميرُ المؤمنينَ لِمَنْ   أدْلَى إليك بلا قُربى ولا سَبَبِ

مُدَلَّهٌ، عقلُه من حُبِّ جاريةٍ   موصوفةٍ بكمال الحُسْنِ والأدبِ

خَطَبْتُها إذ رأيتُ الناس قد لَهَجُوا   بذكرها، والهوى يدعو إلى العَطَبِ

فقلت، لي حَسَبٌ زاكٍ، ولي شرفٌ   قالوا: الدراهم خيرٌ من ذوي الحَسَبِ،

إنا نريد ألوفاً منك أربعةً   ولستُ أمْلُك غيرَ الحِسِّ والقَتَبِ

فامْنُنْ عليَّ، أميرَ المؤمنين، بها،   واجمع بها شَمْلَ هذا البائسِ العَرَبِ

فما وراءك، بعد اللّه، مُطَّلَبٌ،   أنت الرجاء وأقصى غاية الطلب

فضحك عبد الملك وأمر له بأربعة آلاف درهم، وقال هذا صداق أهلك، وزاده أربعة أخرى وقال له أو لِم بهذه، وأنفق عليها منها فقبضها ومضى، فتزوج بالجارية.

٣٣٨ ـ وكان إسحاق بن سليمان بن علي شاباً ظريفاً، محباً للشعر. فخرج ذات يوم، وأبوه يلي البصرة، لأبي جعفر المنصور، متنزها إلى ناحية البادية. فلقي أعرابياً فصيحاً إلا أنه شاحب اللون، مصفراً، ظاهر النحول فاستنشده، فمضى عنه، فقال له: ما بالك، فواللّه، إنك لفصيح! قال له أما ترى الجبلين؟ قال: قلت: بلى. قال: في طلابهما ما شغلني عن إنشادك. قلت: وما ذاك؟ قال: ابنة عم لي قد تيمتني، وأذهلت عقلي، وتاللّه أنه يأتي علي لا أدري أفي السماء أنا أم في الأرض. قال: قلت وما يمنعك منه؟ قال: قِلُّ ذات يدي!. قلت: وكم مهرُها؟ قال: خمسون ناقة. قال: قلت: فيزوجونك إذا دفعتها؟ قال: نعم. فقلت له أنشد لي مما قلت فيها! فأنشدني:

سعى العلمُ الفردُ الذي في ظلاله غَـزَالاَن مكحـولان يـرتعيـان
أرَعْتُهمـا صيـداً فلـم استطعهمـا وخَبْـلاً ففـاتـانـي وقـد خَبَـلانـي

قال، فقلت: يا أعرابي، لقد قتلتني بقتلك، فنفيت من العباس إن لم أقم بأمرك. فرجع إلى البصرة فأخذ جماعة من أهله وما احتاج إليه وحمل معه الأعرابي، وسار إلى الجارية فخطبها إلى الفتى، فزوجه، وساق إليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام نَحَر فيها ثلاثين جزوراً، ووهب للأعرابي وللجارية مثل ذلك، وانصرف إلى البصرة.

٣٣٩ ـ **قال نفطويه**: لما فرغ المهدي من بناء قصره ركب للنظر إليه، فدخله فجأة وأخرج من هناك من الناس، فبقي رجلان خفيان عن أبصار الأعوان، فرأى المهدي أحدهما وهو دهش مما يفعل فقال له: ممن أنت؟ قال: أنا أنا قال: ويلك: لا أدري! قال: لك حاجة؟ قال: لا. قال أخرجوه أخرج اللّه نفسه فدفع في قفاه، فلما أخرج قال لبعض الغلمان: ابتعه من حيث لا يعلم حتى يصل إلى منزله، فاسأله عن صنعته فإني أخاله حائكاً. فخرج الغلام يقفوه ثم أتى الآخر فاستنطقه فأجابه بقلب جريء، ولسان طلق، قال له: من أنت؟ قال: رجل من أبناء رجال دعوتك. قال: فما جاء بك إلى هـهنا؟ قال: جئت لأنـظر إلى هذا البناء الحسن، وأتمتع بالنظر إليه، وأكثر الدعاء لأمير المؤمنين بطول البقاء ودوام العز، وهلاك الأعداء. قال: ألك حاجة قال: نعم، خطبت ابنة عمي فردني وقال:

لا مال لك. وإني لها عاشق، وبها وامق، قال: قد أمرت لك بخمسين ألف درهم قال: جعلني اللّٰه فداك، يا أمير المؤمنين، قد وصلت فأجزلت الصلة، ومننت فأعظمت المنة. فجعل اللّٰه باقي عمرك أكثر من ماضيه، وآخر أيامك خيراً من أولها، وأمتعك بما به أنعم عليك، وأمتع بك رعيتك. فأمر أن تعجل صلته ووجه بغلام آخر معه قال: سل عن مهنته فإني أخاله كاتباً: فرجع الرسولان جميعاً فقال الرسول الأول: وجدت الرجل حائكاً، ولم يرجع إليه قلبه، ولا ثاب إلى نفسه. وقال الآخر: وجدت الرجل كاتباً. فقال المهدي أنا ابن المنصور لا يخفى عني مخاطبة الكاتب والحائك.

٣٤٠ ـ **قال أحمد بن أبي خثعمة**: خبرتني مولاة، كانت لآل جعفر بن أبي جعفر المنصور، قالت: علق عيسى بن جعفر جارية لأم ولده فمنعته إياها غيرة عليه، وتبعتها نفسه. فدست جارية لعيسى يقال لها برير إلى مولاتها في أن تبيعها منها، وأرغبتها، فباعتها منها، فأخذتها برير فصنعتها وكانت لبرير من عيسى ليلة فوجه إليها بخلعة وبقدح غالية تضمخ به شعرها. فلما كانت ليلتها ألبست الجارية الخلعة وضمخت رأسها ووجهت بها إليه، فلما رآها سألها عن حالها فأخبرته بالخبر، وأنها آثرت هوى نفسه على هوى نفسها. فسر بذلك ودعا ببرير فأعتقها وتزوج بها ومهرها ضياعاً بالكوفة لها قدر. فقالت برير: إن من شكر اللّٰه على ما وهب لي من رأي أمير المؤمنين أن أجعل ما أعطاني من هذه الضياع قربة للّٰه عز وجل، تجري للأمير ولي أجرها وفأوقفها على أهل بيت من الأنصار منهم ابن معاذ فلم يزل ذلك يجري عليهم.

٣٤١ ـ **قال إبراهيم بن المهدي**: حججت مع الرشيد، فلما كنا بالمدينة خرجت إلى العقيق أسير على دابتي وليس معي غلام، فوقفت على بئر عروة وعليها جارية سوداء وفي يدها دلو تملأ قربة لها، فقلت: يا هذه اسقني. فنظرت إلي وقالت: أنا مشغولة عنك. فقرعت قربوسي[1] بمقرعتي مُوَقِّعا على القربوس، وغنيت. فلما سمعت ذلك مني ملأت دلوها وبادرت به إلي وقالت: اشرب يا عمّ فشربت، فقالت: باللّٰه يا عم أين أهلك احمل إليهم هذه القربة؟ فقلت: بين يدي.

---

(١) قربوسي: القربوس: حنو السرج.

فمضت معي حتى أتت المضرب فلما رأت الولدان والخدم ذعرت، فقلت: لها لا بأس عليك. وأخذت الماء وأمرت من وصله، فقال لي الغلمان: قد جاء رسول أمير المؤمنين مراراً فمضيت إليه، فقال لي: أين كنت؟ فاخبرته بخبر الجارية، فأمر بطلبها، فأتي بها، فأمر بابتياعها من مولاها، وأعتقها، وقال لها: هل من تودينه يودك وتحبينه يحبك؟ قالت: نعم عبد لآل فلان. فأمر بابتياعه واعتقه ثم زوجها إياه، وأمر لهما بمال.

٣٤٢ ـ حج الرشيد سنة إحدى عشرة من خلافته، فلما نزل بالكوفة، بعد قفوله من الحج، دعا إسماعيل بن صبيح فقال: إني أردت الليلة أن أطوف في محال الكوفة وقبائلها فتأهب لذلك، قلت: نعم. فلما مضى ثلث الليل قام وقمت معه، وركب حماراً وركبت أنا آخر، ومعي خادم ومعه خادم من خاصة خدمه. فلم نزل نطوف المحال والقبائل حتى انتهينا إلى النخع فسمعنا كلاماً. فقال الرشيد لأحد الخادمين: أدن من الباب وتعرف ما هذا الكلام؟ فتطلع من موضع في الباب فرأى نسوة يغزلن حول مصباح وجارية منهن تنشد شعراً وتردد أبياته وتتبع كل بيت برنة وأنة، وتبدي زفرة: وتفيض عبرة، والنسوان اللواتي معها يبكين لبكائها فحفظ الخادم من شعرها هذه الأبيات:

هل أرى وجهَ حبيبٍ شفَّني، بعد فِقْدانيه، إفراطُ الجَزَعْ؛
قد برى شوقي إليه أَعْظُمِي، وبَلى قلبي هواهُ وفزَعْ
ليتَ دهراً مرَّ، والقلبُ به جذلٌ، والعيش حلوٌ قد رجَعْ؛
وعفَتْ آثارُهُ منه فَيَا، ليتَ شعري، ما به الدهرُ صَنَعْ؟
قد تمسكتُ على وجدي به بجميلِ الصَّبرِ، لو كان نَفَعْ

فقال: للخادمين: أعرفا الموضع إلى غد. ورجعنا إلى البصرة، فلما طلع الفجر وفرغ من صلاته وتسبيحه، قال للخادمين: امضيا إلى الدار فإن كان فيها رجل من وجوه الحي فجيئا به حتى أسأله عما أريده. فسار الخادمان إلى الدار فلم يجدا فيها رجلاً، فدخلا إلى مسجد الحي فقالا لأهله: أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: أحببت أن يجيئني منك أربعة أسألهم عن أمر. قالوا: سمعاً

وطاعة. وقاموا معهما فدخلوا على الرشيد، فقربهم وأدناهم، وقال لهم: طفت البارحة في بلدكم تفقداً لأحوالكم، فسمعت في دار من دياركم امرأة تنشد شعراً وتبكي. وقد خفت أن تكون مغيبة، وأن نزاع النفس أهون من نزاع الشوق، وقطع الأوصال أهون من قطع الوصال، وقد أحببت أن أعرف خبرها منكم. قالوا: يا أمير المؤمنين، هذه البارعة بنت عوف بن سهم كان أبوها زوّجها ابن عم لها يقال له سليمان بن همام على عشرة آلاف درهم، فهلك أبواهما من قبل أن يجتمعا، فاكتتب زوجها مع عاملك إلى اليمن لقلة ذات يده، وخرج منذ خمس سنين، فحزنت عليه، وطال شوقها إليه، فهي تنشد الأشعار فيه وتستريح إلى ذكره. فأمر الرشيد من ساعته أن يكتب إلى عامله باليمن في حمل سليمان بن همام على البريد إلى حضرته إلى بغداد. فما مضت أيام بعد وصول الرشيد حتى دخل عليه إسماعيل بن صبيح، فقال: يا أمير المؤمنين قد وصل النخعي الذي أمرت بحمله إليك. فأمر بإدخاله عليه، فنظر إلى رجل معتدل القامة، ظاهر الوسامة، ذرب اللسان، حسن البيان، فقال: أنت سليمان بن همام؟ قال؛ نعم، يا أمير المؤمنين. قال له: اقصص علي خبرك! فقص عليه الخبر فوجده مطابقاً لما خبره به الأربعة النفر، فأمر له بعشرين ألف درهم، فأخذ ذلك من يومه ورحل إلى الكوفة فدخل بأهله وكان الرشيد يتعاده ببره

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه

المحتويات